

السَّاقُ عَلَى السَّاقِ فِي مَا هُوَ الْفَارِيقُ أَيَّامٌ وَشُهُورٌ وَمَعْلُومٌ لِّأَفْنَى عَجْمِ الْعَرَبِ وَزِيَادِ عَجَامِ

تَمَيُّنٌ

أَحْمَدُ فَارَسُ الشَّيْخِ دَيَّاقِ
صَاحِبِ الْمِرْآةِ

الْجُزْءُ الثَّانِي

مُطْبَعَةُ مَسْطُوفِي مُحَمَّدٍ صَاحِبِ مَكْتَبَةِ اتِّجَارِيَّةِ بَابِ سَاعِ مُحَمَّدٍ عَلَى
(بَيْتِ الْقَاهِرَةِ)

الكتاب الثالث

الفصل الاول

في اضرار اتون

ما كفى بنى آدم ما هم فيه من الشقاء والعناء . والجهد والبلاء .
ة والنصب . واللاؤاء والتمب . والحرمان والتجس . والقنوط
ها س . بحل بهم فى القرث والوحم . وبولدون فى الاوجاع والالام .
وبرضمون فى الضرر . ويفطمون فى الخطر . ويحبون فيءثرون . ويدرجون
فيمتدهورون . ويمشون فيمكلون . ويكدون فيملون . ويبطلون فيتضورون .
اذا جاعوا حاروا ووهوا . واذا أكلوا انخموا وبجروا . واذا ظمئوا شربوا .
واذا شربوا غلثوا وغشوا وخثروا . واذا أرفوا دابوا قلما وكمدا . واذا ناموا
ذهب العمر منهم سدى . واذا هرموا ملهم أهلهم واخوانهم . واذا اختضروا
حمروهم تحسيرا ربما أحاتم . ثم هم بين ذلك فى تحصيل أسباب المعاش
ساعون . وفى التظاهر باللباس والرينة معنون . والعرب منهم متهاة على
امرأة تكر له أهلا . ودوا الاهل همه بزوجه وبرية ولده طفلا وكهلا .
قادا مرضوا مرض . واذا حزنوا حزن وحرص . وويل له ان تكن
زوجته برآ . أو كانت عاقرا ودهاء . ورأى لمره من المتزوجين بنين ذوى
طلعة ناضرة . وشمائل سارة . فيقول فى نفسه اتما لدة الدنيا البنون . واتى

ميت بلا خلف وأي منون . وكم من سقوط ظفر وهن الجسم كله . وكم
 لقطع ضرر من ذهب الصبر أو جله . ما عدا الادواء المتفضلة . والعلل المتأصلة .
 وتختلف الازمان وحول الاحوال . وتماقب الاحران ودول الحال . على هذه
 الجسم الوائي البال . ففي الشتاء يكون عرضة للريح والزم والبلغم والرطوبات .
 والبوال والعفونات . وفي الصيف للصفراء والحما والصداع . والتزهل
 والاستنماع . وفي الربيع لهيجان الدم وتبيغه وزرغته . وفي الخريف
 لتحرك السوداء وأذى الهواء وتدغته . ثم ان منهم من يولد ويعرض له
 من العيوب والامراض

الجنأ	أشراف الكهل على الصدر .
أو القسأ	خروج الصدر وزوء الخثرة .
والقطأ	دخول الظهر وخروج الصدر .
والحدب	معروف .
والحسبة	أن يبيض جلد الرجل من داء فتفسد شعرته فيصير
	أبيض وأحمر
والحصبة	بثر يخرج بالجسد
والشب	داء م
والضبوب	داء في الشفة
والطنب	طول في الرجلين في استرخاء وطول في الظهر
والعكب	غلظ في الشفة واللحي
والغضبة	بثرة تكون بالحفر الأعلى خلية
والغذاب	داء أو الجدري
والغلب	غلط الصنق
والناب	انقلاص الشفة
والصلاب	داء العنب

والقوباء	الذي يظلم في الحسد ويخرج عليه
والكنب	غلظ يعملو الرجل واليد .
والكوب	دقة العنق وعظم الراس
والناقبة	داء للانسان من طول الضجعة .
والجوث	عظم البطن في أعلاه أو استرخاء أسفله .
والخوث	استرخاء البطن
والضمج	آفة تصيب الاسنان وهو أيضاً هيجان المابون .
والعناج	وجع الصلب .
والعجج	تداني صدور القدمين في المشي وتباعد العمبين والفجج
	والفخج أقبح منه .
واللخج	أسوأ الفمص .
والمجج	استرخاء الشدقين .
والجلج	انحسار الشعر عن جانبي الرأس .
والصفج	عرض فاحش في الجبهة .
والنطف	علة يكوى منها الانسان .
والفركة	تباعد ما بين الاليتين .
والفطح	عرض الرأس والارنية .
والفلج	شق في الشفة السفلى
والقادح	أكل في الاسنان .
والفلح	صفرة الاسنان .
والكسح	الزمانة في اليدين والرجلين .
واللجج	اللخص في العين .
والمرح	شدة سيلان العين ومساها .
والمسح	احتراق باطن الركبة لخشونة الثوب أو اصطكاك الرابنتين

ومثله المشح .

والوذح	احتراق في باطن القحذين .
والبزخ	خروج الصدر ودخول الظهر
والزخمة	وجع يأخذ في الظهر
والفتخ	استرخاء المفاصل أو عرض الكف والقدم وطولها
والنفاخ	نفخة الودم من داء يحدث
والجرد	عدم الشعر
والدرد	ذهاب الأسنان
والردة	تقاعس في الذقن
والسواد	داء من شرب الماء
والقود	طول العنق والظهر
والكباد	وجع الكبد
واللهد	داء في أرجل الناس وأفضاهم
والآدر	الآدر والمادور من يفتق صفاقه فيقع قصبه في صفتنه الملح
	وفعله كفرح
والبجر	خروج السرة وعظم البطن
والبخر	النهن في القم
والباسور	م ج بواسير
والخنر	البثور وخنثرت العين خرج في أجفانها حب أحمر
والحدرة	قرحة مخرج بياض الجفن
والحصر والحصر	الحصر احتباس ذي البطن وبالتحريك ضيق
	الصدر والبخل والعي في المنطق
والحفرة	سلاق في أصول الاسنان
والحمرة	ورم من جنس الطواعين

والحنجر	داء في البطن
والاخير	داء في العين
والنهر	اسوداد الاسنان ومثله التذير
والزحير	استطلاق البطن
والزعر	تفريق الشعر وقلته
والزور	عوج الزور والازور من به ذلك والناظر بموخر عينيه
والشتر	انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه أو استرخاء أسفله
والصمر	صغر الرأس
والصفر	داء في البطن يصفر الوجه
والظفر	داء في العين
والظهر	داء الظهر
والعور	معروف
والنظير	عدم استمسك البول
والقصر	يبس في العنق
والمر	قلة الشعر
والناسور	علة في المآقي وعلة في حوالي المقعدة وعلة في اللثة
والكزاز	داء من شدة البرد
والسلاس	دهاب العقل
والفقاس	داء في المفاصل
والقطس	انفراش الانف في الوجه
والقمس	خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحذب
والقفس	عظم الروثة
والقمسة	شدة العنق في قصرها كالأحدب
والكسس	قصر الأسنان أو صغرها أو لصوقها بسنوخها

والنقرس	ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين
والهوس	طرف من الجنون
والحمش	دقة الساقين
والخمش	صغر العينين وضعف البصر خفاة أو فساد في الجفون بلا وجع أو أن يبصر بالليل دون النهار
والدوش	ظلمة البصر وضيق العين
والرمش	حمرة في الجفون مع ماء يسيل
والطرش	أهون الصمم
والطشاش	داء كالزكام
والعطاش	داء لا يروى صاحبه
والعمش	ضعف البصر مع سيلان الدمع في أكثر الاوقات
والمدش	رخاوة عصب اليد وقلة لحمها ودقتها
والنمش	نقط بيض وسود أو بقع تقع في الجلد تخالف لونه
والبخص	لحم ناتي فوق العينين أو تحتها كهيئة النفخة والتبخص انقلاب الاجفان
والبرص	معروف
والتمص	وجع العصب من كثرة المشي
والخاصة	داء يتأثر منه الشعر
والحوص	ضيق في مؤخر العينين أو في احدهما
والخوص	غؤور العينين
والخيص	صغر احدى العينين
والرمص	وسخ أبيض يجتمع في الموق
والشوصة	وجع في البطن أو ريح تمتقب في الاضلاع أو ورم في حجابها
والغمص	ما سال من الرمص

والقبص	وجع يصيب الكبد من التمر على الريق وضخم الهامة
والقراض	قصر الخدين
والقفص	حموضة في المعدة من شرب الماء على التمر وحرارة في الحلق
والحصص	تفصن كثير في أعلى الجفن.
والخصص	كون الجفن الاعلى لحيا
والعصص	تقارب المنكبين والاسنان
والماصة	داء يأخذ الصبي من شعرات على سناسن التفاز الخ
والمصص	التواء في عصب الرجل
والمنصص	معروف
والوقصص	قصر العنق
الحرض	فساد المعدة والبدن والمذهب والعقل
والهرض	الحصيف يخرج على البدن من الحر
والغباط	داء كالجنون
والاذوطية	الاذوط الناقص الذقن
والاسطية	الاسط الطويل الرجلين
والسرطان	ورم سوداوي مبتديء مثل اللوزة وأصفر فاذا كبر ظهر عليه عروق حمراء وخضر شبيهة بأرجل السرطان لا مطمع في برئه وإنما يعالج لثلاث يزداد
والضرط	خفة اللحية ورقة الحاجب
والضوط	عوج في القم
والطرط	خفة شعر العينين والحاجبين والاهداب
والفطط	قصر الشعر، جمودته
والمرط	خفة الشعر
والمعط	عدم الشعر

خروج المقلّة أو عظامها	والجحظ
ظهور الدم في الشفتين واختلاط الشفة عند المضغ	والبيح
عدم انضمام الشفتين	والجلع
التواء العرقوب	والطلع
فساد في الاجفان	والرسم
اصفرار في وجه المرأة من داء يصيب بظرفها	والرمع
شقاق في ظاهر القدم كالسلع	والزلع
الزيادة في الاصابع	والزمع
وجع الرأس	والصداع
انحسار شعر مقدم الرأس	والصلع
تشقق الشعر	والصمغ
معروف	والفرع
ارتداد اصابع الرجل الى القدم	والقعق
داء في القم	والقلاع
فساد في موق العين واحمرار أو بثرة تخرج في اصول الاشجار	والقمع
رجوع الاصابع الى الكف	والكعج
احمرار الشفة وكثرة دمها حتى تكاد تنقلب	والكنع
شقاق ووسخ في القدم	والكلم
اقبال الرسفين على المنكبين	والكوع
استرخاء الجسم	والنخع
بياض في باطن الشفة الخ	واللطيم
اقبال الابهام على السبابة من الرجل	والوكم
انحناء في التامة	والمنع
ظهور الدم في الحدر	والبيخ

والثلغ انقلاب الشفة
والقدغ التواء في القدم
والقوغ ضخم في القم
والوبغ هبرية الرأس
والجنف الجنف في الزور دخول أحد شقيه وانهمضا مع اعتدال الآخر
والحشفة قرحة تخرج بحلق الانسان
والحنف الاعوجاج في الرجل
والخنف انهمضام أحد جانبي الصدر أو الظهر
والساف تشقق وتشمت ما حول الأظفار
والسمفة قروح تخرج على رأس الصبي ووجهه
والشافة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب أو اذا
قطمت مات صاحبها
والشنف انقلاب الشفة العليا من أعلى
والطرفة نقطة حمراء من الدم تحدث في العين من ضربة وغيرها
والنصف استرخاء في الأذن
والنطف كثرة شعر الحاجب
والكتاف وجع الكتف
والكف شيء يملو الوجه كالسمسم - وحمرة كدرة تملو الوجه
والأرقان آفة تصيب الزرع والانسان كاليرقان
والبغق أقبح العور
والبهق يياض رقيق ظاهر البشرة الخ
والحولق وجع في حلق الانسان
والحاق الجدري أو شبهه
والخناق داء يمنع معه نفوذ النفس الى الرئة

والروق	أن تطول الثنايا على السفلى
والسلاق	بتر يخرج على أصول اللسان أو تشر في أصول الاسنان
	وغلظ في الاجفان
والشدق	سمة الشدق
والشمق	مرح الجنون
والنمقة	داء يأخذ في الصلب
والفتق	علة في الصفاق
والفوق	ميل القدم والعرج
واللسق	لسوق الرئة الجنب عطشاً
والمشق	أن تصيب إحدى الربتين الأخرى
والودق	نقط حمر يخرج في العين تشرق به أو لحمة تعظم فيها أو مرض فيها ترم منه الأذن
والسكك	عيب في الأذن
والساهك	حكة العين
والشاكّة	ورم في الحلق
والشوكّة	داء م وحمرة تعلو البدن
والقرك	استرخاء أصل الأذن
والفكك	انفراج المركب استرخاء
واللال	فصر الاسنان واقبالها على غار القم كاليل
والبدل	وجع في الآلة (اللحمة بين اللبتين والشدوة) ووجع
	المفاصل واليدين
والبوال	داء يكبر منه البول
والثعل	تراكب الاسنان
والثلل	تساقط الاسنان
والخذل	حمرة في العين واسلاق وسيلان دمع

والخقل	داء في البطن
والخلل	استرخاء ووجع في العصب
والحول	معروف
والخبل	فساد الاعضاء والقالج
والخزل	الكسرة في الظهر
والجمال	داء في المفاصل
والدحل	عظم البطن
والدخل	ماداخلك من فساد في عقل أو جسم
والسبل	غشاوة العين من انتفاخ عروقها الظاهرة
والسفل	السفل الصغير الجنة الدقيق القوائم أو المضطرب الأعضاء
	أو السبيء الخلق والغذاء أو المتخذ المهزول وقد سفل
	كفرح في الكل
والسلال	م كالسل
والسولة	استرخاء البطن وغيره
والصحل	البحح
والضمحل	دقة البدن من تقارب النسب
والطحل	داء الطحال
والطلاطة	سقوط اللهاة حتى لا يسوغ له طعام ولا شراب
والعفل	شيء يخرج من قبل النساء كالأدرة
والعقل	اصطكاك الركبتين
والغفايل	ما يخرج على الشفة غب الحمى
والنمل	فساد المرح من العصاب
والقبل	اقبال احدى الحدقتين على الاخرى
والملة	بثرة تخرج في الجسد بالتهاب واحترق ويرم مكانها يسيرا

ويذب الى مكان آخر	
حصرة البول والبصر من داء	والاطام
داء في العين	والجحام
معروف	والجذام
تغير رائحة الانف من داء فيه	والخشم
وجع الرم	والرحم
وجع الدبر	والسرم
عوج في الفم والشدق والشفة والذقن والعنق	والضجم
يبس في مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم	والعسم
سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة والفقا	والفسم
تقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى	والقضم
ميل وارتفاع في الايتين	والقضم
قصر في الانف	والكزم
تقصان في الخلق وفي الحسب	والكشم
أشد الجدري	والموم
داء البطن	والبطن
داء في الثفنة وهي من الانسان الركبة وجميع الساق والعضد	والثفن
انحناء في الظهر ودنو وتطامن في الصدر والعنق	والدثن
الماهة ونحوه الضمن	والزمن
استرخاء البطن	والنسون
قصر قاحش في الانف	والقمن
الآهة والماعة الالهة الحصبة والماعة الجدري	والآهة والماعة
انحسار الشعر عن مقدم الرأس	والجله
طول العنق وقصرها ضد	والشوه

والقوة	سمة القم
والقره	القره في الحسد كالنلح في الاسنان
والقمه	قلة شهوة الطعام كالقمه
والمره	فساد العين لترك الكحل
والبله	قلة القطنة
والتهله	الجمرة والوله وهو ذهاب العقل حزنا
والله	ذهاب القواد من هم ونحوه
والنزا	انحناء في الظهر عند الحجز أو اشراف وسط الظهر على الاست
والجحو	سمة الجلد واسترخاؤه
والجلا	دون الصلح
والجوى	داء في الصدر
والحصاة	اشتداد البول في المثانة حتى يصير كالحصاة
والحقوة	وجع في البطن من أكل اللحم
والخذى	استرخاء الاذن وانكسارها
والرئية	وجع المفاصل واليدين والرجلين أو ورم في القوائم أو منعك الالتفات من كبر أو وجع
والشرى	بثور صغار حمراء حكاكة
والشفا	اختلاف نابتة الاسنان بالطول والقصر والدخول والخروج
والضوى	دقة الجسم وقلة الجسم خلعة أو الهزال
والطنى	طنى لزق طعنه ٢ رثته بالأضلاع من الجانب الايسر
والنفثا	ميل في القم
والنفثا	هو أن تشرف الأرنبة ثم تسمى نحو النفثية
والنفثا	داء في العجز
واللقوة	داء في الوجه
واللوى	وجع في المعدة واعوجاج في الظهر

وغير ذلك من العيوب كأن يكون الاسنان قشموما أو مقرقا أو زعجلا
أو سقطرى أو نفاشيا أو اذبا أو دها . ومن الادواء التى لم يعرف لها بعد
اسم . وعالم ان يحيط بها كلها حالة كونها غير مستقصاة هذه الثمانية والعشرون
حرقا . وأصعب ما فيها وأضر الكاع والتشويل . وقد زاد معاصرون على
ذلك الداء الزرنبي مما حلت عنه لغتنا الشريفه . وأعود فاقول ألم يكفبنى
آدم ان مدى عمرهم قصير . وهم فيه طويل كثير . وأمرهم عسير . لكل
منهم من العناء والجهد واللوعة . ما يكفيه وآخرين معه . فطالب العلم
يسهر الليالي فى تبیین مشاكل . وإيضاح مسائل . وذو الصنعة يقضى
نهاره كله مكبا على عمله ذا سخط . حتى ينال كفافه فقط . وذو الامارة
مشغول البال باحكامه وسياسته . والرئيس ذوم برأسته . والمالك موجس
من وزرائه أن يتحالفوا عليه فيسقوه ما به هلاكه . والوزراء خائفون منه أن
ينقم عليهم فتدور بهم أفلاكه . والتاجر يبكر الى محترفه وهو مشفق من
كساد بضاعته . والطبيب يخشى ان ترشد الناس فيستغنوا عن براعته .
فتمفن عقاقيره . وتاجن مياه زجاجاته ويفسد ذروره . وسفوفه ولموقه
ووجوره . والعاضى يستميد من قدوم من تفتنه من الفيد بجمالها . وتربكه
فى مسائل غير مذكورة فى كتابه فيملق بجبالها . ويتحير من احوالها . والربان
يحذر من عصف الارواح . والزاجل من شب نار الحرب التى وقودها
الارواح . فكما رأى سلطانه متفيرا . وخاطره مكدرا . قال اللهم اكفنى
غير الدهر . واجعل هذا الكدر عارضا يزول قبل المصر . فانى أرى فى وجه
ملكى وأميرى سيمياء القتال . والرسم بمنازلة الابطال . وأنا ذو صاحبة
وعيال . وأملك وأموال . اللهم اكف ألسنة الاجانب عن الفدح فيه .
والقى فى قلوبهم رعبه واج من صدره ما يوغره . ويزفيه . والحارث يوجل
من كثرة الامطار . وهبوب الاعصار . والمعلم من رغبة الناس عن العلم الى
الجهل . والمتعلم من عقبة الكتاب . وعاقبة الكتاب . الشافه لما عنده من

عند الجلد . والحاضر له عن الله وائده . والمغنى والمأزف بالآلات الطرب من وقوع الغلاء . أو استيلا الحزن على قلوب الأغنياء . واللاعب من اهتم الناس الى الجلد . والشاعر من القائه بمدوحه كالخمر الصلد . أو محبوه ذا جفا وصد . والموافق مثل من مجانين (أى يشفق من مجانين لا انه هو منهم) يتصدون له فيحرقون كتابه . ويحرقون اهابه . والزوج من فرار زوجته وكساد ابنته . وهما من بخله وحرمانهما من زوته . والفسيس من كتب الفلاسفة . والفلاسفة من وعيد الفسيس وبوارده العاصفة . وعوده القاصفة . وفي الجملة فكل ذى حرفة يخاف من انحراف ثمنها عن جانبها . وكل يدعو الله لصلاح حاله ولو بفساد حال صاحبه . اذ لا تكاد تتم مصلحة من هذه المصالح المذكورة . الا وينجر معها مفسدة بالضرورة . كما قال ابو الطيب المتنبي مصائب قوم عند قوم فوائد . ومع ذلك فكل يزعم انه محق فيما سأل . جدير بنوال ما أمله . وان لفته في ذلك عند الحق سبحانه وتعالى . أصدق مقالا . نعم اعود فأقول . وان طال المقول . أو ما كفى الناس الخوف من الموت يفاجئهم وهم في دعة واطمئنان . أو يجمعهم بفقد ما لديهم عزيز من أهل وولد واخوان . وخلان وحيوان . اذ بعض الناس يكلفون بالخليل والطير والسنابير والكلاب . كلهم بالاهل والاصحاب أو الرعب من أن يسقط أحدهم عن ظهر دابته فتندق عنقه أو تسرى النار في بيته فيحترق تالده وطريقه فيعدم رزقه . أو يقع في تيار فيجفأ به الى ما شاء الله . أو تخسف به الارض . أو يخرج عليه السقف من فوق . أو تبلفه الوكة من مسافة مائتي فرسخ فتقلقه وتورقه وربما أبكته دما . أو يأتيه سارق فيسرق متاعه الذى هو قوام معيشته . أو يفقد ما في كيسه هميانا في الطريق . أو ينشب في عينه عود فيعطلها . أو تشنج به عضلة فيعبد بعدها من سقط المتاع . أو يأكل شيئا ضارا فيودى به . أو شربا ما منموما فيسقط أمعاءه وارباه . أو يرى جملة فيؤرقه جمالها فيصبح وهو

هائم متيم يشكو للطبيب من سقامه . وللشاعر من غرامه . فلا هذا يطعمه
 ويمنيه . ولا ذلك ينفعه ويشفيه . أو قبيحة فتدمه مرعبة . ويلالزها القمه
 عن المادية . أو تنبجه الكلاب وتحرق ثيابه فيبدو وزمه . أو يسيل دمه
 أو يكون جالسا يوما على الصخت . فيسمع له صريف الصحت . فيسود وجهه
 بين اخوانه وعترته . وأهل قرعته وكورته . وربما نزوه بالخضفى أو النضفى
 أو النضفى أو الخبفى أو الخبفى أو الخففى أو العففى أو الحصى
 أو الخصى أو الدمى . أو يقع عليه الكابوس ليلا فيقف جريان دمه على
 قلبه فيهلك ليلته . نعم ألم يكفهم هذا كله حتى طفق بعضهم يحجز على
 بعض كتاب الحسد والتخمين . ويجرد عليه مقاب الخرص والتزكين .
 فاقبل قوم منهم على قوم برماح الطعن مشرعة . وبسيوف اللعن مبضعة .
 وبنصال الجدال فائدة مارقة . وبنبال الجلاد صاردة خاسقة . فقال بعض
 الا ان درجات السماء مئة وخمس . فقال غيرهم الا انها مئة وأربع . فقال آخر
 لقد كذبتا واستوجبنا قطع اللسان وسمل العينين . وسل الاثنين . انما
 هي مئة وست . ثم قام آخر وقال الا ان دركات سقر ستائة وست
 وستون . فقام غيره وقال الا انها ستائة وخمسون . فقال آخر لقد كذبتا
 والحدتما وضلتما واستوجبنا غل اليدين والرجلين . وتنف الشعرين . انما
 هي ستائة وسبع وستون . ثم قام آخر وقال الا ان قرن الشيطان ثلثائة
 وخمسة وخمسون ذراعا . فقال آخر هذا إفك واضح . وبهتان قاضح . بل
 هو ثلثائة وستة وخمسون . فقال آخر وكسور . ثم قال آخر الا انه من
 حديد لكونه ثميلا على الناس يثمنه . فاجابه غيره الا انه من ذهب لكونه
 يضلهم ويفوتهم فقال آخر بل هو من البقطين لانه ينمي ثم يذوى . ويكبر
 ثم يصغر . ويطول ثم يقصر . ثم قام آخر على رأس سلم مال وقال بصوت
 جهوري الا ان بكم أيها الناس الجليدة ينبنى قطعها بحجر لا كبير ولا صغير .
 فقال آخر بل بسكين ماض لا طويل ولا قصير . فقال آخر لقد سفهتما انما

هي عزيزة علينا . كريمة لدينا . لا يصح قطعها بحجر ولا سكين . ولا
خدشها بشيء . ولو من رقين . فاعا هي متصلة بالوريد ومنعقدة بالوتين . ومن
قطعها فقد كفر . واستوجب نار سقر . فقال آخر بل قطعها واجب فانها
من الزوائد . فاعترضه القائل بدم القطع ! انا لا يرى شيئاً غيرها ينقطع فإ
وجه تخصيصها بالقطع . قل بل الشوارب تحفى والاذفار تقلم . قال ولكنها
يعد ذلك نبت وتلك لا . قال الدليل القطعى على وجوب القطع عدم نعمها
لصاحبها . قال لم يخلق الله شيئاً عبثاً من غير نفع . قال بل خلقك اياك
لغير فائدة . قال لا بل أنت مخلوق عبثاً . ثم حشد كل من التريقين بخيله
ورجله . وتلاقى كل من الجيشين بسلاحه ومحلّه . فمن بين قارع يجد
الحسام . ورام بالسهم . وباطش بيده وقاذع بلسانه وهاج بقلبه . فالروس
متناثرة . والدماء جارية والاعضاء متطائرة . والعرض مهتور والحرمات
مهتكة . والنسال مسلوب والديار مخربة . والخرافات فى الصدور كلجنة .
والشاحنة ظاهرة وباطنة . والحيل مسرجة . والكأمة مدججة . والطرق
معطلة . والارض مححلة . والقرص للانعام مرقوبة . والدعوات فى
الليالى مشبوبة . يأيم الناس اعتروا بمن قات . كيف صار الرقات .
وان منهم من كان يذكر اسمه فى حياته بالبركات . فاصبح يذكر باللهات
ومنها من كان يحسب فى قومه سراجاً هاجاً . فصار يحسب دحانا وعجاجاً
ومنها من كان يأكل حتى ينفذ بطنه وتجدع عيانه . ويدأجلع اساه
وترنح شفته . فصار الآن ادود يأكله . وبعض الحشرات يستوبله .
يأبها الناس وهم وركم فى سبات والباقي فى ناس . فرار من غرور النفس .
وحذار من قرور الرمس . ودار الى تقدم عمل صالح يتربكم الى الله .
ويلام بعضهم بعض وأتم فى الحياة . أعمتون فى قلوبكم الحقد على
خصمكم . وفى أفواهكم اللعن على مخالفكم فى زعمكم . ألم يقل لكم الحق كوا
يلعباد على الارض اخوانا فانكم من أب واحد وأم واحدة وانكم جميعاً

لميتون . سواء كنتم ذوي وجوه سمر أو حمر أو صفر أو سود أو بيض
انكم كلكم بشر انكم كلكم قانون . انكم ناظرون ولا مسون وسامعون
وشامون وطاعون . ما بال الجليدي منكم يشأ الاجليدي . والجليدي
منكم يحقت اليقطيني . أفلاتوادعون . ألم أنظركم في طلوع الشمس وغروبها .
وفي بروج الكواكب ومعينها . وفي سكون الريح وهبوبها . وفي محمود النار
وشبوبها . وفي زخر المياه ونضوبها . وفي صروف الدهر وخطوبه . وهومه
وكروبه . وفي سواد الشعر ومشيبه . وفي هرم الجسم وشحوبه . وفي
الازمان اذا اتالت . والاحوال اذا حالت . والدول اذا دالت . وفي الفياض
اذا أبهجت . والرياح اذا تدبجت . والاشجار اذا أورقت وجردت .
والاطيار اذا زقزقت وغردت . وفي اللسان اذا نطق . والقم اذا مشق .
ليس لعمري بين الوحوش الضارية والطيور الكاسرة ما بينكم من العداوة
والبغضاء . والضغن والشحناء . اذكروا يوم ان صعد خطايكم المنبر .
وعبس وبسر . وتوعد وتنكر . وخطأ وكفر . وحض على اقبال وذمر .
ثم دعا فاستغفر . واستغفار الله واستبشر . فاغترم على جرائكم . واتهمكم
حرمات اخوانكم . وفرقم بين الأم ورضيعها . والمرأة وضيعها . وبين
الأب وولده . وسبده ولبده . اذكروا يوم ان حشد رؤسكم اليه اعوانه .
وهاج أهله واخذانه . على أن يخون سلطانه . وأى خيانه . وما ذلك الا
لما التفتل في الحذر والتقدير . والتأويل والتعبير . والتخريج والتفسير . اذكروا
يوم أن أعلمتم أنفسكم بهلائكم الجهاد . وقلتم هذه حرب الله هذا قال لرضي
رب العالم . هذا يوم كسب الثواب . واللجأة من العذاب . فأفنيهموا الى
العدو . من البر والبحر . واغتتموا عند الله أجر هذا البر . اذكروا يوم ان
تنازعتم على لون طعام تأكلونه . وشكل شراب تشربونه . ورحضة جسم
تغسلونه . ونوح فراش تمسكونه . ورقعة ثوب تلبسونه . ووجه كلام
تمفكونه . ومتاع تستملونه . اللخلاف في هذه الدنيا فطرتكم . أم بالخصام

والمعاداة أمرهم . ما بال علماء الرياضة والهندسة والتنجيم لا يختلفون في أدلتهم . وان اختلفوا لم يشبوا النار لتحقيق نحلتهن . وأنتم تشبهونها عند كل فرصة نسخ لكم . ووم يسبق اليه فكركم . وكان الاولى أن تتواطأوا على رأى واحد كما تواطأ أولئك . وان تسنوا لمباد الله مصالحهم لا ان تدخلوم في هذه الملاحك . وتريكم في هذه المراكب . وان تهديم الى أقوم المسالك . لا ان تلبسوا عليهم في هذه الحوالك . دعوم يشتغلوا بأسباب معيشتهم . ولا تكلفوم ادراك ما فوق طاقتكم وطاقتهم . واعملوا اتم ايضاً بايدكم ساعتين اذا علمتم بالسنتكم التضاضة ساعة . واجمعوا أمركم عند خرق اموالكم على الالة والطاعة . انسينم ما جاء في الزبورالذى به تلهجون . وتهذون وتذبرون . وهو قوله ما أحسن الاخوة ان تسكن جميعا في بيت واحد كاللهن النازل على اللحية لحية هرون . الا ولا تحرموا ما حلل الله لكم من الطيبات . ولا تتلاوصوا الى معرفة ما لغيركم من الهفوات . ولا تبيدوا أملاك السماوات . وانم على الارض من ذوى البطالة والثرهات . ليس على السوقى ان يتزوج خرجية من حرج . ولا على المخرجى ان يتزوج سوقية من مرج . فان اختلاف الحزب فيما لا يعلم . لا يكون مانعا للفوز بهذا المنعم . الذى يدريه من تعلم ومن لم يتعلم . أو لم تعلموا ان الارحام من الرحمة اشتقت . والى المصاهرة شقت . وعلى الانساب انطبقت . والى التاخى والتآلف خلقت . وبالتواد اختصت . ولا تنهاز فرص الحظ فرصت . فما لكم عنها قبا عدون . وتقاعدون وتقاعدون . ولم اتم هؤلاء في بحر الشك والظن تسبحون . وتستبضعون تجارة الغرص وتربحون . لا يسمع الله دعاء احد منكم فى الشرق الا اذا كان يستعويه أهل الغرب . ولا يفيزكم بالآخرة الا اذا تأتمتم فى الدنيا على هذا الضرب . فليصافح اذا اخضر الرأس منكم اسوده . ومددوره ذو القبة مخروطه ذا اللبدة . وليصف كل منكم لأخيه نيته ووده . ويحفظ له

عهدہ . واذ قد انتقم على الخلق فلا تختلفوا على الخالق . فهو رب
المغارب والمشرق . وانه ليريد ان المشرق منكم اذا سافر الى المغرب يرى
أهله فيه له اهلا . وشمله شملا . فاقبلوا النصيحة . واسمعوا ما يبركم .
بعدها من العبارات القصيدة . والمعاني المليحة . في هذا الفصل الذي سميت

الفصل الثاني

في العشق والزواج

قد ذكرت في آخر الكتاب الثاني ان الفاريق ابتلاه الله بامراض
كثيرة وكتب وفيه ثم انجاه منها جميعا . وانه بعد ان رأى نفسه معافى
منها اطمأن خاطره واخذ الى الفناء . والآن ينبغي ان اذكر ختام هذه التوبة .
وعاقبة هذه الحوبة . وتفصيل ذلك ان الدار التي كان فيها المحرم يحبون
كانت محاذية لدار بعض التجار . وكان له بنت تحب السماع والهمو والطرب
وترتاح الى الفناء جدا . فكانت اذا سمعت الفاريق يغني أو يعزف في
غرفته تصعد الى سطح دارها وتنصت الى أن يفرغ فتزل الى حجرتها .
فلما علم الفاريق أن صمودها كان لأجله اذ لم يكن أحد غيره يظن به التعرض
لها صبت اليها نفسه وزغها فيها فازغ من الهوى . غير انه كان من طبعه
التفور من الزواج حتى انه كان يحسب المتزوجين أشقى الناس . لان الحالة
الزوجية لا يبدو منها في الغالب سوى صعوباتها ومشقاتها . وكان اذا قيل
له فلان تزوج تأخذه به رافة ويرثي له كما يرثي لمن دار به تيار شديد أو
رزمى برزينة كبرى . فتنازع فيه ح عاملا الهوى والحذر . فوجدت كفة

الاول الثاني فرأى ان مجرد النظر أولى من التعرض بإشارة تدل على انه ذو صبوة وهيام . ومكثا على ذلك مدة وهو أحذر من القربى . حتى اذا كان يوم وراها تمسح عاجرها بمخد بل اما من حصر الشمس أو من غيره . اعتقد بمجامع قلبه انها تمسح دموعها شوقا اليه . فافتتحت بناتق الصبر من صدره . وهاج به الوجد لزاله حذره . وقال في نفسه أيعايل أحد غيري دموع باكية بالاعراض . وهل رراء الدموع غير الهوى . كيف لاتذيني وما قلبي بجلد . ولا أبا بمخلد . وقد علمت ان أعظم لذات الحياة ما اذا وجد الانسان له خديناً نوياً . وقريناً صفيماً . وأنا غريب محتاج الى مؤنس في وحشتي . ورفيق في وحدتي . ومن مؤنس مثل الزوجة . وأي خير في العزوبة لمن رزقه الله قوة وحوجه . وبمثل هذه الخواطر السريعة وطعن نفسه على تحمل أعباء الهوى من أي جهة كانت . فمن ثم فتح باب الاشارة بينهما . فمن بين يد توضع على القلب مرة وعلى الخد أخرى . وأصبح تهرن بأخرى . وذراعين تشبجان مع تنفس وزفير . وشفتين تضمان . ورأس يهز وغير ذلك مما يجعل به المبتدون في الحب . فاما المتناهون فلا يرضيهم الا المحصر بالقودين كما نص عليه الاستاذ امرء القيس . ودامت دولة الاشارة بينهما أياماً عديدة من دون كلام . فلما عجزت الايدي وسائر الجوارح عن ترجمة ما في القلب وخصوصاً لبعدها ما بينهما احتلالاً على أن يجتمعا في مكان بحيث يرى الحب حبيبه . فلما بصربها عن قريب وجدها والفضل تحترق الزي المصري عندلة جزلة . اذ لو كانت مرتدية بالزي الافرنجي لما عرف هل كان ما في صدرها عهداً أو برساً أو قطعاً . أو خرفماً أو عطناً . أو يلباساً . أو قشياً أو حريراً أو نودلاً (١) . أو كان ما وراها

(١) المهن الصوف أو المصبوغ ألوانا واليرس القطن أو شبیه به أو قطن البردى والخرفق القطن المنذوف والمطم الصوف المنقوش والبيلم قطن البردي وقطن القصب والقشبر أردأ الصوف ونفايته والنودل الندى .

عظامه أو خماً وشحماً . فان وهاتان الصفتان أعنى العندلية والجزلية أحسن ما يراد من المرأه . فان الاولى تشفع في الكون الامامى والثانية في الكون الخلقى . قلت وقد جاء عن سيدتنا سليمان عليه السلام مدح العندلية بقوله . في الفصل الخامس من سفر الامثال قليروينك نديلهما في كل حين . ولقائل أن يقول ان المهن واخواته مع وجود اليد والجت (١) اذا جمع الجسمين مكان لا يمنع من تحقق الصفتين المذكورتين . والجواب ان ذلك محذور غالباً في البلاد المشرقية ولا سيما من أول مرة . فاما عند غيرهم فلا محذور منه ولذلك شاع استعمال العظامات عندهم بلا تكثير .

ثم حيث تقدم لنا في الكتاب الاول وصف الحمار على أسلوب أفرنجي فلا نأس هنا أيضاً في وصف الرجل قبيل الزواج على النسق المذكور فنقول : انه مدة تملأه بغبطة الزواج وتلحزه من لذاته . لا يخطر بباله شيء من مستأنف آفاته . واما يخطر في حذسه . ويقول في نفسه ان حالي لا تكون كحالة معارفى وجيرانى . الذين تزوجوا وأخطأتهم الأمانى . اذ لم يؤدوا الزواج حقته . ولم يأخذوا في أسبابه بالثقة . لان منهم من باعل . وهو غير كفؤ لهذا العمل . اما لصفر راحته . أو لعدم سماحته . أو لمباينة سنه عن سن زوجته . أو لضعف في آله . أو لولته كان من الرمالعية على شفا . أو كان مصلفاً أو مشغشفاً . (٢) أو لان أميره كان يقيبه عن وطنه . أو لأن جاره كان يخالفه الى عطنه . أو لان أمه كانت رقيباً على امرأه . أو لأن امامه كان ضيقاً لمعلى مائدته . فلذلك ار بينهما النكار . وطال النكار . فقد القميصان من قبل ومن دبر . وتنف شعران والصخب كثر . وخدش الجلدان خدشاً بالظفر . وأنتن الريحان

(١) الحت جس الكبش ليعرف سمته من هزاله

(٢) المصلف من لا تحظى عنده امرأة وهو أيضاً الذي نقلت روحه

وقل خيره والمشفشف من به رعدة واختلاط غيره واشفاقاً على حرمه .

من فوق السرر . أما أنا فاني بحمد الله خال عن هذه الخلال . فلا تحول لي مع زوجتي حال . ولا تراحمي فيها الرجال . ولا يعتريها منى ملال . قرضاي رضاها . ومناي منها . وما أنا بأدم ولا أبخر . ولا أحذب ولا أخنب . وان لي يدين أعمل بهما ورجلين أسعي عليهما . وان يكن بي من عيب في خلقي . يستره عني حسن خلقي . فاني لأعرضها في طعامها . ولا في لباسها ومناها . بحيث تنام الى جنبي . وتتخذ من الملبوس ما يليق بها وبني . ما يعني من اتخاذ قرينة . تكون على هذه الصفة الميمونة . حتى اذا سمع الناس بأن زوجي عروب . وعرضها عندي مصون ووجهها عن المراود عجوب . حسدوني على هذه النعمة السابغة . فكان لي كل غصة من العيش سائفة . ولا يخني كفى كيد الحسود من لذة . لاتناعس عنها الا لذة . ما عدا ارتياح النفس الى الجنس الانيس الذي قربه للقلب نرويح وللسكر تنفيس . وان امره أيقاسي النهار جهده . ثم يبيت في الليل وحده . من دون ضجيع له تنفخ في أنفه . وتسخن دمه من أمامه ومن خلفه . لجدير بان يحصى مع الاموات . ويلقى بين الرفات . هذا واني أستغنى برضاها عن الشراب . وبشم شمرها عن المسك والملاّب . فانهم قالوا ان الرائحة الاتوية تستنشق من منابت الشعر وبها نشوة الحواس . سواء كان في المغايب أو في الرأس . واجتزى بحر جسدها عن الوقود الاصطلا . وبالرنو اليها عن الأمد والجلاد . فيتوفر علي كل يوم في الاقل درهم . أغرق نصفه على الحمام كل غداة فيبني لي النصف الآخر وذلك خير عم . وغنى أم .

فاما ما يمال في كيد النساء . واعنانهن الرجال بما يمز على الاسا . فليس ذلك على عمومهم . ولا تقسرر حكم الا واستثنى أمور من تمميمه . فلهي أول من أخرجه هذا الاستثناء . وسن للاعزاب على الزواج الثناء . كيف لا وأنا ذو فصاحة وتبيان . ودهاء وجنان . ما يميني شيء من

نكرها . ولا تخفى عني خافية من امرها . فعارضها وأحجها . وأربها انه
لي عليها قسيه تضطرها الى طاعتي وتحوجها . فان قلت لها اليوم يصوم
فيه المبالون . ويتبتل المفاعلون . قالت أنا أول من صام . وآخر من
نام . وان قلت لا يجمل بالمحصنة ان تتهرج . قالت ولا ان تهنج . وان
قلت ان حق الزوجة على زوجها في كل اسبوع مرة . قالت وتبقى
ايضاً عفيفة حرة . وان قلت لبس الحلي بلام للمرس . قالت ولا الديباج
شر لبس . وفي الجملة فان عشي معها يكون رغيدا . وحالي سعيدا .
وحظي مديدا . وطعامي مريثا . وشرابي هنيئا . وثوبي ضبثا . وفوشي
وطيئا . ويني مأنوسا . ومتاعي محروسا . وطرفي قريرا وشأني مذكورا .
وسمي ميمونا . وقصدي مامونا . فني هل الزواج . بلموب مفتاح .
طلعتها علاج . من الالعاج . وضجعتها انهاج . الى الإفلاج . انتهى .
واما اقول ان مما غرس في هذه الطينة البشرية اللثية ان الرجل متى وطن
نفسه على الزواج حبيب الله اليه زوجه على اية حالة كانت حتى يراها احسن
الناس خلفا وخلما . لا بل يرى نفسه انه قد ترفع عن اقراه . وتغزى
على اخوانه . حتى يستخس ما كان من قبل يستعظمه . وانه قد صار
انسانا جديدا يجدر بان يجدد له وجه الارض . وناء على ذلك لم يعد
القاريق يرضى بالاعاني والاشعار المتعارفة بل استبدل الاولى باخرى
جديدة من نظمه . ونظم خلال ذلك قصيدتين حاول فيهما اختراع اسلوب
غريب لجاتا طيختين كما سترى ذلك . ولو استطاع ان يخترع كلاما
جديدا يعبر به عن غرامه وحديث شأنه لقعل . وكان اذا راي رجلا
متزوجا يهيب به ويثبده

انا في حلبة الزواج المجلى اما انت فسكل قاشور

ان قدحي يفوز عما قريب اما قدحك السفيح يور

ارعبا قال له

يا ايها الاعزاب اني رافض دين المزوبة فاقدوا بمثاليا
 ليس الغنى الا البمال فبادروا يا قوم واستغنوا بمثل بماليا
 وتهوس يوما لأن ينظم ديوانا يشتمل على ابيات مفردة تباثنا على
 احداث شيء غريب فنظم اربعة ابيات ثم امسك . وهي
 ساعة البعد عنك شهر وعام السوصل يمضي كأنما هو ساعه
 انتجم الليل الطويل صباية وتنجمي لنجوم ذي تغليك
 ويخفق مني العلب ان هبت الصبا ويذكرني البدر المنير بحياك
 الاليت شعري كم يقاسي من النوى واحائه قلب يذوب تجلدا
 ومن الفضول هنا أن نقول انه كان يقول لخطيبته انك ملأت عيني
 قرة . واني اراك أحسن الخلق . وانا ليهبطنا الناس . واثق تغيبني عن
 الغنى . واني بقريل سعيد . وبيعدك عميد . وانا نكون أبداً كما نحن الآن .
 واثق ذات ملاحه تشغل الخلق . واني اثار عليك من التسميم فيء شعرك
 هذا الدجى . وانا لجسمان في روح واحد أرواحان في جسم واحد .
 واثق لثرين مني كل يوم محبا جديدا . واني لارى فيك كل وقت حسناً
 حديثا . وانا نكون قدوة للمتزوجين والعاشقين . الى غير ذلك من الكلام
 المتعارف عند أمثاله . قال خير أيام الانسان في حياته هي المدة التي تتقدم
 الزواج والتي تليه . قلت ومبلغها عند الأفرنج شهر يسمى قمر المسمل
 وهو بعد الزواج . ومبلغها عندما معاشر العرب شهران يقال لهما قمر المسمل .
 حتى اذا امتلأت الخلية عادت كل نحلة زنبورا ورجع كل شيء الى اصله .
 وأقول ان المحبة هي مما غرس في الطبيعة البشرية من يوم الوضع في
 المهد الى يوم الوضع على التمش . فلا بد لهذا الخلق الآدمي من أن يحب
 ذاتا من الذوات أو شيئا من الاشياء أو معنى من المعاني . وكلما زاد حبه
 في قسم منها نقص في قسمه الآخر . وقد يكون أحدها سببا في زيادة
 حبه للآخر . مثال ذلك من كلف بالشعر أو الفناء أو التصوير فكلفه هذا

يكون باعثه على حب الذات الجميلة . ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وأن تقل رغبته في النساء بل ربما لى عنهن بالكلية . ومن كلف بالخليل المطهمة والسلاح النفيس فقد يكون كلفه هذا شاقا له الى حب الذات أولا . وعد بعضهم من هذا النوع السرابانية وهم المنظفون للبراحيض . وأسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كلف من هوى النفس . فهذه ثلاث حالات متسببة عن ثلاثة أسباب . وهناك أيضاً ثلاث أحوال اخرى باعتبار العلة والكثرة وما بينها . الاولى متعادلة وهى أن يحب الحب محبوبه كتنفسه . فلا تطيب نفسه بشيء ولا تهتبه لذة إلا اذا كان محبوبه مشاركاً له في تلك اللذة . وذلك صفة الرجل قبل زواجه وبعبده . ولا تخلو هذه الصفة عن الرشد والبصيرة . الثانية المتعدية أى المجاوزة للمتعادلة . وذلك كأن يحب الحب حبيبه أكثر من نفسه . وذلك صفة الأب والام في حب ولدهما وصفة بعض المشاق . أما الأب فانه يفدى ولده بروحه ويحرم نفسه من اللذات والمسررات حتى يمنه بها . فاذا رأى نفسه عاجزاً عن الاكل والبعال ورأى ابنه يأكل ويباعل لذه ذلك . وهو مع هذا غير خال ايضاً عن الرشد والتميز . فاما العاشق فانه قد يؤثر معشوقه على نفسه غير ان افعاله تكون مختلفة في غير محلها ووقتها . والثالثة معلومة وهى ان يحب الانسان محبوبه مع اثار نفسه عليه وهو الاغلب . وهناك ايضاً ثلاث احوال اخرى مكانية وهى القرب والبعد والتوسط . ولها تأثيرات مختلفة بحسب اختلاف طباع الناس . فالصادق الود يحب في حالى القرب والبعد على حد سوى . بل ربما كان البعاد مهيجاً له الى زيادة الشوق والغرام . وما احسن قول من قال في هذا المعنى

كان الهوى شمساً ابى ان يردّها مهابة نوى لا بل تزيد بها حراً
فاما الطرف الشنق فانه لا يرسل الساق الا ممسكاً ساقاً . وثلاث اخرى

رمانية وهى الصبي والشباب والكهولة . فحبة الصبي اسرع واعلق . وحبة الشباب أحر وأقوى . وحبة الكهولة اقر وادوم . والكهل يقدر بحاسن محبوبه ومنافعه أكثر . ومحبة له تكون امر واحلى . فالمرارة لعلمه انه قد عرض نفسه للوم اللاتمين وعذل الماذلين من الاحداث والاغرار . ولأشفاقه دائماً من ملل محبوبه اياه . فقلبه ابدأ واجب . وهمه بشأنه ناصب . والحلاوة لزيادة معرفته بقدر محبوبه كما تقدم . ولكون هواه والحالة هذه راهنا متمكنا فهو يمتد بجوامع قلبه انه ساع في اسباب سعادته وحظه . و١٠ ايضاً ثلاث حالات اخرى باعتبار الاستطاعة وعدمها اعنى اليسر والعسر وحالة ما بينهما . اما الموسر فان محبته ابرد واحول . لأن غناه يحمله على استبدال محبوبه والتنقل من حال الى حال . فليحذر النساء المحصنات هذا الصنف من الناس وان ماس بهن ماسه . الا اذا كن لا يخفن على سرهن وعرضهن . لأن الغنى يستحل خزن الدينار . وعنده ان كل شيء عبد درهمه . وطوع نهمة . فاما الفقير فان محبته اشط واشد والوع . لان فقره من حيث كان مانعاً له من ازالة الموانع التى تحول بينه وبين محبوبه لا يلبث ان يفضى به اليأس او الحبال او الى الانتحار . فاما المتوسط فان حبه اعتدل واصح . ولها ايضاً ثلاث حالات اخرى وهى الذل والعز والمساواة . فالذل غالباً صفة العاشق والمز صفة الممشوق . ومن اعجب انواع المحبة الحب المختلط بالبغيض . وذلك كأن يهوى رجل امرأة وهى تهوى غيره وتمنع عليه . فيهيح به وجده الى وصولها تشغيماً منها . فان فاز به غلبت محبته على كراهية والا فلا . ولا يزال هذا دأبه حتى يسلو عنها . والقالب ان الحب لا يسلو محبوبه اذا عامله بالصد والحرمان الا اذا ظفر بآخر شبيهه فى خلفه وخلقه وهيئات ذلك . فاما بواعث المحبة فقد تكون عن نظرة واحدة تع من قلب الناظر موقماً مكيناً . فتخرج فيه من محركات الوجد والشوق ما تلحده عشرة مدة مديدة . وعندى انه لا بد وان يكون

الحب قد تصور في عقله سابقاً صفات وكيفيات من الحسن فصبا إليها .
حتى إذا شاهدها حقيقة في ذات من الذوات كما كان تصورهما علق بهما
قلبه وخطره فكان كمن وجد ضالة ينشدها . وقد تكون المحبة عن طول سماع
عن شخص فيسترسل السامع إليه شيئاً فشيئاً حتى يكلف به . وأكثر
أسباب المحبة النظر والعشرة . واعلم أن كثيراً من الناس قد عشقوا الصور
الجميلة في الذكور والاناث لفرد عارة وفسق . وإنما هو ارتياح نفس ووجد
بال . ويؤيده ما ورد في الأثر . من عشق فكتم ففث مات شهيداً .
والعاشق في هذه الحالة يرضى من معشوقه بأذى شئ . فالعيلة عنده نصر
وفتح وغنيمة . قال الشريف الرضى

سلوا مضجعي عني وعنهما فانتا رضىنا بما يحزننا المصاحج
قلت لو كان لى تصرف فى هذا البيت لقلت عنها وعنى . وقال ابن
القارض رحمه

بات طوع عدى والوصل يجمعنا فى بردته التقي لا تعرف الدنيا
وهذا العشق يسمى عند الأفرنج العشق الافلاطونى نسبة الى افلاطون
الحكيم . ولا حقيقة له عندهم وإنما هو مجرد تسمية . ويعرف عندنا بالهوى
مذرى . نسبة الى عذرة قبيلة فى اليمن لا الى عذرة الجارية أى بكارتها
وافتناضها وشئ آخر منها . ويروى عن مجنون ليلاتها اتمه يوماً وجملت
تحدثه فقال لها اليك عني فاني مشغول بهواك وللمتنبى فى هذا المعنى
فشغلت عن رد السلا م فكان شغلي عنك بك

واحق النساء بان تمشق وتمزالتى جمعت الى حسن خلفها الادب
وحسن المنطق والصوت . واسعد الناس حالا من كان له حبيب يحبه كما
جاء فى بعض المواليات المصرية . فانه والحالة هذه يقدم على أصعب الاعمال
واعظم المساعي . ويباشرها من دون ان يشعر بها . لان فكره ابدأ
مشغول بحاسن حبيبه . فلورفع صخرة فى هذه الحالة على عاتقه بل

قنداً لتوهم انه رنح نعال محبوه أو بالحري رجليه . ثم انه مما يلحق المحبة من طوارىء التنفيذ والخبية والحرمان وخصوصا مضض السيرة فان عيش الخلي لاخير فيه . لان الحب يبعث على المروءة والنخوة والشهامة والكرم . ويلهم الحب المعاني اللطيفة والخواطر الدقيمة . ويكسبه الاخلاق المرضية . ويستوحيه الى عمل شىء عظيم يذكر به اسمه ويحمد شأنه ولا سيما عند محبوبته . وقلما رأيت عاشقاً به جفاء وفضايلة أو رث . وبلادة أو دناءة وخساسة . قل بمض المزهين وأظنه من التبتائين لو لم يمنع من عشق المرأة شىء بعد التمتع والتورع سوى الاضطرار الى حبها لكنى . لأن الانسان متى علم أنه مسخر لحب شىء ومكلف به مله بالطبع ونفر منه . قال فيكون حب المرأة على هذا مغايراً للطبع . هذا اذا كان الرجل شهما عزيز النفس عالي الهمة . فلما الاوماش من الناس فلا معرفة لهم بقدر أنفسهم فهم يتساقطون على حب المرأة حينما عنت لهم وكيفما اتفق . قلت هو كلام من لم يذق الحب أو من كان مفركا . ولو سمع أثني تقول له يوما احمل ياروحي هذا الحمل من الخطب على رأسك أو احب ياعيني على استك كالولد الصغير للباها حاملا وزحنتقاً (١) ثم ان للمعشاق مذاهب مختلفة في العشق . فمنهم من يهوى ذات التصع والتمويه والمعجب . ومنهم من لا يعجبه ذلك وانما يؤثر الحسن الطبيعي . وأن يكون في محبوبته بعض الغفلة والبلاهة . والى هذا أشار المتنفي بقوله

حمن الحضارة مجلوب بظئرئة وفي البداوة حسن غير محلوب

وعن الاول مثل من يقدم له لون من الطعام وبه قمه فيحتاج الى التفتيح والتفتيت . ومثل الثانی مثل من به سيفنية وسرطمية (٢) فلا يمنعه

(١) الزحنتف الزاحف على اسمه

(٢) سيفنية طائر بمصر لا يبع على شجرة الا اكل جميع ورقها والسرطم الواسع الخلق السريع البلع

عندم التنفحة والتوايل من أن يلسو ويلوس ويلقى ثم يلحس قعر الجفنة بعد فراغه منها . فأما رغبة بعض الناس في الغفول والبلاهة فإنها مبنية على أن يحب لا يزال يقترح من محبته أشياء كثيرة تبعث اليها الحاجة . فتي كانت ذات دهاء وذكاء خشي أن تله وتحرمه . ومنهم من يزيد في المرأة غراماً إذا كانت ذات عزة وشرة وممارسة . فيكون استرضائها أدعى إلى النشاط والسعي . وهذا يفعله في الغالب من يتفرغ للهوى . ويتصدى له من كل جهة . ومنهم من يعشق المرأة لاتسامها باسمه شرف وسيادة أو وجاهة . وذلك دأب ذوي الطموح والاستطاعة . ومن هذا الصنف من إذا رأى امرأة وضيفة الشأن تشبه امرأة نريفة عشقها لأجل حصول المشابهة فقط . ويقال لأهل هذا المذهب المشبية . وهو في النساء أكثر فإن المرأة لا تنكح ترى رجلاً إلا وتقول لعله يشبه بعض الأمراء الغابرين أو الحاضرين أو الآتين . ومنهم من يعشق من بها ذلة وانكسار وملانة . وذلك شأن ذوي الرفق والركة . ومنهم من يعشق من على طامتها آثار الحزن والكآبة والفكرة . وهو مذهب ذوي الحنين والطرب ومنهم من يعشق ذات البشر والطلاقة والانس . وهو خلق المحزونين المبتسين . فإن النظر إلى مثل هذه ينفي الهم . ويجلو الكرب والغم . ومنهم من يعشق من بها مرح ونزف وطيش وريرة وقهقهة . وهو دأب السفهاء والجهلاء . ومنهم من يعشق المرأة لأدبها وفهمها وحسن كلامها ومحاضرتها وسرعة جوابها . وهو مذهب العلماء والادباء . ومنهم من يعشق من تكون كثيرة الحلي والتألق في اللبوس كثيرة الفنج والمويه . وهو طريقة ذوي السرف والشطط . ومنهم من يعشق الماجنة المتهتكة المستهترة . وهو شأن الساق الفجار . ومنهم من يعشق الخيتومر الشهوانية المتلحجة الطمسة . وهو خلق من بلغ به العهر مبلغ . ومنهم من يعشق اللاعة الخريدة العفيفة ابتغاء أن يفسدها ثم يتباهى بذلك بين أقرانه . فإذا رضيت له لم

أو ارادها أن تكون على غير تلك الحال . وهو عندى شر من عاشق المتوهجة . ومنهم من يحب اجتماع هذه الصفات المختلفة كلها في محبوبته بحسب اختلاف الاحوال . هذا في الخلق فاما في الخلق فالتحيف بهوى السمينة وبالعكس . والاسمر يحب البيضاء وبالعكس . والطويل يحب القصيرة وبالعكس . والاملط يحب الكثيرة الشعر وبالعكس . أما النساء فاحب الرجال اليهن الفارس الأجمع . الشجاع الاروع . قاما الغنى والفقر فلا ضابط لهما فان الغنى يتهافت على حب الفقيرة كما يتهافت على حب الغنية . بل البخيل من الاغنياء يؤثر حب الفقيرة طمعاً في أن يرضيها بالليل من المال . والغالب أيضاً ايثار حب الجليل الغريب للاستطلاع على ما عنده من الغرائب التي تصورها الخيالة وجودها فيه دون غيره . الا اذا منع مانع جهل بلغته فع يحصل للمخيلة انقباض في تمامها . وكما ان لطف النساء وقلقتهن تعجب الرجال ولا سيما في الفرائس كذلك كان يعجب النساء من الرجال ترارهم وشيظمتهم . فلا تكاد امرأة ترى رجلاً على هذه الصفة الا وتقول في قلبها عند هذا كفايتي وغناي . وقد لحظت العرب هذا المعنى باشتقاقهم الطول من الطول . غير ان النساء على الأعم يحنين الذات من كل بحنى ويكرعن من مواردها ما ساغ وما أغص . فتلهن كمثل النحلة تحبى من الزهروان يكن على الدمن . فاما الغيرة فهي خلق طبيعي في كل بشر اذا كان سليم الذوق . فان الانسان يثار على متاعه من أن ينتهكه غيره فكيف على حرمة . وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة على نساءهم فليس على اطلاقه . فان منهم من يقتل زوجته ونفسه معاً اذا علم منها خيانة . نعم انهم يتساهلون ممن في أمور كثيرة ربما تعد عند المشرقين قيادة . الا انها في نفس الامر وقابة من الخيانة . اذ قد قرر عندهم ان الرجل اذا حظر امرأته عن الخروج وعن معاشرة الغير أغراها بالضمد . بخلاف ما اذا أرضاها بهذه اللذات الخارجية .

ثم انه لما علم اجتماع المستعسلين أي الفاريق والبنت خلافا للعادة المألوفة ذاقت أمها من ذلك مرارة العذاب فاستشارت بمض أصدقائها في أمرها فقالوا لها لستنا نرضى بمصاهرة هذا الرجل لانه من المخرجين . وأنت من أعز بيت من السوقين وهما لا يجتمعان . فقالت لهم ليس هو من جرثومة المخرجين بل هو دخيل فيهم . قالوا لافرق في ذلك فان رائحة المخرج ساطمة منه وقد ملأن خياشيمنا وحذروها منه غاية التحذير . مع اني قد حذرتهن وأمثالهم في القصل الذي مر من هذا الفضول . فلما علمت البنت بذلك نبض فيها نبض الخلاف وقالت ليست هذه الفروق من مصالح النساء . واما هي مصلحة من اتخذها وسيلة للمعاش والجاه . والمقصود من الزواج انما هو التراضي والوفق بين الرجل والمرأة . وان أيتم ذلك فما أنا أنذركم اني لست من السوقين في شيء . فرأت أمها ان تغيب بها اياها عن ذلك المحل رجاء أن يعثها البعد على السلوان . فهاجت ج جميع عواصف الهوى في كل من الداسل والممسرل . واليه أشار أبو نواس بقوله - دع عنك لومي فان اللوم اغراء - فلما رأت الأم ان لا اشارة . تمنع البنت من الاشتيارة . ولا جزر . يكفها عن الجزر . (١) رجعت الى منزلها واستدعت بالمارياق وقالت له . قد علمت ان السوقين لا ينفون مصاهرته . فان كان عزمك على أن تتزوج ابنتي ينبغي لك أن تتسوق ولو يوماً واحداً قال لا بأس . فعلى هذا تسوق يوم عقد الزواج وقرت عين كل منها ومن البنت . ثم أحضرت آلات الطرب ليلاً وأدير الكؤوس وزها مجلس الأناج والسرور . والمارياق مواظب فيه على خدمة ادارة الكاس ومعيد على المازفين الاطراء وقول آه واياه وأوه . حتى اذا كلت يده ولسانه ورأى ان عزم الشرب ان يسهروا الليلة كلها الى الصباح انسل من بينهم وصعد الى السطح لكي يستريح . وكانت الليلة مقمرة

(١) الجزر شور العسل من خيلته

من ليالي الصيف . فلما أبطأ عليهم ظنوا انه ثقلت من الأربة فأخذوا في التفتيش عليه كما يفش على امرأة فالك أو فارك . فلما وجدوه وعلموا ان نيته مخالفة لنيتهم أخلوا له ولعروسه حجرة ومهما بالانصراف . فقالت الأم لا أو تنظروا بأعينكم البصيرة (١)

وسبب ذلك ان عادة أهل مصر في الغالب هي أن يتزوج الرجل المرأة من دون أن يعاشرها ويعرف أخلاقها . وأما ينظر إليها نظرة واحدة بأن تناوله مثلاً فنجان قهوة أو كأس شراب بحضرة أمها . فن أعجبه خطبها من أهلها والا كف رجله عن زيارتهم . ومنهم من يتزوج ولم يكن رأى امرأته قط . وذلك بأن يبعث إليها بأمه أو عجوزاً من أقاربه ومعارفه أو قسيساً فيصفونها له بمقتضى ذوقهم وخبرتهم . والغالب ان أم البنت ترشي القسيس ليحيد صفة بنتها فيرغب الرجل في التزوج بها . ومنهم من يتزوج امرأة قاطنة في بلاد بعيدة فيبعث الى أحد معارفه في تلك الجهة ليصفها له في كتاب ثم يستخير الله ويرتقى . ومع ذلك فان عيش هؤلاء المتزوجين على هذا النمط يكون هنيئاً . فاما في بلاد الشام فمادة أهل المدن كمادة أهل مصر وعادة أهل الجبل مفارقة . فان الرجل هناك يمكن من رؤية المرأة ومعرفة أخلاقها . هذا ولا كان الفاريق قد تدعى حدود العادة بمصر في كونه اجتمع بالبنت مراراً عديدة في حضور أمها وبغيابها . أرادت أمها أن تنفي عنها العار باظهار علامة البكارة ، حتى يشيع خبر براءة البنت في جميع البلاد . فان أكثر الناس لا شغل لهم الا الكلام . فاجتمعت تلك الزمرة وراء الباب بعد أن جمعوا بين العريس . وطلق الواحد منهم يتأدي ويقول افتح الباب يا أبا مزلاج . فظن الفاريق ان يريد الدخول عليها ليعلمه كيف يكون العمل . ففتح له فقال له ما هذا الباب عنيت واما أردت باب الفرج . فرجع الى عروسه واذا باخريقرل

(١) شيء من الدم يستدل به على الرمية ودم البكر

لج القبة يولاج . وآخر نجر العانة يا بجاج . وغيره ارو الصدى يا بجاج .
 وآخر ازل الزغب يا خلج . وغيره أفرغ السجل يا خلج — أسرع الوطء
 يا زلاج — املاً الوطب يا زماج — ملل للمول يا معاج — اغطس في
 اللجة يا غاطس — افقس البيضة يا فاقس — أجل المسواك يا وامس —
 تسور السور يا معافس — روض المهرة يا فارس . وما زالوا به حتى شام ابا
 عمير وناول أمها البصرية . فتهللت منهم الوجوه وفرحوا حبورا . وصفت
 الابدی استبشارا وهرورا . ونطقت اللسان بالثيرة . وختموها بالتهينة
 ثم انصرفوا وكانهم قد قفلوا من غزوة غامين . وكادت الأم تطول عن
 الأرض شيئا لهذا الفتح المبين .

القصيدة تان الطيختان

ما كنت أول عاشق بين الورى	تبع المشيقة من امام ومن ورا
ورأى اليكاه له معينا شاقيا	يوما ويوما أضحك المستميرا
ويكون مصروع الغرام مزيا (١)	متكسسا مستقبلا مستدبرا
ومحبشا ومحشا ومدفشا	ومنكصا ومزنجرا ومعجرا
ومرغا ومعنيا ومصفرا	ومشبا ومطبلا ومزمررا
وفينة مثائبا متطما	وفينة متقاعسا مقعنصرا
واذا رأى رأيا مشيدا كان في	ارامه مترهتا متأخرا
فالمشق عقل العقل عن صيوره	حتى يضل عن الصواب ويبطرا
فد كنت أعجب أرو يقولوا شاعر	ذو جنة واخال ذلك مفترى
حتى لعت صويحي كليها	فاذا هما من طينة قد صورا
خان الجمال لمين صب جنة	ولقلبه نارا تزيد تسعرا
لا غرو أن يقدو لجرة وجه من	يهوى وقد حمل الخرام عمرا
يألت يغني المره يوما واحدا	عنهن من شيء يباع ويشترى

(١) التزيب التزيد في الكلام كالترتيب وزبب فيه اجتمع الريق في
 صامفيه والتكسس التكلف

ليت الجمال لمن مثل الملح في قدر الطعام مهوعا ان كثيرا
 بل ليتهم خلقن أقبح ما يرى كيلا نهم تحيرا وتحيرا
 ليت الكواعب كن هضلا حبذا الطرطب مع لا ياكبادى منظرا
 ياليت ذي الهيفاء دردحة (١) وذى الدهساء فلحسة فيهننا الكري
 ليت العيون التجل ضيقة وما في الثغر من در نظيم صفرا
 ياليت كانت كل ساق فعمة عود الشكاعى بل أدق وأضرما
 ياليت لم يصلت جبين فوقه شمر كليل كل غر غرما
 ياليت ما في الجيد من عنط بدا وقصا لا عيننا وشيا منكرا
 والحسن ان القبح أحسن ملحا اذ ليس يبكى العين ما منه يرى
 فلاي داع كان شغل عقولنا وقلوبنا بهوى الوئار أكثرا
 ولم اختصاصن بكل علق مضنة وبكل حلى فاخر دون الورى
 وبم ارتفعن على الرجال تطاولا ولهن تحت قدما وتأخرا
 والى تمطير الفحول وقد طغت أفسالهن تحير المتصبرا
 منا خرجن عقلنا ويخرجن اذ يدخلن أو يخرجن سفه من مرى
 ولاي شيء لم يكن قود على من لحظها قلب المتيم قد فرى
 ولاي شيء حل رشف الريق من ثغر الرشوف وكان ذلك مسكرا
 وعلى م تصد الشناط على شج عسى ويصبح بالغرام محسرا
 سلها هل التنور قار كما انبى في كل شهر أم تأخرا اشهرا
 ابن المال والمكالم اين من فخر الانام بمزى وتحيرا
 يقتاده اسم الخودان ذكرت له طوعا وكرها وهو يهزم عسكرا
 واذا تجشأ ساعة في وجهه من اي سم قال انشي عنبرا
 ولربما عسق الكبير فحن من ربح من الحسنة تقم منخرا

(١) الدردحة المرأة التي طولها وعرضها سواء والدهساء المجزاء
 واللمحسة المرأة الصغيرة العجز

ولوان دا القرنين جارى كيدها راى الى قرنيه قرنا آخرا
 لولا النساء لما رايت مخطاء ومسفها ومفسقا ومفجرا
 ومفلسا ومجبها (١) ومعتنا ومكشختا ومجرسا وممززا
 ومتبا ومبها ومسمها ومدما ومدما ومشهرا
 ولما تناثرت الجماجم في الوغى تحت السابك وهى تورى والمفجرا
 ولما غفت دول بين لمت فيبينها الدمار فاصبحت تحت الثرى
 املت علي حوادث الامم التي غيرت فقلت مقال من قد حررا
 يارب قد فتن النساء عقولنا فامسخ محاسنهن قبحا يزدري
 أو فاجملن غشاوة تغشى على ابصارنا اولا قاعم المبصرا
 او قانصنا او قابصنا او قالصنا ار قانصنا طبعنا بصاء بالحرى

الثانية

لن أشكو وقلبي السيوم من أكبر أعداى
 لن أشكو وعقلي السيوم معقول بأهواى
 وطرفي مبسل لى ولبي جالب داي
 ولوامي من كانوا اذا غبت أوداى
 ولأوداى من الألو عن الألى من اللاى
 وقد افسد آرابي جميعاً بمضها اللاى
 رأى نار الهوى تذكو لاحراق واصلاء
 فما بالي باصلاى تلظيها واسلاى
 يقول الخنف من لمج وكوني ميت أحياء

(١) التجبيه ان نحمز وجوه الزانين ويحملا على بصير او حمار ويخالف
 بين وجوههما وكان القياس ان يقابل بين وجوههما لانه من التجبيه
 والكشخان الديوث وكشخته قال له ياكشخان .

احب الي من عيشي يوما عيش تيتاء
 حياة الصرى تكدير وصفوتها باصفاء
 وما يتجعجج نصيح فيه لو كان باتلاء
 فهل من حكم ما يئتنا يقرو بافتاء
 عواديه ودعواه باصباحي وإمساى
 وثورته ورثائه لاخلزاي واخساي
 طفا خطبي فإلى اليو م من آس واسواى
 فاسواى لا ينفك من لهج باسواء
 فلا يشغلكم هجوي وتقريظي واطراى
 فراسي اليوم امرة لداعي نكس اهوای
 فلا مطمع فى رشد خلیع رق اغواء
 اذا وقصت به عنقي فلا تشكوا لانماى
 وان شجعت به راسي فلا تبكوا لادماى
 وان هتمت به سنى فلا تعموا عن الماء
 وان بخرقت به عینی فلا تكروا لاعماى
 جرى المقدور من قدم بتضليلي واشسقاى
 فلو شاء لأبقاني معافي اي ابقاء
 ولو شاء لأعماني عن لقاء س .
 دعوا اذا الوجد يشقيني ويميني باشفاء
 وهذا المشق يضنيني ولا تعنوا باشفاى
 فذا عظمي وذا جلدي وذا شاني وانشاى
 فما يدخل ما بيني وبين هوى بأحشاى
 سوى فقط فضولي زنيم شر مشاء
 اذا اسمعتكم عتاباً فمدوني من الشاء

ولا تبقوا على طوقى وجلباني وأعضائي
فان القدم من يسمع ذا عذل باغضاه
وان الحر من يسمع عتياً تلو ارضاه

الاعاني

يا بدر مالك فان	في حسنك القتان
قارحم فقي ولهان	مببل البال
عذب بما ترضاه	الا الجفا أخشاه
قد طال ما أصلاه	وأنت لي سالي
يا يوسف الحسن	حوشيت من سجن
هددت بالحن	أركان آمالي
من ذا الذي أغراك	بصد من يهواك
الطرف منه باك	وجسمه بالي
حاتم ذا الهجران	والصد والحرمان
حسن بلا احسان	كلاري بالال
عجبك الواجد	منك الرضى فاقد
يا ليتني واجد	اتهام عذالي
أضناني السهد	وعزني الوجد
ما القصد ما القصد	سواك يا علي
يا فائن المشاق	باللحظ والاحداق
تبارك الخلاق	لحسنك الكالي
أفديك بالمال	والروح والآل
رضاك أشهى لي	من طول آجالي

غديره

ما ترى عيني مثلك	يارشا فارم قتيك
لم يرم الا سلامك	ثم ان شئت جميلك
كل ما فيك مليح	كبدي منه جريح
بليت تغدى مقامك	والهوى فيها صحيح
أنت لي يا بدر سالي	وأنا للهجر صالي
من يذق يوما غرامك	لم يذق طعم الليالي
يارشا صدد دلالا	وجواني منه لالا
أسمع العبد كلامك	وارقب المولى تعالى
فيك تمبيدي وذلي	وهيامي أصل ضلي
ليت من غيري رامك	يبتلي بالهجر مثلي
ضقت بالهجران ذرعا	ولشوقي كان أدعى
لم أزل أرى ذمامك	وذمامي لست نزعى
ان يكن وصل فعدني	فيك قد أحسنت ظني
أسأل الله دوامك	فهو لي أشهى تمنى
يا مليك الحسن طرا	يعرض المملوك أمرا
أدعه يوما غلامك	ان له أجريت ذكرا
طال بالسباب عتولي	والنفات منك سولي
من رأى يوما قوامك	راح صبا ذا نحول
انما بدري غزال	فاتني منه اللال
يا عدولي دح ملامك	انما المشق حلال

نغمه

والهوى نصيبي من يوم اتشيت	الانسا طيبي يا من لي سييت
يا صئو القضب ما هذا الجفا	ان في شحوبي شكوى لوريت
تهت بالدلال شأنك العجب	يوسف الجمال ذا الهوى صعب
أو بقيت سالي لم يفسد دوا	ان تسل عن حالي يتفج العتب
من مغل الوعود صار جسمي بال	من حل الصدود صرت في ذا الحال
ليس من عبيد عن حكم الهوى	أدمي شهودي واشتغال البال
وعلا نواحي مما آدنى	قدرني لي اللأخي لما عاداني
يا زين السلاح أنعم باللقا	وجهك الصباحي ضلا زادني
تلقني فداء جهد المستطيع	مر بما نشأ تلقني وطبع
جسدي أضناه منك قول لا	وامي أذكاه شكك البديع
ليس غير الوعد منك حصتي	من يجد كوجدي يدر قصتي
أنا فيك وحدي مبتلي أنا	بعض هذا الصيد أصل غصتي

غيره

حتى جفوت عاشقا جمالك	يا فافر الجفون ما بدالك
عن مغرم مؤمل وصالك	ويا قضيب البان ما أمالك
الا الجفا شامة المذال	عذب بما ترضاه يا غزالي
أنعم طول العمر ربي بالك	أنعم بوصل منك يوماً بالي
وما لقلبي عن هواك قلب	علام تخفوني وما لي ذنب
دعني أقبل مرة أذياك	بحق من أولاك ما تحب
وعال صبري عنك هذا الشوق	لم يبق لي على الصدود طوق
وهل لعيني ان ترى أمثالك	وليس لي الى سواك توق

احرمت طرفي في الليالي غمضا وقلت أرضى عنه أن يرضى
ياهل ترى صدك عنى فرضا فمن بقلي يارشا أفتى لك
ناشدتك الله أنلني سولى وكن رفيقاً بي يامأمولى
يكفى الذى تراه من نحولى يعيد رب العرش منه حالك

غيره

يا بدر قل لي هذا المعجران تضوي اليه ام أهنيه
جدتي بوصل يا غصن البان تؤجر عليه او فى النية
ما التقصد الا يوماً مرآك فالصب صار فى إليه
لا تخش عدلا ممن أغراك فهو أمار بالأذيه
نعمت بالا أنسم بالى ياذا الجفون الهنديه
وطبت حالا طيب حالى نلى شجون فى الطويه
فقت الأناما بما حويت من الخصال الملكية
ومنك راما عبد سبيت بهذا الدلال قرب الطيه
كم ذا المطال ولا وصال ليست زام ذي السجيه
هذي القمال يارب الخيال وذا الفسرام لي منيه
انت المراد دون الأناام لا ند لك فى البريه
فاسماد بين الوسام انت ملك او حوريه

غيره

الى هنا يا بدر لى انت المنى كل جنى منك الرضى الا أنا
يا فاتنى بالذل لما تخطر وشا جنى اذ جرت شزراً تنظر
قد شاقنى منك الحيا الازهر واسم تاقى وجدي الى حد المنا
بي كلما القالك عنى معرضاً وجد نما لكن جسمي أمر منها

إذا ألمى حطام لا تبدي الرضى صل مغرمًا البسته هذا الضمنا
 سبهان من آتاك ذا الحسن الفريد كم قد فتن صبا به امسى عميد
 انت الحسن والشوق في قلبي يزيد ان الشجن للعظم منى اوهنا
 كلقت في ذا المشق تبرج الجوى حتى تنى لكن! هيهات الوفا
 هل منصنى مما به يقضي الهوى او مسمنى خدن على نيل المنى
 يا بدر لا تسمع مقال العاذل وارع الولا ناهيك وجدى قاتلي
 فقت الملا حسنا فقق بالنائل جد بالطلا من فيك ياحلو الجنى

غيره

اذا أمر الهوى رابك فلا تفتح له بابك
 ولا تشغل به دابك يسمك الحزن والمها
 أثبت المشق من يابه وعملت با كوابه
 فما قد ذقت من صابه دعاني لم أذق طما
 هو المشق له مبدا ولا تلقى له حدا
 يذيق العاشق السهنا ويبل الجلد والمظا
 أيا من قد كوى قلبي بهذا الدل والمجب
 اذا لم تستمع عتبي فن أشكو له السقا
 تناهى بي الذي أجد من الشوق الذي يقد
 فدتك الروح والجسد فكن يوماً معي سلما
 لنفنا فرطت في هجري وملكك الهوى أمري
 فلا والله ما أدري اسحرا كان أم حلما
 عسى أو عل أن تشفى عليلا منك يستشفى
 ونيران الهوى تطفى فقل تطفأ وخذ مهما
 غدا مضناك ياحب له صبر ولا قلب
 ودمع فيك منصب لأن يسقى بفيك الما

غيره

طيري لاغير لا اسلو عنه ساعه يا اهل الخير هلا رعلم من راعه
دمعي سكب وثار شوقي لا تخبر ولي قلب الهوى يبدي الطاعه
انا المهائم عن حب السوى صائم ليلى قائم لا اغنى فيه ساعه
أشكو الوجداء ولم نزد الا صدا فأرجم عبدا قد نوعت اوجاعه
مالي صبر وكيف صبري يا بدر وزا المهجر اشقى نفسي الطاعه
طفلا المهجران وما يشفى الصب الوهمان مثل السلوان لكن نفسي نزاعه
اراني البين انواع الضنا والحين وعشق الزين مني فوق الاستطاعه
دوام الصبر لم يترك للمضنى جد ولين القدر ينشي فيه اطماعه

غيره

لو لم قدم بلوايا لم تستمع شكوايا
ولا درى مبكاي من في الهوى يلحاني
اكثر من صدودي يا مخلصاً وعودي
لم ترع لي عهدى ولم تسل عن شاني
اعرضت عني كبراً وكان وصلي احرى
لقد عدمت الصبرا من فرط ما دهاني
حملتني اقسالا وطبت عني بالا
قل لي نعم اولالا فالماطل قد اضناني
يا مفرد الجمال يا بدر احسن حالي
شمت بي عنذالي اما كفى اشجاني
سبحان من قد ابدع هذا الحيا الاروع
والحسن طراً اودع في طرفك الفتان

ان الهوى هوان تفضى به الابدان
ما اختاره انسان الا وكان الماني
مولاي يا مولاي يا منتهى منايا
لا تخذل سواي وتسلني بشاني

الفصل الثالث

في العلوى

قد تقدم في المعامة الأولى ان عدوى الشر أفضى من عدوى الخير .
وان الاجرب قد يعدى أهل المصرجيما بخلاف الصحيح فانه لا يمدى
أحداً من جيرانه . وهذا يرى أيضاً في الأمراض العقلية والقلبية .
وشاهده على ما قالوه ان معلى الصبيان لكثرة معاشرتهم ومخالطتهم ايام
ترك عقولهم وياقن رأيهم . وكذلك المكثرون من مخالطة النساء فان قلوبهم
نرق وطباعهم تمخث . فيجردون عن تلك الشهامة والبسالة المختصة
بالحريين من الناس . وقد أعرف كثيراً من أبنا جنسى الذين عاشروا
الافرنج لم تسترق طباعهم منهم الا الرذائل دون الفضائل . فصار احدهم
لا يقوم عن المائدة الا وقد مسح الصحيفة التي أكل منها مسحاً لا يحتاج
معه الى غسل . واذا حضر مجلساً انحى على أحد شفيه وزق زقعة يدوى
منها المجلس . وربما غسلها بعد ذلك بقوله سكوزى أى اعذرني . ومنهم
من يابس هذه النعال الافرنجية . ويطأها ساودتك هذه العربية . أو يرخي
شعره كشعر المرأة وأول ما يستقر به مجلس ينزع قبعته ويطلق ويزرع في
حجرتك ما يتناثر من هيرته . ومنهم من اذا ضمه مجلس بين اخوانه
ومعارفه أو غيرهم ورأى فيه أديبين يتساجلان أو برويان النوايا الغربية

أخذ في التصغير . ولكن تصغيراً مختلاً خلاسياً أى غير أفرنجى تحت ولا
عربي حتم . إذ لم يكن قد عاش القوم مدة طويلة تمكنه من تحصيل هذا
الفن الجليل . ومنهم من يمد رجله إذا قعد في وجهه جليسه . ومنهم من
من يأتيك زائراً ولا يرجح ينظر في كل هنية إلى ساعته إشارة إلى أنه كبير
الأسغال جرم المصالح . مع أنه يلبث عندك حتى يراك تهوم من الناس .
أويراك قد حملت وسادتك وقلت شفي الله مريضكم . كما قال الاخفش
لمن عادوه في مرضه . مع أن للأفرنج فضائل كثيرة لا تنكر . منها أنهم
يرون في استعارة المتاع والماعون والكتب وغيرها عيباً . ومنها أنه إذا زار
أحدهم خليلاً له وراه مشغولاً رجع على عفيه من حيث جاء فلا يقعد
ينتظره حتى يفرغ من شغله . بل لو وجدته متفرغاً خفف قعوده عنده
ما أمكن . وإذا رأى على مائدته كراريس أو صحفاً لم يلقفها ليقراها
ويفهم مضمونها . ومنها أنه إذا كان للمزور منهم ولد مريض أو كانت
زوجته قد وضعت أو مرضت فلا يترك مريضه ويقعد مع الزائر لاسلام
والسلام فيما لا طائل تحته . ومنها أن أحدهم لا يتزوج امرأة إلا بعد أن
يراها ويعاشرها . وأنهم يوسون أبدى النساء ووجوه بناتهن وما يرون
في ذلك مرة واحطاط قدر . وأنه ليس عندهم أوشن (١) ولا ضيفن ولا
مزو . ولا يقول أحدهم لصاحبه اعزني مندليك كي أخط فيه أو ألتك كي
احتقن بها . ومنها تساهلهم مع المؤلفين وحملهم ما يصدر منهم من الجهل
والخطأ يحمل السهو أو الأغراب . فلا يتمتعون مثلاً على من قال فلان شمس
الرجس وحبس . أو حبس وشم الرجس . أو شم حبس أو شم حبس .
والمؤلفون عندنا لا يجوزون ذلك . وفي كتاب الله أحد معارف من الديار
الشامية باللغة الانجليزية في احوال تلك البلاد واخلاق أهلها . بعد أن
وصف عرساً حضره في دمشق ذكر أنهم ختموا العرس بأغنية لم يزل
ذاكرها بحروفها . وقد راى تفضلاً منه أن يترجمها إلى اللغة المذكورة . وهي

(١) الرجل الذي يأتي الرجل ويقعد معه ويأكل طعامه

في الحقيقة مرئية في امرأة اذكر منها يتبين وهما

بالله يا قير هل زالت محاسنها وهل تغير ذلك المنظر النضر
ما انت يا قير بستان ولا فلك فكيف يجمع فيك الزهر والقمر

ومع ذلك فان الانجليز حلوا روايته على الاغراب ولم يخطئه احد منهم
بقوله كيف يمكن لاهل الشام الموصوفين بسلامة الذوق واستقامة الطبع
أن يهتموا أعراسهم بالمرائي المبكية . ولكن لو كانت روايته هذه في اللغة
العربية وبلغت مسامع أهلها لعقدوا عليه مجلسين أحدهما عامي والآخر
خاصي ففي العامي يقول أحدهم ما شاء الله يا أخي مرئية في ختام العرس
اسمعوا يا ناس وتمجبوا من حذق هذا الراوي . فيقول الآخر أي والله
مرئية بدل الفنا عمركم يا ناس سمعتموا كلام زي دا . فيقول غيره لا حول
ولا قوة الا بالله ما لقيش المغفل دي الرثاء يجمله في ختام العرس . فيقول
آخر حسبنا الله ونعم الوكيل يمكنش غفله أعظم من دي أهل العرس
يهتموا فرحهم بمرئية وما يتطروش . فيقول غيره الله على دي الراوي هو
مغفل ولا مجنون حتى يكذب على الناس الكذب دي ويملا كتابه
بالهجس والكلام الفارغ . فيقول آخر يا سلام دي والله أغرب ما سمعت
ان الناس يستعملوا النواح عوض الفناء والبكاء عوض الضحك والصنع
على القفا بدل المصاحفة باليد . فيقول غيره ولكن الناس دول اللي قروا
كتابهم حير ولا مجانين ما كانش فيهم واحد يقول له (اذا كان نصرانياً)
ياخو اجا (واذا كان مسلماً أو مستسماً) يا أفندي أهل بلادك يتطشروا
ويتشاءوا كثيراً يصحش ان الرثاء عندهم يستعمل في الأعراس . فيقول
الآخر سبحان الله هو حمار ضحك على حير ياخي خلونا منه . فيقول غيره
لا اله الا الله نحب نعرف السيرة ايه ان كان كلامه دا جدد ولا مزح .
فيقول آخر مزح ازاى اللي هو طابسه في كتاب ينباع في الدكاكين
ومعبور عليه صورته بسيف وحمائل وأزدار . فيقول غيره بقا قول ازاى

يبقى الأنجليز يملأوا كل شيء يستفرغه في حلقهم الشريب الي عند
سيف بأزدار وحمائل . فيقول آخر أظن الأفرنج كلهم يصدقوا الخرافات .
فيقول آخر ياخي يا باب واسع اول الكلام وآخره غفله من الراوى
وحماقة من السامعي . الى غير ذلك من الاعتقاد والتمنت .

فأما في المجلس الخاصي فأن القضية تبلغ فيه مبلغاً أعظم من ذلك
وأخطر . فانهم يصورونها في صور فتاوى علمية واجوبة فقهية فيستفتي
أعظم ادياء المجلس قائلا . ما قول أمام الادياء . وتاج الألباء . في مؤلف زعم
ان أهلي الشام يستعملون المراتي في ختام أعراسهم . فهل تقبل له شهادة
أولا . الجواب . لا تهيل له شهادة عندنا على ذنب حمار . وان ياع كل
نسخة من كتابه عند الافرنج بدینار .

صورة استفتاء آخر . ما قول عمدة المصنفين . وقدوة المؤلفين . في مدع
أدعي انه سمع بكتبا اذنيه مرئية تنشد في ختام عرس في الشام الشريف .
فهل يصدق كلامه ونجوز مطالعة كتابه أولا . الجواب لا يصدق ولا
يوتق بما راه بعينه لا في الليل ولا في النهار . ولا بما سمعه باذنيه وان كان
كاذبي الحمار .

استفتاء آخر . ما قول من كلامه مزيل للابهام . وموضح للابهام .
في كاتب أودع في كتاب الفقه كثيراً من الروايات الهذاهديه (١) والجكيات
الاقتباسية . وزعم في جملة ما قاله ان أهل الشام ينشدون المراتي في ختام
أعراسهم . فهل يحمل كتابه كله على هذا الكذب أولا . الجواب . من
كذب في قضية معلومة مثل هذه فاحرى به ان يكون كاذباً في سائر
القضايا فالاولى حمل كتابه كله على الكذب .

استفتاء آخر ما قول أجل النقاد . وحجة ذوى الرشاد . في رجل
الف كتابا ذكر فيه انه يعرف كثيراً من الأمراء والوزراء . والقضاة والعلماء .

(١) الهذاهذ الذين يقولون لكل من رأوه هذا منهم أو من خدمهم

وانهم له أصحاب وخلان . وأنساب واخوان . ثم ذكر في موضع من الكتاب انه حضر عرساً في دمشق المحروسة كان مزينا بالزهور والراحين . والمغنيات والمغنين . وكان ختام ما غنوا به مرثية قيلت في امرأة . فهل على فرض كونه كاذبا في هذه تشفع له معرفته بالوزراء في تصديقه بغيرها . الجواب . ما هو بصادق في هذه ولا في غيرها ولا تشفع له معرفته بالامراء في شيء كما ورد

لن تنفع الراوي الآفاك تحلته . بانه يعرف الاعيان والامرا استفتاء آخر . ما قول من لا يملو قول على قوله . ولا يقطع امر الا بفضله . في رجل ذي رواء . وسراويلات مفرسجة من امام ومن وراء . الف كتاباً ضمنه ما سمعه وما رآه في بلاده . وكان من جملة ذلك قوله انه رأى عروساً تزف وتشد بين يديها مرثية في امرأة . فهل يعتمد على روايته بالاخذ في روايته . الجواب . ليست الرواية من الزواء . ولا يعتمد على زيه . في الاخبار عن ميتة وحية . كما ورد .

لن تنفع الراوي الآفاك حلته . ولا . اويله ان فاه أوسطرا استفتاء آخر . ما قول عمدة الأنام . عفا عنه الملك العلام . في رجل تصدقه العجم . وتأخذ بكلامه في كل أمراً . وتقر عيون نسائهم بالنظر الى حلته . وسراويلاته وحليته . وكسوفه وجذاته . وخرعنه وجملته . فيخلد بهن خلباً . ويأسرهن غراماً وحبا . الف كتاباً اودعه من اخبار اهل بلاده اى بالادنا ما شاقهن واعجبهن . وشهاهن وعربهن . فن جملة ذلك انه شهد محمداً حميلاً . وعرساً جليلاً . قد زين بالاوار الزاهية . والوحوه الناضرة . والمآكل القسدية . والمشارب المنيية . ولمشومات اذكيه . فلما شرع في زفاف المروس الى املا . واستتمت له العزوة . بفتح فعلها . ايا بمنشدين ومشيدات . ومطربين ومطربات . وفنوا بين يدي المروس . وعلى وجوههم سباب الحزن والمبوس . وشرعوا ينشدون

مرثية طويلة . في امرأة توفيت منذ سنين غير قليلة . فهل يصدق وصفه . ويشفع له فيه خلبه الاعاجم وصرفه . وحذبه منهم وحلقه . وقدامه وخلفه . الجواب . لا يؤخذ بكلامه فيما افتراه . وان كان له اخدان من العجم على عدد شمرات قفاه . كما ورد

ان تنفع الراوى الافاك شيعته من الاعاجم لا يدرون ماهذرا
مع ان كلام المؤلف لم يضر بأهل بلاده شيئاً يوجب التحزب عليه
قعاية ما يقال فيه انه نسبهم الى وضع الشيء في غير محله . ولكن هذه
عادتهم في التعميت فلا يكاد يسلم منهم مؤلف . ولو ان صاحب هذا
الكتاب المذكور قال للانجليزان الرجال في بلاده يلبسون الليف والخوص .
والنساء يتزين بالحزف والشقف . ويتكلمن وأفواههن مطبقة . وينظرن
وعيونهن مغمضة . ويسمعن واذانهن مسدودة . ويرقدن ساعة في الضحى .
ويصف ساعة في الظهر . وساعة وربما في العصر . وساعتين الا ربما في
المساء وثلاث ساعات الا ثلثا في الليل . لدوا ذلك منه اغراباً .

ومن هذا العييل أى من قبيل استراق الأنسان مذام عشره دون
محامده كان اظهار البعمرة أى علامة البكارة المشار اليها . فانها عدوى
صرت الى نصارى المشرق من اليهود على ما ذكر في كتبهم . مع ان لهذا
الجيل أيضاً فضائل كثيرة عرفوا بها من قدم الزمان الى الآن . منها درايتهم
بجمع الاموال والجواهر ومطابقتهم الحرف الخفيفة اللطيفة كالصيرفية والنمد
والقرض . وصيغ ما هو قديم من الثياب حتى يأتي جديداً .

ومر ذلك حب بعضهم بعضاً بحيث ان الغريب فيهم من جنسهم لا يحتاج
الى أن يتكلم ما في أيدي الناس ممن سوام . ولا يخاف ان يعوزه المال
وهو بين ظهرانهم فيتقوت بالجدور . أو يكون خلطاً فيبيح عرضه
للاجانب . بل يلقي في كل بلد نزله وكان فيه اناس من جيله أهلا وسكنا .
ومنها انهم قد اصطلحوا على لغة يعيرون بها عما يخطر ببالهم من المصالح

الماشية . ولا فرق بين يهودى من أقصى المغرب وآخر من أقصى
المشرق فى الاخلاق والاطوار والعادات والرأى . بخلاف النصارى فان
النصراني المشرقى اذا قدم الى بلاد النصارى الغربيين فأول ما يح و نه عند
رؤيتهم له قولهم هذا يهودى أو تركى . ثم هو اذا احتاج الى مبيت أو طعام
من عتدم أبلغوه الى رئيس ديوان السوليس فصانه هناك فى موضع لا نور
فيه ولا هوا الى ان يقتضى عليه الفاضى . كما جرى هذه السنة على أمير
القفه الذى قدم من دير القمر الى باريس . وأن يكن موسراً وجاء بلادهم
للتخرج عليها غبنه منهم من غبن وخدعه من خدعه و رقه من سرق وقامره
من قمر حتى يرجع الى وطنه متتوفاً مسلوخاً . فكيف تركت نصارى الشرق
جميع هذه الصفات التى انصرفت بها اليهود وتعلموا منهم تلك الخصلة التى
لا يتأتى عنها الا العنمة والحسد . فهل يسوغ للفنى فى مذهب من
المذاهب أن يأخذ دنائره فى يديه ويعيث بها فى عين القنبر الصمى ملك حاله
كونه لا يملك منها قراصة . أرلا شيطان أن يلوح ببريدته للجائع اللاهس .
فان قلت ان ذلك أمر طبيعى وان العلامة إنما رآها فى الغالب المزوجون
فلا وجه للحسد . قلت لو كانت هذه العادة طبيعية لكننا رآها مستعملة
عند جميع الأمم . وهؤلاء الافرنج الذين هم أكثر درايه وعلماً فى الطبيعيات
لا يستعملونها . لا بل ينفذون مستعملها ويقولون ان العقر يكون غالباً
سبباً فى العقر (١) . وان العروس منهم أول ما يحس بالانشوطة قد عقدت
فى عنته يأخذ عروسه ويمنزل بها فى ناحية لا يبصره فيها أحد من خلق
الله مجانبة لأسباب الحسد . الموجب للغص والكم . فلا يرون ان . و
شخص واحد يكون سبباً فى حزن جماعة . واما قلت الانشوطة لانه
عنده الزواج عتدم تنحل بأسباب كثيرة . فاما قولك ان العلامة إنما رآها
المزوجون فلا وجه للحسد فهو كلام من حاول المغالطة والتوريب

(١) العقر استبراء المرأة لينظر اكرام غير بكر .

والمواربة . أو هو ولا مؤاخذه بما أقول كلام من لا بصيرة له ولا خير .
 قد أجمع العلماء كلهم المتباغ منهم والمتر والمتكفف والمتر والعريان وذو
 الرعايل والمسجون والمكبل والمشكو والمرغم انه على ان المزوح أنصيق
 عينا بالحسد من العزب . وذلك ان كل انسان يظن ان غيره في حرفته
 أسعد منه حالا فلا يفكر الا في وجه أسعديه دون أشقويه . ولما كانت
 ليلة الدخول بالعروس من الليالي الفراء وان تكن حالكة كانت مظنة لان
 تنشي الجسد في صدر الخبير بها من دون تدكير لما يعقبها . وفي المثل وما
 ينبك مثل خبير . هذا واني أستطيع العفو من الجنب الاكرم . المفر
 الافخم . حضرة الصبر المحرم . عما اريد أن أسأله عنه على وجه الاستفادة
 لا الانتقاد فأقول . من أين تعلم باذا البصيرة ان تلك البصيرة التي ينضب
 بها المنديل ويعقد على علم اذانا به كارة البنت هي علامة البكارة . أفليس
 من الممكن أن يكون ليلة الدخول بها قد فارتنور . وقاض المسجون .
 أو بقيت منه عفايل . دبج بها ذلك المنديل . أو يكون الرجل قد ذبح
 عصفوباً أو جرح احدى اصابه اذا كان هو الذي سبق الى اقتطاف
 تلك الوردة . أو ان تكون البنت قد ادخرت في ذلك الصوان شيئاً من
 الدم . فان قلت ان الرجل يعرف ذلك بمجرد التذوق . قلت لعمري
 ولعمري ان تلك الساعة ليست وقت وعي ومعتول . بل وقت دهشة
 وذ هول . ولا سيما اذا وقف وراء الباب جماعة يضجون ويعجون .
 ويلحون ويلحون . فأود الجواب عن ذلك . وها أنا منتظره

من هنا وهناك

الفصل الرابع

في التورية

من عادة أمثالي من المؤلفين أن يههقروا أحياناً ويطفروا فوق مدة من الزمان ويلفحوا واقعة جرت قبلها باخرى بمسدها . وذلك يسمى عندهم التورية أى جمل الشيء وراء . وانهم أيضاً يتدنون بذكر صفات الشخص الذى بنوا عليه مؤلفهم منذ ابتدائه مناغة محبوبته الى وقت خفوته فى الزواج . وبذكرون فى خلال ذلك اموراً طويلة مملّة وذلك كصفرة وجهه عند لعانها وتمير حركات نبضه وبهره وعيه عن الجواب وبمته اليها عجوزاً أو كتاباً واجتماعه بها فى مكان كذا وزمان كذا . وكشيخيفها الوانا عند قوله لها الفراش . الضم . العناق . الساق على الساق . الرضب . الملاسته . البعال وما أشبه ذلك . وربما أساءوا الأدب أيضاً حتى الأب والأُم . فانهم كثيراً ما يصرحون بأن الام ترضى بان تكون ابنتها فتنة لناظرها . وتتساهل معها فى تهديد زمرة من الرجال لتفاسمها منهم شطراً . وان الأب من حيث ان حجره فى حجر امرائته لا فى رأسه لا يمكنه منع تلك الاسباب . وان الخدمة لا يكونون الا ذوى حذل مع المرأة على الرجل فالخوادم للاقتداء بسيرة سيدتهن والخدامين للطمع فيها . وفى الجملة فانهم يعملون بيت البنت المعشوقة دسكرة وما خورا وحابورا ومنبتاً لجميع انواع الفساد والحيل والمكايد . وكل من اخواني هؤلاء المؤلفين يخترع حيلة من رأسه ويمزوها الى غيره . اما الطفرة الى وراء فمعدى انه لا بأس بها اذا كان المؤلف راعى مذهب التأليف قد سد امامه ثم يعود الى ما كان عليه . واما تبليغ الرجل الى سرير عروسه ثم اطباق الكتاب

عليهما من دون ملاوصة لمعرفة أحوالهما بعد ذلك فلست أرضى به . اذ لا بد لي من أن أعرف ما جرى عليهما بعد الزواج . فان كثيراً من النساء اللاتي يحسبن أنا ما قبل تولي هذه الرتبة الشريفة يصرن بعدها رجالات كما ان الرجال تصير نساء . من أجل ذلك رأيت أن أتبع الفاريق بعد زواجه أكثر من تتبعي إياه قبله . اذ الكلام على اثنين أدعى الى المعجب منه على واحد . فأما الاسفاف للامور الخسيسة والدعلة والدنوق فليس من شأني . فائذن لي اذا يسدي ورخصي لي ياسيديني ان أستعمل الطفرة وأقول . ان الفاريق حين كان مرتباً برتبة الحب قبل الزواج كان قد استدعى به أحد الخرجيين في جزيرة البحر أي في الجزيرة التي يتكلم أهلها باللغة منتنة . ليكون عنده بمنزلة معبر للاحلام بأجرة أكثر مما كان له عند الخرجي بمصر . فن ثم عزم على السفر وطالع به خطيبته قبل الدخول بها بمدة . فقالت لا بأس فان للرجل حقاً على امرأته ان يستصحبها حيث شاء . وان كل بقعة من الارض تكون لها في صحبتها معنى ووطناً . ثم خبر أمها بذلك فرضيت . فلما وقع المقدور بالزواج وأحكيت عقدته قال الفاريق لزوجته ينبغي لنا الآن ان نأهب للسفر . لان أحلام الخرجي قد تكاثرت في رأسه ويخشى ان يفوته نصيبها . فقالت أو ذلك من جد . هل جرت عادة النساء بأن يسافرن عقب الزواج ويعرضن أنفسهن للعقم والخطر . أليس في مصر مندوحة عن الغربة والسفر . كيف أقارق إخواني وأهلي واذهب الى بلاد مالى بها من حديق ولا خدين . قال ما غرت بك ولا قلت لك شيئاً غير ما قلته من قبل . قالت ما كنت لأعلم من الزواج ما أعلمه الآن . فقد شبهه الناس بالسعوط الذي يمطيه الطبيب للنائم او للسكران حتى يفيق . قد علمت الآن ان المرأة لم تخلق للسفر وانما خلق السفر لها . قال آني وعدت الرجل بأن أسافر اليه فلا بد من انجاز الوعد . فمد يمال في المثل ان الرجل يربط بلسانه لبقرنه . ومع ذلك

فان خرجينا هذا مسافر معنا بامرأته فانت مثلها . قالت ما أنا كزوجة
الخرجي فاني الآن حديثة الصبغ وفي برزخ البكر والمزوجة . ولم أسأم
بعد من الارض حتى أدخل البحر . فلما علمت أمها بذلك ألحت عليها
في السفر . فعالت دعوني اذا أستشير طبيباً لأعلم هل سفر البحر يضر
بالمزوجة حديثاً أولاً . فحفيء بالطبيب فلما سمع كلامها ضحك وقل .
انكم يانصاري الشرق تذكرون النذور لاكتائس رجاء ان يمن عليكم
صاحب الكنيسة بالحبل او الشفاء من بعض الامراض . واما نحن فننذر
للبحر . فان النساء عندما حين يبأسن من الحبل يقصدن ظهر هذا الولي
ويلتمسن ركته . فنهن من ترجع حبل بقذ ومنهن من تضع توأمين .
ولا سباً اذا كان ربان السفينة ذا رفق بالنساء يطعمن ما يشتهين . فعال
الفاريقي في نفسه اللهم اجعل ربان سفينتنا عنيماً شرباً نكدأ شكراً
فلماً عسراً . فلما سمعت ذلك سكن روعها ومالت الى السفر . فمن ثم
أخذوا له الأهبة وسافروا الى الاسكندرية . أما السفر من بولاق في
المنج فانه من اعظم اللذات التي يشرح لها الصدر . فان النيل لا يكون
الاساجياً . ورئيس الفنجة يدفع فباله كل قرية ليتزودوا منها الدجاج
والفاكهة الطرية واللبن والبيض وغير ذلك . وناهيك بماء النبل عذوبة
ومصحة . فالراكب في احدى هذه الفنج لا يزال طول نهاره آكلاً مسروراً
قريب العين بما يراه من نضرة الريف وخصب العرى . حتى يود لو تطول
مدة سفره فيه وان كان في قضاء أمر مهم . فاعتنم الفاريقي ج هذه الفرصة
وأمن في قضاء الاعذين ونسي مصر ولذاتها . ونعيمها وحماياتها . ورمدها
وأفاتها . والكتب ومشائخها . والاخراج ونخائجها . والمكاتب وبرامجها .
والطنبور وأوتارها . والحمار وفراره . والطبيب وقنذعته . وصاحب
المعجرة وهجرعته . والسري ورائحته . والوبا وجائحته . وما زال على
هذه الحالة حتى وصل الى الاسكندرية شبان ريان . وقد تزود ما يقوم
بحاجة البطالة في البحر الملح . واز ونجح أي فوز وأي نجاح .

الفصل الخامس

في سفر وتصحيح غلط اشهر

كان الخرجى رفيق القاريق في السفر قد كتب كتاباً من مصر الى بعض معارفه بالا سكندرية ليهيئه له نزلاً . فلما وصلوا اليها أقاموا فيه مدة ينتظرون ورود سفينة النار التي تسافر الى الجزيرة . وكانوا جميعاً يأكلون على مائدة واحدة ويثناوضون في المصالح الخرجية وفي السفر وغيره . وكانت زوجة القاريق لاندري شيئاً سوى يد أهلها . ولا تحكم في أمر الا فيما جرى لها مع امها اولامها مع الخادمة أولهذه معهما . وكانت اذا أخبرت مثلاً بان الخادمة ذهبت الى السوق اشترى شيئاً فخلت كل جملة بضحكة طويلة . فاقضى لأخبارها من الوقت نحو ما كان يقتضى للخادمة من الذهاب والأياب . وسبب ذلك ان البنات في مصر والشام لا يهاترون أحداً سوى الخوادم وأهل البيت . أما امهاتهن فلا يطالعهن بشئ من أمور الدنيا مخافة أن تنجلي الفشارة عن ابصارهن فيعرفن ما يراد منها . فمن ثم كان تحصيل معارفهن كلها من الخوادم لا غير . ولما كن هؤلاء يرين ان في أخبار البنات بما يهوين ويعلن اليه بالطبع خيراً لهن عظيماً . فاذا رأيت احدهن مثلاً فتى جميلاً بادرت من ساعتها الى البنات وقالت لها . قد رأيت اليوم ياسيدتى شاباً مليحاً ظريفاً لا يصلح الا لك . وانه حين نظرتني وقف وشخص الى وكأنه كان يريد أن يكلمني . وأخاله عرف انك أنت سيدتي . فاذا رأيته المرأة الآتية كلمته . وأشبهه ذلك من الكلام مما يجعل البنات ذات ضلع معها اذا غضبت منها الام . ولا يخفى ان البنات اذا كن جاهلات بالقراءة والكتابة وحسن المحاضرات وبآداب

المجلس والمائدة وغيرها . فلا بد وان يتعوض عن هذا الجهل بمعرفة
الحيل والمكايد التي يتخذنها وسيلة لما يرمي . فان البنت اذا اشتغلت
قراءة فن من الفنون أو بمطالعة الكتب المفيدة صرفها ذلك عن استنباط
الحيل . فاما اذا لم يكن لمن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة
فان افكارهن وأهواءهن كلها تتجمع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة
وسيلة لمن وسندا . فكلامها عندهن أصدق من كلام امهاتهن . فالاولى
بعندي اما العبد الحقير ان تشتغل البنت بأحد الفنون والعلوم النافعة سواء
أكان ذلك عقلياً أو يدوياً . الا ترى ان الاثني مغلوبة على حب الذكر
والذكر على الاثني . فجهل البنات بالدنيا غير مانع لمن من معرفة الرجال
واستطلاع أحوالهم . بل ربما افضى بين هذا الجهل الى التهاوت عليهم
والانقياد اليهم من دون نظر في المواقب . بخلاف ما اذا كن تأدبن بالحامد
والعلم اللائق بين قاتن ج يعرفن ما يعرفن من الرجال عن تبصر وتدبر :
وهناك قضية اخرى وهي ان النساء اذا علمن من أنفسهن اتهم
كفء الرجل في الدراية والمعارف وترسن دونهن بمعارفن وتحصن بها
عند تطاول الرجال عليهن . بل لرجال أنفسهم يشعرون بفضيلهن فيردعون
عن أن يهتكوا حجاب التأدب معهن . مثال ذلك اذا اجتمع غلام وبنت
في خلوة وكان الغلام قد قرأ ودرى والبنت لم تعرف شيئاً غير ذكر اللباس
والزينة والخروج الى البستان . لم يلبث الغلام أن يتعدى طور الأدب
معه لا اعتقاده انها لم تخلق في الدنيا الا للمضاء وطره منها : بخلاف ما اذا
رأها ذات رأى رشيد . وقول سديد . وفكرة مصيبة وفهم للامور
البعيدة والغريبة . وحسن محاضرة وجواب عتيد . ومعارضات وممانات
فانه والحالة هذه يهابها ويحترمها . وليس كلامي هذا مخالفاً لما قلته في
اغضاب الشوافي . وانشاب الرائي . وانما العيرة باختلاف وسائل العلم .
والمراد من هذا الاستطراد كله أن قول ان زوجة الفاريابي وان يكن قد

فاتها كثير من معلومات الرجال والنساء فقد أبدت من المعارضة لهما عند تصادم مصلحة الزواج بمفسدة خرجية القاريق ما أفهم المجادل . وأبكم المناضل . لكنهما بقيت في غير ذلك جاهلة .

فان القاريق لما كان ذات يوم على المائدة أخبرها المخرجي بقدم سفينة النار وحته على التاهب للسفر . فسمعت بذكر سفينة النار فقالت ما معنى هذا . فقال لها المخرجي هي سفينة ذات ألواح ودرس وانما تسير بقوة بخار النار . قالت وأين النار . قال في قمين بها . قالت بالدهاية كيف أسافر في سفينة فيها قمين واعرض نفسي للنار . أليس السفر من هنا الى الجزيرة يكون في النج كسفرنا من بولاق . قال ان الفنج لا تصلح للبحر الكبير . قالت أما انا فلا أسافر ويسافر من يريد ان يحترق . فترضها المخرجي وزوجه فأبت . فلما حان الرقاد اضطجعت في الفراش وأدارت وجهها الى وجه الحائط . وهذا هو المسمود من هذا الفصل تنبيهاً للناس على ان هذه العادة هي من جملة العادات التي أخطأوا استعمالها . اذ ليس في الادبار شيء يدل على الفيض بل الاقبال هو المظهر له فان المرأة اذا واجهت زوجها عند الاضطجاع وقطبت وجهها في وجهه وزوت ما بين حاجبيها . او شمخت بأنفها او سدت منخرها . او غمضت عينيها كيلا تشم رائحته وتبصر سحنته او غطتها بيدها او بكها او بمنديل كان ذلك اشارة الى الفيض . فأما في تولية الدبر فلا علامة تدل عليه . فان قلت انها اذا واجهته ربما غثت نفسها من نفسه . اذ الرائحة الكريهة لا بد وان تفعم المناخروان سدت فلا يحصى عنه الا بالادبار . قلت الاولى ان تسلم في دفع المخدور . وبعد فان الدبر هي من الاشياء التي طالما عني الناس بتفخيمها وتكبيرها وتمظيمها حساً ومنى . أما حساً فلانهم اتخذوا لها الزناجب والمنافع والمرافد والرفائع والاعاجيز والغلائل والمراقق والمظلمات والحشايا والاضاخيم والمصادغ اجتذاباً لقلوب الناظرين . وفتنة لمتول العاشقين . فكيف يكون شيء واحد مستعملاً

وسيلة للرضى والفضب دماً فهو خلف بين . واما معنى فلان العلماء
والادباء وسادتنا الشمره ما زالوا يتغزلون بها ويتناقسون في عرضها
وسعتها . حتى ان بعضهم قال

من رأى مثل حبيتي تشبه البدر اذا بدا
يدخل اليوم خصرها ثم اردافها غدا

وقال عمرو بن كلثوم

وما كمة يضيق الباب عنها وخصر قد جنت به جنونا
واما اهل هنا ان يقول ان الشاعر لم يصف الخصر الا بكونه موجبا لجنونه .
وان الاشارة الى كونه نجيلا بناء على جنون الناس به اذا كان كذلك غير
ناصة . واهرى ان يكون هذا المقهوم الضمني جاريا على وصف كل عضو .
اذ لو قال وما كمة جنت بها جنونا لمع بالبديهة انها تملأ الباب ويفضل
منها شيء . وياليت شعري هل الالف واللام في الباب للمعد الجنسي أو
الذهني . وهل الامام الزوزني تعرض لشرح ذلك . ثم انه من أهم ما يشغل
بالمرأة ويسهرها الليالي . هو ان تفنن باظهارها بتفخيم ذلك الموضع الرفيع
الى . وربما هيت عن وجهها وسائر جسدها وغادرت بلا زينة من
فرط اشتغالها به . ولو تضمنر وجهها وذوت غضاضة بدنها لمرض او كبير
فقل اعتمادها على محاسنها لم تبرح متمدة عليه ومتعمدة له . فهو عندها
رأس مال الخلب والتشويق . وما من امرأة إلا وتتمنى أن يكون لها عين
في قفاها لتكون ناظرة اليه ومتعمدة له دائما . ولقد يهون عليها أن تنف
ساعة أو تمشي ساعتين أو ترقص ثلثا ولا أن تعمد هنيهة خشية من أن
يخشان أو يضمروا . واما حين تنظر الى عطفها وهي ماشية أو راقصة فما
هو إلا رمز الى ما ورائه . وان تهديكرها وتهكتها هما أنشب مصلاة يعلق
بها قلب الرجل . وذلك لانها تعلم أن الحكمة الخالعية رسمت من الازل
بان تكون كثرة اللحم والشحم في ذلك الموضع . بالنسبة الى سائر البدن

لا بالنسبة الى دكاكين الحمامين . شائعة للملوك والسلاطين . والامراء والقضاة والائمة والقسيسين . والاحبار والموايزة والهرابذة والعلماء والبلغاء والخطباء والادباء والشعراء والمطارين والصيدالة والمازفين باللات الطرب ولسائر الناس . لا لأنهم يتخذون من لحمه كذاباً أو من شحمه إهالة . أو يستصحبون عليه أو يتخذون من جلده كوبة (١) ولكن ملائمة لحيوتهم وشرحا لصدورهم . فان عين ابن آدم مع كونها ضيقة لا يعلأها ما هو أوسع منها وأكبر بألف مرة . واشعارها لهم بان حكمتهم في هذه الدنيا وتنطسهم وعزم ومجدهم وان علت على الاطواد الشاخنة والجلال الشاهمة فما هي إلا سافلة عن حضيض هذا الموضع . ألا وانها تعلم انك اذا أجلسيت مثلاً أحد هؤلاء الاعزة الكرام امام بعض المتاصع (٢) على سرير مذهب . وضربت عليه قبة مموهة مزخرفة منمنمة منسحة مزوقة مكسوة بالحرير والديباج ومكلاة بالزهور والرياحين . استنكف أن يقعد هناك نصف ساعة . على انه لا يستنكف أن يقعد عامة نهاره وليله محاذيا لذلك المقام المنيف . وهو حاسر الرأس . مشمت الشعر . حافي الرجل . فاغر الفم . مندلع اللسان . سائل اللعاب . محلى العينين مشمر الذيل . شاحج الذراعين . معوج المنق . مؤال الاذنين . في أقبح هيئة يمكن للسان أن يتصهورها في حق ذي مقام . حتى لو سمع نامة من هناك لظن ان السلطان قد بعث اليه بالات الملاهي يهنئه على هذا الفوز العظيم . والمغنم المميم . وتصور في ياله ان صوت العود لم يكن بانسجى من غيره الا اكون هذه الآلة قد صنعت على مثال شطر ذلك الموضع . ولو كان كالشطرين لسمع له منطق باعراب وان شكل القبة مأخوذ منه . ورائحة الند تروي عنه . وان العرب من زيادة شغفهم به الحقوا حروفه بالافعال السداسية الدالة على طلب الفعل

(١) الكونة الطبل الصغير المحصر ولعله الذي تسميه العامة الدربكة .

(٢) مواضع يتخلى فيها لبول أو لحاجة

أو التي يعتبر فيها الشيء كونه على حال ما من الاحوال . وان فردسة صدور الرجال وعرض ظهورهم لا تجدي نفعا مع عرضه . وان المعالي في السراة متى تلج ثم ذات تاكيم يعدن مسافلا . وان هذه الحمية مع ثملها سواء كانت حاملة كما ذهب اليه بعض الشعراء . أو كانت محمولة كما هو في الواقع فليس ثملها الا كتنقل كيس ذهب على حامله . وانها أسخن الاعضاء جميعا في الشتاء اذ لا تحتاج الى تدفئة . . وأبردها في الصيف . وانها مع كونها أول ماس للارض عند العود فلا يزال أنعم من الخسدين . وأملس من اللديدين . فلم نأ كانت لثة تصيلها للمستبل المذري أعظم من لثة تقبيل الذقن والأنف والعين والجبين . وان الناس يتنزلون لها أسماء السلوك والسلطين . وذوي السيادة والمعالي وائمة الدين . وعند قوم (أقول وأستغفر الله) نزال لها الاسماء الحسنى . على ان تسيحهم كل يوم أن يعولوا ربنا تفسد اسمك . ألا واهي تعلم أيضا ان كثيرا من البهائم أعقل من الناس أو أسعد حالا من أصل القطرة . فان الذكر من الحيوان غير الناطق لا يبيع على هبرتين من اللحم في أثناء مع احتوائهما على القبل والدبر الا في وقت معلوم . وهذا الذكر من الحيوان الناطق لا يزال هاتجا عليهما مزبدا لاغما راغيا مزغما هادرا محمما مبقا مقبعا زاغدا ملعبا جالبا لاجبا وربما جن أيضا . وما ذلك الا لمجرد وهم انهما باعدافهما تعينانه على خسق الهدف من قبل والا فما سيب هذا الجنون . نعم وتعلم أيضا ان هذا الموضع مع كونه في حيز الجعم الاسفل فهو مواز لخط الرأس ارتفاعا . اشارة الى أن تسفله لا يحيط من قدره ورفعته . حتى لو فرض انه جعل عند الرجلين لبقيت له هذه الميزة والاعتبار بعينه . حتى ان بعض النساء حين ان كشفه أولى من كشف الفم لأنه أقل أذى منه . اذ لم يعلم الى الآن أن أحدا قتل بقلته منه فأما فلنات اللسان الفتاة فلا تعد ولا تحصى . وبناء على ذلك كن يتعمدن الخروج في اليوم الراح وهو عندهن من الاعياد المباركة .

وبعضهن يرين انه جدير بالحلي والزينة والتعشيش سواء كان طاهرا أو مستورا . قال بعض السطاهيين

ياسائلي عن أي جزء في المليح أم ل
لقد روى استاذنا نصف الجمال الكفيل

قال وذلك لاشتماله على أشكال كثيرة . لأنك اذا اعتبرت ذرية الرانعة (١) وحدها ظهر لك الشكل الخروط . واذا اعتبرتها مردوجة بالآخرى تبين لك نصف دائرة أو شكل هلال . واذا نظرت من نقطة المسيب الى غاية ما يوازيها من سطح الشق الواحد بدا لك المستوى أو المثلج . أو منه ما دون ذلك قابلك المقبب والخط المنحني . واذا اعتبرته مع الأبواب واجهك المحوف وهلم جرا . واس من سائر أعضاء البدن من الاشكال ما لهذا قلت ما أشوق قول الشيخ فاصيف اليازجي الاديب المشهور

وتوجت أردافها فاخو الهوى بين اضطراب الموجتين غريق
ثم ان الظاهر من وجود اسم المرفد في نعتنا هذه الجميلة . ومن قول صاحب القاموس المخدم رباط السراويل عند أسفل رجل المرأة . ان لباس نساء العرب قديما كان لباس نساء الشام الآن . أو امه كان خاصا بالحواريات . غير ان قول المتنبي . وأعف عما في سراويلها . يفيد التعميم . بناء على تنزله بالباديات كما اشار اليه بقوله . وفي البادية حسن غير محلوب . وقد تقدم . قال في القاموس الدبر بالضم وبضممتين نقيض القبل ومن كل شيء عقبه ومؤخره — والاسم والطهر . قلت اسماء حروف يمد اللفظة لها معان . وهذه الحروف كيفما قلبتها ظهر لك منها ايضاً معنى . وكذا اذا جمعت بين كل حرفين منها . وعددها بحساب الجمل مزدوج اشارة

(١) تنبيه رايت في كتاب ليس لابن خالويه النحوي بعد تأليف هذا الكتاب ان الرانعتين يقال لهما الصبوه ان والصبوفتان . وذلك مما فات صاحب القاموس .

الى ازدواج الجنتين . كما ان الضميتين اشارة الى الثقل والرزاق . ومادتها
من اغزر المواد . وهن وضعنا مؤخر عن المؤخر او متقدم عليه او اشتاقها
من قولهم جنتك ببر الشهر اني آخره او اشتاق هذا منها خلاف . والظاهر
ان الامر المعنوية الاعتبارية مشتقة من الحسية . وبقي الخلاف في
اشتاقها من عب الشيء . وقد ورد في القرآن ولوا الادبار . وأنكرها
المطران اتنا سيوس الترنيجي في (كتاب الحكاية في الركاك)

واعلم ان العرب قد وصفت للدبر ما يئيف على تسمين لفظة ما بين اسم
واب وكنية . من أسماء ما تقدم في اشارة الرياح ومن بعض كتابها أم
سويد وأم العزم وأم خنور . فلولا انهم أنزلوها منزل الاسد والسيف
وانا في البأس والفتك والاسكار لما خصوها بذلك . لا يرد هنا ما قاله
ذلك الاعرابي في السنور احنه الله ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه . فاما نقول ان
ثمنه ممن الحيوان لكثرة وجوده لا يتدح في قيمته ومما فقه . وان كثرة
أسمائه هي من اجل الظاهر على الظاهر لحصول المشابهة ببنه وبين أم أم سويد .
من جهة ان السنور هو من الحيوانات الكثيرة التاج . ومن طبعه اللعب
والهراس وان يكن يعقبه غير مرة خدش وادماء . ومخش واصماء . ومخش
واعماء . وله تحمل على المكارة والاذى حتى قيل ان له سبعة ارواح .
ولا يعجزه صعود شرف ولا هبوط هوة . وانه اذا شم رائحة شيء أعجبه
من الطعام تسلق أعلى جدار ودخل أضيق مكان حتى يظفر به . وانه اذا
مرت عليه يد نفس ذنبه وأخذ في خرخرة وهينمة تفصح عن رضاه
باللمس . ومن طبعه أيضاً النظافة والا كل خفوة حياء او خوفاً . فان
فان أبيت الا المشاحة كما هو دأبك من أول هذا الكتاب بان قلت ما بال
اسماء الداهية والمعجوز اذا كثرة واسماء الشمس والعمر قليلا اذا كانت التسمية
مبنية على جلالة المسمى او نفعه . قلت اما كثرة اسماء المعجوز فباعتبار انها
كانت صبية او انها تكون ذريعة لها . واما الداهية فباعتبار خشيتها .

والاجلال قد يكون عن خشية كما يكون عن مفة . قاما الشمس والقمر
فاسماؤهما كثيرة جداً غير انها لم تشتهر عندما . وليس ذلك باول ظلم فعله
الناس في حق اللغة كما يات في كتاب آخر . ثم هذه جملة الاسماء والصفات
التي وضمت لام أم سويد وقد بذلت الجهد في استقراؤها وهي .

الاثينة الخبنداة راجع الراجح الرراح الدخلة البهر الشورة المعجزة
المجزاة المعجزة الدهاس الدهساء البوصاء اللقاء الركراكة الزكراكة
الوكواكة الضيركة اغضناك المصنك الوركاة الوركاة النبال الجزلة السجلاء
المكفالك المهركولة لكمة الآلياء الآليانة .

ومن العريب الـ صاحب الماموس ذكر الاسته والستهي ولم يحكرم
علنا بمؤتتهما نأما أنبتهما هنا عن اذنه . ومن ذلك نفع الحقية . ذات
الاهداف ذات اننا كيم . ذات الرضراض . من نسوة بلاخ . ولك ان
تقول بلخاء واربذ كرها القير وزابادي الابعنى الحفاء . هذا ما عدا ما يشير
الى هذه الغبطة والسعادة من الالفاظ اشارة صريحة نحو

الحباء الضخمة الكبيرة

الجلباء السميننة زكنا الخنضبة والخنضبة والكبكاية والحوواء والوعنة

الخدبة النخمة

الدخبة المكتنزة

المرهبة الجسمية

الطباخية الايا المكتنزة

اللاباخية الاحيمنة وكذا الدعكاية

المبرندة الكتنة اللحم ومثلها المهدكورة

الثدة المكتنزه الكثيرة اللحم

التهمد الثميننة العظيمة

الرجراجة التي يترجرج عليها لحمها

الضمج	المرأة الضخمة التامة
البيدح	البادن وكذا البلدح
الدحوح	العظيمة
الدملحة	الضخمة التارة
الصلدحة	العريضة
البيدحة	التارة
لمرورة	الناعمة الرجراجة
الدخوص	الملتثة شحا
الرضاضة	الرجراجة
البلز	الضخمة
الدحلة	الضخمة التارة
الدحلة	السمينة ومثلها الجول
الربلة	العظيمة الربلات
القصاف	العظيمة
المزرة	الطويلة الجسيمة
الماعظة	السمينة الطويلة الجسيمة
الهيككة	العظيمة
الضناكة	العظيمة المفضوبة اللحم
الكناز	الكثيرة اللحم الصلبة
المزة	المتصلبة المتشددة
المرزة	المجتمعة الخلق الشديدة الامر
الخنزرف	الضخمة اللحمية الكبيرة الثديين
القهباس	المرأة الضخمة ومثلها المتخنة
الشخصية	الجسيمة

الدياسة للبحيمة القصيرة
الماذك السمينة
العديلة الغليظة
المألة السمينة الضخمة
الورمة ورمت المرأة كُ شحمها
وخطية بظلية سمينة مكشزة

وغير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه . فهل لجنتاب مولانا القاضي المكرم
ولأمرتنا المعظم نصف هذه الاسماء والنموت . انتهى البرهان على الخطأ في
استعمال هذه العادة .

وأقول الآن انه لما كان ما كان من الادبار المشار اليه رضاها القاريلى
في الصباح للسفر واعانه على ذلك المخرجى وامراته ووعدها برؤية أشياء
بدعة في الجزيرة تنسبها مكاره القراق . فرضيت بعون الله وحسن توفيقه
وسافروا في سفينة النار . وقد لطف الله تعالى بان القى القسوة في قلب
الربان عليها . فكان اذا سمعها تن من الالم يفضب ويرجرج ويتسخط
على النساء وسفرهن . غير ان بعض الخدمة وكان جميلا حاول أن يتوب
عنه فلم يتم له ذلك لقصر المسافة اذ كانت عبلة عن خمسة أيام . وهى في
البركافية لتصبى خمس بنات وعشر نساء متزوجات وخمس عشرة أرملة .
ثم وصلوا الى منزل الجزيرة وأقاموا فيه ثلاثين يوما وبعد ذلك دخلوا البلد
ونزل كل منهم منزلا لائما به .

الفصل السادس

في وليمة وإبازير متنوعة

وأخذ القاريق وزوجته يطوفان في شوارع المدينة وهما في زى أهل مصر . وقد اتخذ هو سراويل واسعة يلتف عليه أسفلها من امام ومن وراء عند المشي . والتحف هي بيرس ليطى كميها اذا كانا يكتسان الارض . فجعل المارون أو أصحاب الدكاكين يتعجبون منهما ولم يكونوا يعرفون زوجته انها امرأة . فكان بعضهم يقول أرجل هذا أم امرأة وبعضهم يتعجبها . وبعضهم يلمس أثوابها ويحدق في رجليهما ويقول ما رأينا كاليوم قط . شيء لا هو رجل ولا امرأة . فصادفهما رجل من حذاق فقهاء الانجليز يقال له استيفن . فتفرس فيهما ذرف ان القاريق رجل وان القارية امرأة . فتقدم اليهما وذل لهما هل لكما يارجل ويا امرأة ان تنع بنا عندي يوم الاحد الدابل . قالوا أفضلت . قال اندارى في عبر البحر في عمل كذا فلما اليها في الصباح قبل الغداء . فلما كان يوم الاحد ركبا في زورق وقصدا منزله فوجداه قد استعد للخروج . فكانه اراد أن يأتي ببعض معارفه للفرجة على ضيفيه والظاهر انه سكر في الطريق أو غفله أصحابه فلم يدر . فلما رأهما قال لهما قد وجب علي ان اذهب في قضاء معاملة . ولكن هذه زوجتي وهؤلاء بناتي فاستأنسا بهن ريثما أعود ونتمدى جميعاً . قالوا لا بأس ثم قعدا مع زوجته . وكان في المجلس شاب من الانجليز يناغي احدى بنات القرضي وهو آخذ يدها . ثم جعل يبوسها بحضرة امها والزاشرين . فاصغر وجهه القاريق واحمر وجه زوجته وبرقت امرة الأم . فعالت القارية لزوجها كيف يبوس

البنيت هذا الفتي وما يستحي منا . فقال ليس لها البوس عند الافرنج مما يعاب .
فان الزائر منهم اذا دخل بيت أحد من أصحابه تعين عليه أن يبوس
زوجته وبناته جميعا ولا سيما اذا كان في يوم عيده . على أن باس عندهم
قد ترد بمعنى ما يراد به .ها ولكن هذه عادتهم . قالت ولكن هلا يستحي
ما حال كوننا غريبين عنه . قال فذا كن الشيء مباحا كانت اباحتها امام
الغريب والغريب على حد سوى . أو لعل الرجل قد ظن انا لانعرف
هذه الصنمة في بلادنا . قالت ما أجهل من ظن هذا فان القبلة عندنا لانكون
الامع زفير وتنهّد ومص وشتم وتمييض العينين . فاما هذا فاني أراه
يزق خلوا من احساس فعل المسخّف بما تحت يده . قال قد يظهر لي من
القاموس ان المكافحة والملاغمة والمناغمة واللّم والغفم والكمم والقبيل
انما هو بوس الرجل المرأة في فمها أو التقامه له بمرة . فقالت حي الله العرب
امة القبلة والقبلة . فان قبيل الجبين كما يفعل هؤلاء لامعنى له . ولكن لم
كان التقبيل في غير الفم والمخد خاليا عن اللذة التي يحس بها المبل في
هذين الموضعين . قال لأن الظان لا يرتوي من وضع فمه على أعلى العلة أو
على جنبها . قالت فعلى ذكر الظن لم تصف الشعراء الريق مرة بانه حلو
ومرة بانه يروي الظن وهو خلف . قال لعل ذلك من مشكلات الشعر أو
من معضلات النساء . قالت فعلى ذكر المشكلات والمعضلات هل يستطيع
المعاشق شرب الرضاب من غير الفم . قال أما عند بعض العرب فلا يبعد
وأما عند الافرنج فينكرونه حتى من الفم . بل لا يعرفون له اسما غير البصاق .
قالت فعلى ذكر اختلاف الاسماء ما يقال لهذه الام التي ترتاح الى رؤية
ابنتها على مثل هذه الحالة هل يقال لها قوادة . قال انما القيادة في الاصل
صفة الرجل اذا كان يقود على حرمة . قالت ان وقوع هذا الامر في
شأن الام أكثر منه في شأن الرجل . اذ الامهات تنشرح صدورهن عند
مشاهدة عاشق لاحدى بناتهن . لأن الأم عند رؤيتها عاشق بنتها تعتقد

أن العاشق لا يرى في البنت جمالا الا ويراه في أمها حالة كونها هي الاصل
وانه لا يكاد يحب الفرح دون محبته لأصله . ثم تناديا في الحديث حتى حان
الظهر فأقبلت إحدى بنات القرضي ويدها كسرة خبز وقطعة جبن وجعلت
تأكل وهي واقفة . ثم تولت وجاءت أخرى وفعلت مثلها . وكان للفتية
المذكور سبع بنات وعدة صبيان . فلما مضى ساعتان بعد الظهر قالت
الأم للمدعويين لعلكما جئتما فان وقت الغذاء قد فات وزوجي أبطأ . قالا
ننتظره الى أن يجي . فلما صارت الخامسة أطن جرس الأكل ليجتمع
المتفرقون مع أهل البيت كما هي عادة ذوي العيال من الانبياء . ثم مضت
ساعة وأعيد اطنان الجرس . وما زالت الساعات تمضي حتى نجزت الساعة
الحادية عشرة . وفي خلال ذلك كانت الأم تتفقد المطبخ وتسار البنات
كأنما نزل بهن نكبة البرامكة . فعال القاريق لزوجه ان لم تذهب الآن لن
تجد بعدها زورقا ولا مبيت في هذا العمر يصلح بنا . ثم نهضا ومسيا على
صاحبة البيت وركبا في زورق ودخلا البلد عند نصف الليل فمشيا في
بعض المطاعم عشاء في ضمنه غدا .

ثم لما كان بعد أيام قليلة قالت زوجة القاريق نه قد رأيت في هذا البلد
احوالا غريبة . قال ما هي قالت آتي اري الرجال هنا لا يثبت في
وجوههم الشعر ولا يستحيون . قال كيف ذلك . قالت لم اري وجه أحد
منهم لحية ولا شاربا فهل هم كلهم مرد . قال اجملت انهم يحلقون وجوههم
بالموسى في كل يوم . قالت لأى سبب . قال حتى يجبروا النساء قانهن
يجبن الخد التقى الناعم . قالت لا يل المرأة يلذ لها من الرجل كل ما دل
على الرجولية . وكثرة الشعر في وجه الرجل هي كدمه في وجه المرأة .
قال وما معنى قولك انهم لا يستحيون هل طلب أحد منهم منك فاحشة .
قالت ما وقع ذلك بعد . وآما اراهم يحزقون سراويلهم حتى تبدع عورتهم
من ورائها . قل وذلك مما يلذ للنساء على تمتضى تقريرك . قالت نعم ان

هذا الزى أقر لعين النساء من زى العرب . فانه يظهر الفخذين والساقين والبطن والمجز غير ان المغالة في التزيق مخلة بالأدب عند من لم تعود عليه وان يكن في نفس الامر أحسن وأفسن . ولكن ما شأن هؤلاء القسيسين فاني اراهم أكثر مغالة من العامة بتباينهم هذه الصغيرة فهذا لا يليق برتبتهم . وأفبح من ذلك حلمهم شواربهم مع ان الشوارب هي زينة لوجه الشاب كما ان اللحية زينة لوجه الشيخ . فاما الذي أغرام بهذه العادة وهم ليسوا متزوجين حتى يعجبوا نساءهم . لعمري لو ان أحدا منهم ذهب الى مصر لظنه الناس بمض هؤلاء الخثنين المدعويين خولا الذين ينتفون شعر وجوههم ويتحففون تشبها بالنساء فاخزى الله كل رجل يتخث . قال فقلت وكل امرأة تذكر . قالت نعم وكل من ينبع العادات الفاسدة . أنظر المادة هنا كيف جملت حلق الشعر علامة على الفضل والكمال وعندنا هو سمة النفس والفساد . قال صدقة ولكن اريد أن اسألك عن شيء من حيث ان الكلام أفضى بنا الى ذكر ما يشوق الرجل من المرأة وما يشوق المرأة من الرجل . ومن حيث ابي أراك قد نشمت في علم هذه المروق فتولي لي بحق السطح (وكان من عادته اذا سأها عن أمر مهم أن يحلها بمر السطح الذي كانت تصعد عليه قبل الزواج) وأصدقيني فيما تقولين . هل لذة المرأة حين تنظر الى جسم الرجل كاذة الرجل حين ينظر الى جسم المرأة قالت هما سيات ولعل الاول أعظم . قال فقلت كيف ذلك والرجل لا نعمة لبدنه ولا ملوسة . وقد خصت المرأة بمحاسن كثيرة خلا عنها الرجل . وذلك كرفة البشرة ودقة الاصابع وتسوية البنان والاناامل وقد شبهت بالسودة والاساريع والمذفوط والنعيم . وكالدسع ولين الكهس والدخيس والرواجب ونقطة الرواهش باللحم بحيث يسدو في كل أشجع نونة . وكاطف اليديين وصغر الرجلين ورخاستها . وامتلاء الرسفين والكعبين وسهولة المشطين . ونعومة العرش

والمسيب . وجدل الذراعين ومكر الساقين وعظم الحماطين ودملجة الداغصتين
وضخم الركبتين والمالكيتين والقذذين والبيبة والبطن . وكنحول الخصر
ولطاف الكتفين وانحطاط المنكب وصدل القرقوة والترائب والمفاقر .
وكالمنط والمطاف وصلالة الجبين وطول الشعر . وكونها رخيمة الصوت
ذات نشر حالية عن الحار والريش والفقر والسربة والاسب (١) وكون
اذنها صماء حشرة مشرة تدمرية أو معذزة أو مولقة مصعنة . وما أحلاها
ياعيني مشنفة . وأعظم من ذلك كله وأبدع بروز التهدين ونهودهما .
وحجمهما ونفجهما . وتكعبهما وتكعبهما . واصرئابهما وتأوبهما .
وتقعبهما وتكبيهما . واكتيتابهما وتقيبهما . وتأوبهما وتزيبهما . وتدلماكهما
وتدملقهما . وتزلفهما وتزلفهما . وسدلكهما وسدلكتهما . وزهلهما
وتضافهما . وتفللكهما وتدملجهما . وتذجها وتصعجها . وربوها
ونبوتها . وخظوهم ورتوبها . وتوبها وكعوبها . وعوكها ودموكها

(١) المسودة دوية يبيض يشبه بها بنان العناري (والاساربع)
دود يبيض حمر الروس يكون في الرمل وفي واد يعرف بظي الواحد اسروع
(والدنفوط) دوية يبيض ناعمة يشبه بها أصابع الجواري (والعم)
شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان الخضوب (والدسع) خفاء
العوق في اللحم (والعكس) عظام السلامي وعظام العراجم في الاصابع
(والدخيس) لحم باطن الكف (والرواجب) مفاصل اصول الاصابع
أو فصبيها (والرواهش) عروق ظاهر الكف (والمسيب) ظاهر القدم
وهو أيضا عظم الدنب (والعرتس) ما بين العير والاصابع من ظهر القدم
(والمفاقر) لحم الصدر (والمطاف) طول الاشقار (والحار) شعر الانف
(والريش) شعر الاذنين (والفقر) شعر المنق والفقا (والسربة) الشعر
وسط الصدر الى البطن (والناض) السمن والامتلاء وأن لا يكون في
الجلود نقصان .

ويزوغهما وصبوغهما . وشخوصهما ودخوصهما . وتوهما ولعوجهما .
وتكوفهما وتقبيهما . وتغذيهما وتكظيها . وتوهجهما وتعلجهما .
وتصدرهما وتضبيرهما . واتبارهما وتكوزهما . وتمزهما وتلززهما .
وتلسمهما وتشرزهما . وتملدهما وتمغدهما . وتأصصهما وتدلصهما .
واجمانهما وانشرهما . وتجنينهما وتشننهما . وتكتلها وتلملمها . وتزيعها
وتركركها . وارثكاكها وتشويكها . وترهرهما وتلوهما . وانداماجهما
وانفراجهما . واقبالها واعبالها . وارنبازهما واكتنازهما . ونصهما
وعصهما . ودأضهما وضنطهما .

وقد قيل لها من جملة أسماء كثيرة المزان لا خيال روزها باليد أو
التفكر . وشبها بالزمان والقرموط . وشبهت حملتها بالسعدان . وقد
قالت قف هنا فقد أسهبت في وصفها وفاتك أحسن ما يراد منها .
قلت أفيدني . قالت لو جئت بكلمة تدل على التعامها أو قطعها لكانت
خيراً من كثير من هذه الصفات . قلت ليس الذنب علي في ذلك فاني لم
اجد هذه الدرة في العاموس . ثم قلت هذا وان المرأة اذا كان في وجهها
شمر ناعم أو زغب ولا سيما على شفتها يستحب عند جميع الناس .
فأما الاجرد منا أو السناط والازط فذكروه عند الله والناس . قالت أما
أولا فلأن المرأة من حيث كانت تعلم انه لا شيء في الدنيا يسد عندها
مسد الرجل كان يشوقها منه أدنى شيء . حتى لو نطمت مثلاً امام امرأة
بالر بعد فولك أعوذ بالله من الشيطان لسبق وهما الى الرجل . فملاها
على العود الاصفرار أو الاحمرار بحسب توجهات خواطرها اليه . وكذا
لو ابدأت بنطق الر بعد قولك بسم الله . فقلت اللهم لطفك وعصمتك .
هذا قرحان الطبع وقريحه فكيف بيانعه . ثم قالت أما الصفات الحسنة
الموجودة في المرأة دون الرجل على ما ذكرت أنت وشبب به الشعراء
وتباهى به المصورون فعدم رجودها فيه ليس بمنع له من أن يحب . لان

المرأة تعلم انه لا شيء يقر عينها غير الرجل فوجوده على أية صفة كانت مشوق لها كما ذكرت آنفا . ألا ترى ان نساء السودان يحببن رجالهن أبلغ من حب النساء لبعولتهن في بلادنا وفي غيرها . ومثل ذلك مثل من عنده كتب كثيرة فيها حكايات ونوادير مختلفة . ومثل آخر ما عنده الا كتاب واحد مطالعه . فصاحب الكتب الكثيرة تراه منتقلا من كتاب الى آخر حتى يأتي على آخرها وما علق بذهنه منها شيء . ثم يمل من إعادة قراءتها . وصاحب الكتاب الواحد من حيث كان يعلم انه اذا فرغ من كتابه لا يجد آخر فاذا طالع صفحة منه لن ينتقل منها الا بعد أن يعمن النظر فيها . ويحسد في معانيها . ويحفظها ويعميها ويترسها ويتذكرها . ويمثلها ويتدبرها . ويمتحنها ويتوقمها . ويتصورها ويفلها ويطلبها . وأما ضربت لك المثل بالكتب لأنني أراك مبتلي بالمطالعة . وعندي أمثال كثيرة غيرها ذكرت .

وبعد فان في الرجل محاسن كثيرة ذاتية ليست في المرأة . منها فردسة صدره والذب عليه . وارتفاع كتفيه وسعة صدره وشطط قوامه وشبح ذراعيه وكثرة العضل فيهما وعظم يديه وكونه قويا شديدا حليدا زخريا شصيلبا شنوبا عزوبا عصيبا قصبيا كئيبا قسبا قزبا قصبيا هقيبيا اصليبا صفتيتا مصتيتا صنتيتا قنماةا عنكبدا قسودا أربر جحاشرا ذيمريا سبطرا قبحرا عبيرا عشزرا قوعسا صملا عينبلا جرها ما بهمة حسميا شيطما عجرما عزما عرضا عردما نا عشرما فسحما شرنبا قاهيا قنماسا مجلجلا ذا جهارة وجشة (١) . فهذه كلها نعمة نحن النساء محاسن في الرجل . وفيه محاسن اخرى اعتبارية وهي صعوده المنبر مثلا خاطبا . وركوبه الجواد وتقلده السلاح . وما أحسن الرجل اذا مشى وسيفه يمس الارض . ثم قالت لو كنت أعرف القراءة والكتابة لالتفت على الرجال

(١) سيأتي مرادف هذه الالفاظ في آخر هذا الفصل

والنساء اكثر مما الف في جميع العلوم ذلك الشيخ الذي ذكرت لي اسمه سابقا وقد نسبته لكونه ميتا . قلت هو الامام السيوطي رحمه الله . قالت نعم أكثر من السيوطي ومن جميع السوطين . قلت ومن جميع المسوطين أيضا . قالت ولكن الذنب على من غادرني بغير تعليم . لأن العرب يزعمون ان علم القراءة مفسدة للنساء . وان المرأة أول ما تستطيع ضم حرف الى آخر تجعل منهما كتابا الى عاشقتها . مع انها لو خليت وطبها لكان لها من حياتها وحشمتها عاقل أشد من الاب والزوج . بخلاف ما اذا حظرت وحجرت فانها لا تنفك تحاول التخلص والتفصي مما حصرت فيه . فتلها كمثل الماء كلما زاد انبعثا وجريانا زاد صفاء وانسياغا . أو كمثل السائر المسرع فانه كلما زلد اسرعا زاد حسه ببرودة الهواء أكثر . قال فقلت في نفسي والله لقد أحسنوا لو انها تعلمت القراءة والكتابة لما بقي في شعري بيت الا وشطرته وخمسته على غير ما قصدت . اللهم انقل معارفها الى ما ينيد . واكفني شر المزيد .

(حاشية) من مرادف القوى الشدين أو الصلب الشديدي وما في معناها المتعت الكنيث الكندث المكث المليث المغث العصانج المفضج الملح المخرج الصلوح الصلنقج الصمجمج الصميدج الكرودج الكلدج الدحوح المجلندي الجلمد الجلمد الصلمد الصمقد الصهيد العريد العصلد الاقود الذفر الذمر الذيمري الزبر الزمر الصمصري الضبير الضبطر الضبططرى العيزار المشزر القبهثرى القناصر الكاثر التيز الجلمز الجلافز الخزاخز القرامز الدخز الضبارز العضمز المكمز العلكز القلز الكلز الملز زالمارس الدخنس الدرأس الدهمس المتشمس العترس المكندس العمرس القلمس القناعس الهكلس الهلمس القرافص الكيص المتخمط الضبنطى الضفط المملط المملط الضليع الصنق الدمكك الصمكيك الصمكك العبكك المركك الجندل الحول العرندل العتل الكتل الكنيل الكنهدل التبتل البهصم الدلقم المرجم الضرغامة العردم القيم القرشم الهينم الهيصم

الفصل السابع

في الحرته

قد كان الكلام في الفاريق حالة كونه فردا مبرما فكيف به وقد صار الآن زوجا . فارى الآن تركه على الحالة الزوجية أولى . لان حديثهما هذا كان في الليل فلا ينبغي التكدر عليهما فيه الى أن يصبحا ويذهب هو الى مدره أي موضع التعبير الذي عين له . ولعل الجنب الكريم أيضاً متأهب بعد حرته هذه الأباذير الى الفراش . فارقد هنيئاً . وان حلمت ليلتك شيئاً فابلغه مسامع الفاريق . فانه أصبح اليوم من كبار المعبرين

الفصل الثامن

في الاحلام

ها هو الفارياق جالسا على كرسي وأمامه مائدة عليها كتب كثيرة ليس بينها صحيفة من صحف الطعام . وبين أصابعه قلم طويل وبين يديه دواة فيها حبر كالزفت . وقد شرع في تفسير أحلام رآها رئيس المعبر في منامه .

الحلم الأول رأى الهالج المشار اليه انه سافر الى بلاد الهند فوجد فرسا في الطريق طاعنة في السن ولا سرج عليها . فلما رآته الفرس دنت منه ووقفت وهي تمحطم فجاوزها بعض خطي واذا بها جبرت وراءه . فلما أدركته ووقفت أيضا فقال ان لهذه الفرس شأنًا . اني اريد أن أمسك بناصيتها لأنظر ماذا يكون من أمرها . فلما مسها تطاطأت كالشيرة اليه أن اركب ولا تخف لعدم السرج . فركبها حيث كان قد أعيا من المشي وسار غير بعيد . واذا هو بدكان سروجي فزل عنها واشترى لها سرجا ثم ركب وسار في مضيق حرج فيه أشجار كثيرة . فنشب في رأسه بعض أغصان الشجر ومنعه من السير . فحاول أن يتقدم فلم يمكن له وأشفق أن يهزم الفرس للاقدام فوقف ينفكر فيما عرض له وهو متعجب جدا . واتفق انه مد يده وقتئذ ليحك رأسه فاذا به قد نبت له ستة قرون . اثنان من امام على كل صدغ واحد واثنان من خلف واثنان في الوسط . وكان ذلك الفصن مشتبكا بها كلها . فتوصل الى أن قطع الفصن من الشجرة لكنه بقي ناشبا في العرون . ثم سار وهو على هذه الحالة فكان كل من رآه بتمعجب منه ويمول انظروا هذه العرون الستة في رأس هذا الرجل . وهو غير مكترث بهم حتى اذا دخل في مازق مظلم تشرف عليه صخور وجنادل عديم بعض

الصخوراً أربعة من القرون . فالكسرت وسقطت وبقي له قرنان من أمام فقط . ولكن كان أحدهما يميل إلى الثاني ويماسه ثم صاراً يصحاً كان ويصطكان . وكلما اصطك سمع لهما صوت عظيم . فاقبلت الناس من بعيد تنظر إليه وتتفرج عليه . فلما ضاق بهم ذرعاً ورأى كثرة الزحام مانعة له من السير عزم على الرجوع . فابت عليه الفرس ذلك وصارت تنب وتظفر قنماً . وكلما ركبها برجله ازدادت وثباً وتقدماً . فنظر إليها كلتمعجب منها فإذا بلونها قد تغير عن أصله . فعال في نفسه لعل هذه الفرس غير الدابة التي كنت ركبها أولاً . فزل عنها ليكشف عن سننها . فلما أراد أن يضع يده في حنكها رفسته وكدمته كدمة شديدة غشى عليه منها . قال فكان الفرس حين أبصرته مجسداً مصروعاً رقت له فجلمت تنفخ في منخرية وتلحس مواضع العروون المكسورة منه حتى افاق قليلاً فطفق يئن ويجار بالدعاء إلى الله لأن ينجيه مما ألم به . فاسارت إليه الفرس برأسها أن اركب لرجع من الطريق التي أتينا منها . فقام متجلداً وركب فلما وصل إلى ذلك الموضع الحرج نبتت فيه تلك العروون المكسورة وعادت كما كانت . فكان يلمس عليها وهو سائر . فلما أمسى عليه المساء نزل في حان ليبيت فيه ليلته تلك . وأمر صاحب الخان بان يعني بدابته ويحضر له ولها عشاء . فلما اتبه صباحاً وجد السرج قد سرق . فقال لصاحب الخان قد فعدت عندك سرج فرسي وما يتأني أن أركبها بدونه قال بل أنت مبطل فيما تدعيه فانك حين قدمت كنت معروياً لها . فلج بينهما الخصام وتماسكا بالجيوب . فلما علم انه لا ينتفع بشيء رضي من الغنيمة بالاباب . وقام إلى الفرس وركبها وبقي سائراً إلى المساء فوجد حاناً آخر في الطريق فبات فيه . فلما أصبح الصباح وأراد أن يركب لم يجد اللجام فحرقى له مع صاحب الخان هذا ما جرى له مع ذلك . ثم بات الليلة الثالثة في محل آخر . وعند الصباح وجد فرسه بلا ذنب . وبقي كلما بات ليلة

يفقد عضوا من أعضائه الفرس حتى بلغ مدينته ساعيا على القدم وغابت عنه الفرس بالكلية . فأما القرون فزال منها أربعة بزوال الفرس وبقي منها الاثنان المتقدمان .

تعبيره

لما ألقى هذا الحلم القرني على الفارياق أخذ يعبت بشاريه على عادته ويفرك جبينه بيده ويروي ما بين عينيه . الى أن اهتدى الى تعبيره فكتب بجانبه ماصورته .

هذاما عبر به المبد الذليل المسمى بالفارياق لجناب المولى المكرم السيد ذاهول ابن غافول عن حلمه الذي رآه في منامه . ان الفرس كناية عن امرأة . والمشي والاعياء كناية عن العزوبة . والسرج كناية عن أدب المرأة . واللجام عن عرضها . والمكان الحرج كناية عن الولائم والمآذب والزيارات التي يجشمها المتزوج ويدخل فيها رأسه ورأس امرأته . والفصن كناية عن بعض المدعويين الذين ينشبون في الزوجة . والقرون كناية عن الحالة الزوجية التي يكون عليها الرجل والمرأة . ونبتها واضمه حللها كناية عن تغيير تلك الحال ورجوعها الى ما كانت عليه . وميته في الخانات كناية عن سفره وزوجته . وغياب الفرس كناية عن فقدها . وباقي الحلم مفهوم بالتحوى والله أعلم .

فلما أخذ التعبير وأمعن النظر فيه ملياً رجع الى الفارياق عجلا وعلى طلعت آتار الفيظ وقال . ان في تعبيري خطأ من وجوه . الاول ان عبارتي موجزة بخلاف عادة المعربين . والثاني ان الفرس ليست كناية عن المرأة فان المرأة عندنا لا تكون دون الرجل أي تحته بل هي أعلى منه . فيجب أن يكون تعبيري بحسب اصطلاحنا لا بحسب اصطلاحكم . والثالث ان اللجام لا يكون كناية عن عرض المرأة فان اللجام إنما يوضع في القم

وعرض المرأة لا يكون في فيها . ولكن ينبغي الآن أن تدع هذا وتأخذ
في تعبير الحلم الثاني . فاجتهد في التحرير والاستهبال . فعمى أن تصيب
وتحرز الثواب .

الفصل التاسع

في الحلم الثاني

رأى صاحب المعبر أطال الله بهاءه وعظم بابه بين الهاجرين وأعلاه .
انه أراد يوما أن يكتب خطبه ويتلوها على اليوم في يوم عيد . فأخذ القلم
والمرطاس وكتب حرفا واحدا . واذا بامرأته تدعوه من حجرتها ليحور بها .
فترك الكتابة وحسد إليها . فلما حور بها ورجع رأى أن قد ضم الى ذلك
الحرف حرف آخر بحبر غير حبره . فعال في نفسه ترى من دخل في حجرتي
وخط هذا الحرف الذي ناسب ما أردت من المعنى . ثم أخذ القلم وكتب
حرفا آخر واذا بامرأته تدعوه ليربط لها شراك نعلها . فقام إليها وفعل
ما أمرته به ورجع فوجد حرفا قد أضيف الى الثلاثة الاولى حتى تمت به
الكلمة فراد تعجبه من ذلك . ثم أخذ القلم وكتب كلمة تامة واذا بامرأته
تدعوه ليمشطها المكبة أو والله أعلم المقدمة . فقام ومشطها برفق ولين
ثم رجع فوجد كلمة تامة أضيفت الى كلمته متلائمة بها . فأخذ القلم وكتب
كلمتين فدعته امرأته ليحمرها . فترك الكتاب وقام ولما رجع وجد
كلمتين تامتين . فلما تكامل له سطر دعته امرأته ليعقد لها عظامتها . ثم
رجع فوجد سطرا بجملته . حتى اذا تكامل له صفحة دعته امرأته أيضا
ثم رجع فوجد صفحة كاملة . وعند انتهاء الكراس وجد كراسا وقس على

ذلك الى أن كمل الكتاب . وكانت امرأته قد فرغت من تفحصها وزيتها
فحمل الكتاب اليها وأخبرها بما جرى له ففرحت بذلك فرحا لا يوصف
وقالت له انما حصل هذا ببركة خدمتك لي ومساعدتك اياي على الباسي .
فينبغي يا عزيزي أن تواظب عليها . فلما كان في الفد فعل ما فعله أمس
من الكتابة والخدمة ووقع له فيهما عين ما وقع له أولا . فزاد سرور كل
منهما به . فلما كان العيد صعد الى المنبر وتلا الكتاب الاول فادهش
السامعين ببلاغته وانسجام عبارته ودقة معانيه . حتى اذا فرغ أخذ الناس
يطرئون عليه ويقولون له ما طرق مسامنا كلام أبلغ من كلامك قط .
فقال لهم هذا يمن الشرائك فلم يفهموا . ثم رجع الى بيته مبتهجا متهللا
وأخبر زوجته بما جرى . فمالت له ان نصحي لك يا عزيزي أن تجتهد في
الخدمة والكتابة فاذا تكامل لك خمسون كتابا نعصد بها بعض البلدان
البعيدة فتلوها هناك . لأنه لا يمكن لك في هذا البلد أن تتلو خطبة الا في
يوم عيد والاعياد هنا غير كثيرة . ويكون من الخسران أن تبقي هذه
الكتب الجليلة غير متلوة . فقال لها الرأي ما رأيت . ثم انهما تجهرا للسفر
الى بعض البلاد المشرقية ومعهما تلك الكتب قد ضمنت صناديق من
خشب الساج نفيسة وانفذ عليهما مبلغا جزيلا . فلما بلغا طيهما اكرتيا
لها دارا رحبية مطلة على الحدائق الناضرة . وأرسل متاديا ينادي في
الأسواق أن احضروا يا قوم خطبة المولى ذاهول بن عافول في يوم كذا
وساعة كذا . ليسمعكم من النمازي البديعة ما لم يطرق مسامعكم قط .
فحشدت اليه الناس أفواجا أفواجا . ولما استمعوا في المجلس صعد سلما
كان قد نصب له فيه . وفتح ذلك الكتاب الاول الذي كان أعجب به
قومه واذا به محو لم يشتمل الا على الحروف التي كتبها بيده . فحاول
ان يصل بعضها ببعض ليستخرج منها معنى ما فلم يمكن له . فزل عن
المنبر خجلا وهكذا اتبه من نومه .

التعبير

هذا ما يعبره المبد القدير الفاريق للمولى زاهول بن غافول . ان ما توهمته من ضم الحروف والكلمات والسطور والصفحات والكراريس والاستفسار الى كلامك الذي أعجب به قومك لم يصلح في غير بلادك لارتباطه بربط العظامة والشراك . واهه أعلم فلما بلغت هذه المباراة للمشار اليه أقبل الى الفاريق وهو يخطط الارض برجله ويشمخ بانه قائلا . هذا التعبير أفسد من التعبير الاول . وهذه المباراة أخصر من تلك فلا يكاد أحد يفهم ما تقول . واذا كان تعبير الاحلام غامضاً مبهماً كالا حلام فلا موجب لاستخدام مبرين وتكليف الناس قراءه ما لا يفهم . فقال له الفاريق هكذا جرت العادة في بلادنا التي هي معدن الاحلام ومنبت التعبير . فان رهوسكم لم تكتسب هذه الخاصية الا من رهوسنا . ولولا نحن لما عرفتم ان تحملوا مدة حياتكم كلها ولا حلاماً واحداً . قال فكان الرجل اتبه من غفلته وسكن من ثورته . ثم قال قد بقي عليك الآن حلم واحد فما كد .

الفصل العاشي

في الحلم الثالث

رأى صاحب المعبر أطال الله مدة نيافته عن الهاجين . وحقق أحلامه مع الهاجين . أن قد نصب له ذات يوم سلم عال يشتمل على مئة درجة ليصعد اليه وخطب القوم من أعلاه . فلما خلق لحيته وشاربيه ولبس

ثيابه السامية أرسل من جمع القوم الى موعد معين . وكانوا كلهم قد علموا بذلك من قبل وسبقوه اليه . لما انه لبث ساعة ينتظر امراته حتى تقوم من القراش فيرعمها ويعانقها قبل توجهه . ثم تأبط كتابه وأقبل يجري الى ذلك الحشد العظيم ولم يلتفت يمنة ولا يسرة . فلما بلغ الموضع ورأى السلم منصوبا والناس مجتمعين حوله كاد يطير من القرح . فقال في نفسه هذه فرصة ما سمح الزمان لغيري بثلها . فساد اليوم هؤلاء القوم الى بيوتهم بقلوب مثل قلبي وأخلاق كاخلاقي . ولو لم أعمل من الصالحات غير هذا لكفى . فقد كتب أجري عند الله . ثم تمادى في الافكار . وتعل من الاستبشار . واستقبل السلم وهو مذهوش . وما كاد يصل اليه الا وقد مد رجله متفشعا الى أول درجة منه من دون أن يسلم على أحد من الحاضرين . ثم افتتح الخطبة بقوله .

الحمد لله الذي أمر بنصب السلم وارتضاه له عرشا . فسمع أحد القيام هذا الاستهلال فانكره . وقال لمن كان يليه ما أظن خطيبنا اليوم الا ممتوها . فلست أشاء أن أسمع منه أكثر من هذا ثم ولى . فعمد الخطيب الدرجة الثانية وقال : وجمع الناس الى هذا الحفل المبارك وكلهم قارش أذنيه للاستماع فرشا . فسمع كلامه آخر من الوقوف فقال هذه الفقرة شر من الاولى . فاني لا أيللي بكون السلم عرشا أو نعشا وانما أغضب لاذني أن أفرشها ثم ولى . وما زال الخطيب يقول عند صعود كل درجة فقرة ركيكة مثل هذه وينفض عنه شخص وهو غير منته به لما شمله من القرح الذي أذهله عن رؤيهم حتى بلغ درجة المئة وقد انفض الناس كلهم عنه . فلما استقر عليها التفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا . فقال في نفسه قد الفت خطبتي وجمعت لها القوم . وهام قد تولوا وبقيت الخطبة معي . فالي لا أتلوها جهراً في هذا الموضع الشريف المترفع عن نجاسات الارض وقذرها . فان لم يسمعهوا

هم يسمعهما الله وه لا تكتفه . فانه يقال كلما بمد الانسان عن الارض زاد
تقربه الى السماء . ولست أرى موضعا يصاح للخطيب أكثر من هذا .
ولعل أحدا من المارين يلتقط كلمة مما أقول فتكون سببا في خلاص نفسه
وتفوس ذوبه وجيرانه ومدارفه . فان لفظة واحدة من فم واحد قد يكون
فيها الموت والحياة . ومن العيب أن أعود الى -زوجتي وأقول لها ان الخطبة
بقيت غير متلوة . ثم انه مسح عرقه وأصلح صوته وثيابه بمد أن جمل
الخطبة على الكتاب وجثا يصلي قليلا ويدعو الله لأن يلهم أحدا من
الناس أن يمر به ويسمعه . ثم قام ناشطا مسرورا وقال . اسمعوا يا اخوتي
الاحباء وانصتوا اليوم لما أنا قائل لكم . واتفق وتشد أن مر به رجل
من الشعراء الفاوين . فلما سمعه يقول ذلك ولم ير عنده أحدا وقف وقال
من أطلع هذا المجنون الى رأس هذا السلم . وأين اخوته الذين يحاطبهم
أم عساه يكلم الجن في الهواء ان في هذا لمجبا . ثم صاح به أن انزل يارجل
ولا تمرض نفسك للهز والسخرية اذ ليس يسمعك من عباد الله أحد .
فلم ينتبه له الخطيب لانه كان شاخص البصر نحو السماء . فاعتند الرجل
بان به لمبا . فاراد أن ينزله بأية وسيلة كانت وأخذ في قطع أوتاد السلم واطنابه .
فلم يشعر الا والسلم قد تفوض وسقط وسقط معه الخطيب وكتابه على
رأسه اي على رأس الشاعر . فتهشم كل منهما وتحطم .

التعبير

لا ينبغي للخطيب أن يكون زئارا . وان داوم المولى الطراد على الزئرة
فلا يأمن من أن يسقط سمطة تدق بها عنقه والله أعلم .
فكان هذا التعبير أنكى له وأقهر مما تقدم وذلك لنهي عن كثرة الكلام
ولوجازت العبارة . فلما كان بعد أيام جاءه برقة فيها ما صورته : حامت أن
رجلا من أصحابي قد اهدى الي قنيطا مما ينبت في سهل الاردن .
فانحزرت منه عشاء وبت فرأيت اني دككت أسوار مدينة في الجو تشبه

مدينة إريحا في حصانتها ومناعتها . فكتب الفاريق بجانبه
 . اذا ما تعشى القنيط جراضم رعى الجومن برج امته بجلا هق
 فيغمم ثقي منخرية عجاجها فيرجع أيضا سبكها كالبندق
 فطالع امرأته بذلك فمالت لعل الرجل قد ألف الآن هواه البلاد فاني
 أراه ابتداء يصيب . وقد ذهبت عنه تلك الحدة التي كانت تظهر سابها في
 حركاته وكلامه . فسأجره انا الآن بنسي في حلم رأيت الباردة . ثم
 أخذت رقعة وكتبت فيها . رأت السيدة ورهاء زوجة السيد زاهول بن
 غافول ان بيدها قفلا مصقولاً مجلوا ذا ثقوب كثيرة . ويبد زوجها مفتاح
 ذو ثقب واحد وقد صدى . فكتب انفاريق تحته

المرء والمرأة سيان في الميسل الى المشق وحب السفاح
 لكن ذا مفتاحه قد يمي . ولك ما مأمون لها الانفتاح
 فلما اطلمت على المعنى قالت لزوجها هذا ما خطر ببالي قبل تمبيره .
 فما اقر به الآن الى الصواب فخذله هذه الرقعة الأخرى . فتناولها
 الفاريق فاذا فيها رأت السيدة ورهاء أن قد كتبت على جبين زوجها عدد اثنين .
 فلما أبصر نفسه في المرأة حاول أن يحومها . فبادرته وأمسكت يده فلم يدر
 الا على محو واحد فقط . ولكن بقي الآخر غير ظاهر وظهوراً بيننا . فكتب تحته
 قرض على الزوج أن يكفى حليلته في كل ليل ونقل بعده يرضى
 فان تبدل لفظ الله رضى بالرفض تبدلت هي معنى العرض بالعرض
 فاستحسن البيتين جداً ثم ناولت زوجها رقعة أخرى كتبت فيها .
 رأت السيدة ورهاء سيدة السيد زاهول بن غافول انها ترى الاسود بعينها
 البيني أبيض . والا يبيض بعينها البيمرى أسود . فكتب تحته

رضاء الزوج صعب أي صعب ولا سياً اذا رأت المعنا
 فتتظر فيك كل الحسن قبجا وتنظر فيه كل القبح حسنا
 فاستظرفتهما وقالت لزوجها أراه يحسن تمبير الاحلام النسائية القصيرة .

فاحلم لي الآن ياعزيزي حلماً قصيراً واكتبه في رقعة وأنا أأوله إياها
لننظر هل يستمر على هذه الطريقة معك أو لا . فلما كان الغد جاءته برقة
فيها . رؤى في المنام شيء مطاول . ثم ظهر لمين الراثي مستديراً ثم مطاولاً
ثم مستديراً وهم جراً . فكتب الفاريق تحته

قد كنت أحسب هيئة الدنيا قتلسم الفرج اذ في القدر يشتهبان
حتى استبانوا انها كالاست تدويراً فقلت تقارب الشهبان
فلما أطلع زوجته عليهما ضحكت وقالت أراه لا يجادب إلا معي . وانه
ليشم الامور النسائية شياً فان هو الا زير لسا . ولكن لا بأس في أن تجربه
يحلم آخر وبعد ذلك زى ما الذي ينبغي أن نصنعه معه . فلما كان الغد جاءه
برقة فيها . قد رأيت ان بدأ خطت على صدغى عدد ثلاثة ثم توارت .
فمدت يدي الى صدغى لاحكة ففحت من المدوسنين فصبار الباقي واحداً
ذا عوج . فكتب الفاريق تحته

تكلفني زوجي ثلاثاً ولم أطق سوى صرعة والعجز من ذاك لاني
فقلبي وطرفي لا إعلان جنة كمهلها لكن ذلك لا ينبغي
فأخذ الجواب وأقبل يهزول الى امرأته . فلما اطلعت عليه ضحكت
وقالت انه لا يزداد معك الا جنوناً وسفاهة . فينبى الآن أن تدعه حتى
حين وقم أنت الى الصرعة . فتأما اليها واستراح الفاريق منهما أيلماً .



الفصل الحادي عشر

في اصلاح البحر.

كان قد بلغ مسامع حاكم الجزيرة ان الفاريق قدم اليها لتعبير الاحلام
وانه خير بهذا الفن جدا . وان به ملكة ايضا على اصلاح البحر . فبعث
اليه ذات يوم بعض حجاب يقول له ان الحاكم يدعوك اليه اليوم لمسألة
مهمة فلا بد من أن تعد عليه . فلما حانت الساعة توجه الفاريق اليه وهو
موجس من ان يكون الحاكم قد حلم حلمًا حكميا جليلا يعسر عليه
تعبيره . لان المظماء لا يحلمون الا الاحلام العظيمة . فهم مزهونون عن
جلاهي القنبيط وهي المفتاح والصرع وغير ذلك من الاحوال الخسيسة
اللائقة بالصاليك . فلما مثل بمجلس الحاكم قال له قد بلغني قدومك الى
هذه الجزيرة عند المخرجي . وانه قد ضايقك بكثرة أحلامه وما كفاه
بذلك حتى علم زوجته ايضا ان تحلم مثله . فهل لك الآن في تعاطي مصلحة
لدينا تخفف عنك أحلامه وتثقل كبسك . قال ماهي ياسيدي . قال ان
عندنا في هذه الجزيرة قوماً بخرأ لا يطبق احد أن يفهم منهم شيئاً اذا
تفوهوا لشدة بخرم . وقد سمعت انك قادر على علاجهم فهل لك في
اصلاحهم ولك عندنا المكافأة الحسنة . قال الامر اليك ياسيدي ولكني
كاهن المعير . قال اني باعث الآن الى المخرجي من يخبره بذلك فلا تخش
منه ضيراً . قال جزاك الله خيراً . انك أهل للحج والفضل . ثم انصرف
من حضرته من غير ان يرجع المهتري . لان حكام الافرنج لا ينكرون
على الرجل ان يروا منه قفاه او ظهره او بطنه لا بل بطونهم اظهر من
ظهورهم . فلما بلغ الى منزله وأخبر زوجته بذلك ركبت قد بدأت تهجى

قالت . بورك من يوم اني رأيت فيه بديكان جوهري عقداً نفيساً . وكاني رأيت عليه حروفاً ظهر لي انها ك س ب ا ل ب خ ر ف هل يخرج منها معنى . قال يخرج منها معنى اني اشتريه لك من الدراهم التي تحصل لي من وظيفة البحر . قالت نعم فاني كنت اسمع أُمي تقول لأبي ان الرجل اذا بذل رأس ما يحصل يتحصل بيده من الاموال في شراء حلي ولباس لزوجته بارك الله له في ذنبها . اي في ذنب الاموال لا في ذنب امرأته . قال ما الفائدة اذاً من هذا البذل اذا لم تشمل البركة الطرفين . قالت لزيادة جمال زوجته . قال اما انا فراض بما فيك من الحسن الطيبي فلن هذه الزيادة . قالت هي تزيدك حبا الي . وتبسم غيرك أيضاً على أن يحسدوك علي . و يتمتعوا لو اني كنت لهم . قال اللهم اكفني شر المزيد . ولكن لابد من شراء القصد . فهو أولى من انحلال القصد . فوعدها بذلك فامدت بحمد الله تعالى ولمست جيدها . فلما مضى الشهر وقبض المرتب له أعجز لها وعده . فقالت هو من دراهم البحر ولكنه أحسن من الند . لقد قسم الله بيننا عدل قسمة خذ أنت دراهم الملح واعطني دراهم البحر . ففقد رضيت بهم . قال فقلت لها لا تقولي بهم ولكن بها . فان بهم يرجع الى البحر . قال فهمت بكلام لم أسمع كنهه وانما سمعت من آخره قولها وأي ضرر من هم . فقلت لها وأي حيزبون أنت . فالتفت الى الباب فلم تر أحداً فقالت أين الزبون . ثم استمر الفاريقي في الوظيفة المذكورتين مبراً ومصلحاً مدة مكنته من حل مشا كل زوجته . واتخذ له متاعاً فاحراً وآتية حسنة وصار يدعو الناس ويصنع لهم ولائم . وكان للحاكم عادة أن يدعو جميع المعروفين في خدمته الى ليلة عيد يرقص فيها الرجال والنساء بحضرته . وكان من جملة المدعوين الفاريقي وزوجته . فلما رأت الرجال يرقصون وهم مخاصرون للنساء قالت لزوجها هل هؤلاء النساء أزواج هؤلاء الرجال . قال منهن هكنا ومنهن بخلاف ذلك . قالت وكيف يخاصرونهن اذا .

قال هذه عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الافرنج . قالت وبعد المحاصرة ما يكون منهم . قال لا أدري ولكن بعد انقضاء الناس يذهب كل الى منزله . قالت أشهد بالله انه ما خاصر رجل امرأة الا وباطنها . قال لا تسميه . الظن انها عادة قد مشوا عليها . قالت نعم هي عادة ونعمت العادة . ولكن كيف يكون احساس المرأة حين يلمسها رجل جميل في خصرها . قال فقلت لا أدري انما أنا رجل لا امرأة . قالت ولكن أنا أدري ان الخصر اما جعله الله في الوسط مركزا الاحساس القوي والتحتي . ولذلك كانت النساء عند الرقص والقرص في أي موضع كان من أجسامهن يبدن الحركة من الخصر . ثم تنفست الصعداء وقالت . ياليت أهلي علموني الرقص . فما أرى فيه لأتتى نقص . فقلت لو فتحت الصناديق في كل من المصرعين لكان بيتا مطلقا . فقالت ياللعصيدة بين الانام . أقول هذا الكلام في مثل هذا المقام . قلت هيت الى البيت فقد كفاني ما سمعت الليلة وما رأيت . قالت لا بد من ان أرى ختام الرقص . قال فلبنا الى الصباح ثم انصرفنا بها فكانت تقول وهي سائرة نساء مع رجال راقصات . رجال مع نساء راقصون . راقصات راقصون راقصون راقصات . فقلت فاعلات فاعلون فاعلون فاعلات . قالت الرجال والنساء والبنون والبنات . كيف — متى — أين

ثم بعد أيام ورد على القاريق حلم مشكل في وحش ذي قرون واذناب كثيرة وشيأت وبقع شتى في جلده . واراد صاحب المعبر ان يعرف تأويل كل قرن وسر كل بقعة . ففسر عليه ايشاؤه فذهب الى منزله مبتسما متسخطا . فعالت له زوجته ما بك . قال هم ونكد . قالت ما سببه . قال كلما تخلصت من ورطة وحلت في اخرى شر منها . قد كنت من قبل مداحا للسري بما لم أرد . ثم صرت عشيرا المجانين . ثم معبر الاحلام ثم مصلح البخر . وكل ذلك على غير ما اروم فانك هذه المعيشة واضيق

هذه الدنيا علي . أليس في الارض مندوحة عن هذا : قالت خفف عليك ياسيدي ان كل انسان في الدنيا له نصيب من الحزن والهم . حتى المرأة ايضاً لا تخلو من الهم فدأبها كل يوم ان تزجج حاجيبها . وتكحل عينيها . وتورد خديها . وتحفف خطو قدميها . وتنظر في المرأة مئة مر كيلا ترى شمرة قد انفردت عن سائر شعرها . ثم مخاطب نفسها في المرآة وتضحك وتبسم وتهلس وتفمز وتلوي جيدها وعطفها وتنفس الصعدا وغير ذلك . لتعلم كيف تبدو منها هذه الافعال في عيون الناس . قال فقلت أهذا وقت الجدة أم الهزل . انا اقول لك ان للوحش أذناً وأقروناً وشيات لا تحتمل التأويل . وانت تذكرين الفمز والابتسام والتكحيل . قالت ليس في كل يوم يأتيك وحش مثل هذا وإنما هم النساء في كل صباح ومساء ضرباً لازب . وحسبنا بالفريبة هما وحزناً . قلت اما انت قريبة العين هنا وقد سمحت بالحرية في الخروج وحدك . وفي رؤية الناس وفي ورؤيتهم لك بما لم تعهديه من قبل في دولة البرقع والخبرة . قالت انما ينغصني كوني لا أستطيع أن أبلغ اهل مصر أي النصارى منهم قبطيهم وشاميهم ما يراد من الزواج مما لم يعرفوه بعد . فانهم يحسبون ان الله تعالى انما خلق المرأة لمرضاة الرجل في فراشه وخدمته وخدمة بيته . فتري طلمة الرجل منهم اذا جاء منزله وواجه امرأته كطلمته حين غاب عنها سواء . وانه ليقعد بعيداً عنها قاعدة المستريب المتفكك . واذا نظر اليها فما ينظر الا الى شعرها ليري هل به شمت أولاً . ثم هو لا يصلحه لها امام الناس اذا شمته الريح وغيرها . ولا يلبسها ولا يأخذ بذراعها اذا تماشيا . بل قلما يعيش معها الا اذا سارت لتنظر أهلها غيره عليها من أن يكلمها أحد في الطريق أو يراها فتزجج حبل من النظر بفذ ومن الكلام بتوأمين . فاذا حضر الطعام تمشى وهو ساكت وحكم كأنه يأكل شيئاً مسموماً . وربما كلفها غسل رجله قبل النوم أو

تكنيسهما حتى يجيئه الناس . وهو في خلال ذلك يرمش ويرضك ويتأهب ويحطى . ثم يرقد دون عفز ولا حفز . وكلما كان عيد لأحد مناجيف الرهبان تأبل عنها ويلزمها أن تقول له بحضرة الناس نعم ياسيدي وأحسنيت ياسيدي . وربما كان ذلك السيد سيذا عملسا . أو كان من أكبر الحمقى وكانت هي رشيدة لبيبة فلا يسمعها الا أن تبعل له . ولا يمكنها اذا رأت منه غواية أن ترده الى طريق الصواب . فقد قرر في عقول النوكى الماتيك ان عصيانهن النساء طاعة لله حسنة . حتى اذا وقع منكوسا على أم رأسه رجع الى امرأته باللوم والتبكي . قال قلت قد روي عن النخعي انه قال من اشراط الساعة طاعة النساء . فقالت كافي بالافرج قد حشروا أو يحشرون الليلة . ثم استمرت تقول وأقبح من هذا كله ان الرجل عندنا اذا كان كهلا لا يستحي أن يتزوج بينت لم يأت عليها بمد نصف عمره . فاذا استمرت عنده شرع في تربيتها وتبينها وتوليدها من ذي أنف وعاملها بالتفاق والدهان . فقد يكون خبيثا فاجرا ويوهما انه ذو صلاح وقوى يتورع من اللهو والمصاع وعشرة القتيان الكبسين . وما يحظر بهاله ان مغايرة السن بين الزجل وامراته هي من أعظم الاسباب الباعثة لها على فركه . بل يعتقد ان مجرد كونه فاعلا وكونها هي مفعولا يقضي له بالمزية والفضل عليهما . فقلت ان دعوى القاعلية ما أراها الا باطلا . فان المقامة والمباضة والمواقعة واخوانها تدل على ان الفعل مشترك بين اثنين . وانما الافضلية باعتبار البادىء . فقالت ليس الابتداء متعينا على واحد دون الآخر فايهما بدا صح . فلا مزية لاحدهما على صاحبه هذا وكمن مرة لمجرد هذا الوم يفادر الرجل امرأته وحدها في البيت ويقضي ليلته عند أحد أصحابه . فيتعاطى معه المدام حتى يسكر ويذهب ما عنده من قليل العقل فلا يقدر على الرجوع الا اذا حمل بين اثنين كالجنابة . ثم هو لا يفرق بين أن تكون زوجته حبلى أو غير حبلى . فتراه

يكلمها وهي في تلك الحالة بعين الكلام الذي كان يكلمها به من قبل .
 ورماد مق عليها كالأضغاب فتناها بمرعبة . أو أسمعها الضبعطى والضبعطى
 والضبعطى وايه ودخدخ وهجاجيك وهذا ذيك . أو كان عليها دبوقاء
 أو لزاقا أو طباقاء أو عباقاء أو عبايا أو عباماء . فنهاية رفقه بها وشفقته
 عليها انما هو أن يشتري لها جارية أو يستخدم وصيفة . وليس المقصود
 بذلك مجرد تخفيف الشغل عنها وانما المقصود جعل الامة أو الخادمة
 رقيقة عليها حتى لا تخونه في عرضه . ولا اقول في ماله لانه لا يخرج من
 البيت الا بعد ان يقفل صناديده . مع ان الجارية لا تكون الا ذات ضاع
 مع سيدتها عليه وان شتمتها بين يديه واهاتها . لانها لا يهملها كون سيدتها
 تحب واحدا من الرجال او اثنين او عشرة . بل يهملها ان تنال عندها
 الطيب من المأكول والمشروب . فاذا كانت زلة سيدتها كإيما لم تحت يدها
 ادات عليها بتلك الزلة وتجرات على ان تطلب منها ما تشاء . لال تمنى
 ان سيدتها تكثر من العشاق ما استطاعت . لانها تؤمل منهم الصلة
 والاحسان . ومعلوم انه كلما كثرت العشاق كثرت الصلات

وبعد فان من طبع النساء في كل زمان ومكان الارتياح الى شواغل
 الهوى وبواعث العشق . وأن يرين اهل الدنيا كلها مسترسلين اليها
 ومنهم مكن فيها . فالجارية التي تكون عند سيدة حرة على فرض صحة ذلك
 لا تلبث ان تفاضب سيدتها حتى تغري زوجها ببيعها فيقع نصيبها عند
 أخرى غير حرة . غير ان الرجال مغفلون . نعم هم مغفلون . فأما تبجحهم
 بكونهم يشترون لزوجاتهم حلياً في ربيع يسرم فذلك عائد الى خيرم .
 لانهم لا يلبثون ان يسلبونهم ايها في خريف عسرم وافلاسهم . فأية
 امرأة ترضى لنفسها بأن تفقد في بيتها كالفرس المسرج المدة للركوب وهي
 محرومة من معاشره الناس . قال فقلت والله ما قلت كلاماً أحسن من هذا .
 وهذه آثار النجابة بدت تهطيع من طباعك فحيالك الله وبياك . قالت

وما يياك قلت ليس بشيء . قالت ولكنها عندي حسنة للزواج . قلت
كانك تقولين انه من قبيلي تزويج لقطعة بأخرى فيشمن منه رائحة الزواج .
قالت نعم الزواج سار حتى في الالفاظ . قلت واكن بقي لي عليك اعتراض
وهو انك عرضت في اول خطبتك هذه البليغة التي أفادتني أكثر من خطب
صاحب المعرب بآني أصالح شعرك وثيابك امام الناس . او بأنه يلزمني أن
افعل ذلك وهو مما فات فكري . قالت انك لما تفعله ولكن يستفعله
ان شاء الله عن قريب . فاني أراك تقدر النساء ولا تبخسن حقن واني
واحدة من عباد الله هؤلاء .

الفصل الثاني عشر

في سفر ومحاوره

ثم لما كان القد ذهب الفاريق وهو موجس من تعبير الوحش .
فجاءه الرئيس يقول قد عن لي ان أسافر الى أرض الشام لاجل تغيير
الهواء . فان هواء ذلك القطر طيب والاحلام فيه تصح ويسهل تعبيراها .
واني أراك مثلي ضعيف القوى ناحل الجسم فتجهز للسفر فعمى الله ان
يوفق لنا اسبابه ونعود بخير . فاستأذن الفاريق الحاكم في ذلك فأذن له
كرماً وتفضلاً . فأقبل على زوجته يودعها ويقول . عهدي اليك يازوجتي
باديء بدء ان تتذكري السطح فيبعثك على حفظ العهد والوداد . وان
تعنى بأمر ولدي . الذي أغادر عندك معه كبدي . واذا أناك فاسق بنياً
فتبتي . اي اذا قال لك غداً احد ممن حسدني عليك قد مات زوجك
في البحر وأكله الحوت ولم يبق في عالم الوجود سوى اسمه فلا تركني
اليه . قبل ان يرد اليك كتاب مني تعتمدين عليه . قالت ولكن كيف

تكتب لي اذا كان الخير صحيحاً . قلت فقلت يكتبه لك صاحب المهر .
ولكنني أرجو أن أصل سالما وتقرعيني برؤية أهلي وأهلك وأبلغهم سلامك .
قالت ألا تمين لي مدة لارسال الكتاب . قلت شهرين . قالت هذا
دهر دهاير أية امرأة تصبر شهرين . قلت نحن سائرون في سفينة الريح
فان الطبيب قال لصاحب المهر انها أوفق من سفينة النار لما في هذه من
رائحة النعم التي تضر بالمصدورين . قالت افعل ما بدالك ولكن احذر
من أن تفيق وتهوى غيري . قلت انما أحذر من الثانية لا من الاولى . قالت
لا بل متي فاحذر . قلت انما عنيت ابي أحذر من الهوى . قالت نعم اياك
واياه فانه يزيدك ضنى . قلت ليست البلاد التي تقصد هامة لذلك كهذا الجزيرة .
قالت النساء والرجال في جميع البلاد سواء . ولا سيما انك الآن في زي
غريب والنساء كلهن يتهافتن على الغريب . كما ان الرجال يتهافتون على
الغريبة . قلت قد فهمت هذا التعريض غير ان المراق المصونة اذا دخلت بين
جيشين تخرج كما دخلت . قالت نعم تدخل امرأة وتخرج امرأة . قلت
وأين المصونة أراك حذفتها . قالت في زمن القطحل . قلت وما القطحل
قالت دهر لم يخلق الناس فيه بعد . قلت من أين علمت هذه اللفظة الغريبة .
قالت سمعتك مرة تقولها خففتها وهو دليل على التهافت على الغريب .
ثم سكنت مفكرة ثم ضحككت . فقلت لها ثم تضحكين أمن القطحل .
قالت لا وانما ذكرت حكاية عن امرأة سافر عنها زوجها فضحكت .
قلت وما هي . قالت كانت امرأة متزوجة برجل يربها في بعض أحواله
ولم تكن على يقين مما رابها منه . واتفق انه سافر عنها فخرنت لفراقه لكنها
ظلت واجدة عليه . فجعلت مرة تدعوه وأخرى تدعو عليه . وقالت
ان كان يرثا بلغته دعواتي الصالحة والا فيلحقه غيرها . فقلت هل في
نيتك اذا ان تحاكبها . قالت معاذ الله أن أدعو . قلت قولي لك أو عليك
حتى يفهم المعنى . قالت عليك . قلت لله أنت ما أرى لي من يدك منجى .

فالتفتت الى الباب وقالت ما جاء أحد . قلت دعيني بحفك من الزبوق
ومن من جاء فانا الآن على جناح السفر . قالت سر في أمن الله ولا ترتب
قان للهزل وقتا وللجد وقتا وعرض المرأة هو من الاخير . قلت وهذا
أيضا كلام موجه كانك تقولين انه ليس من الامور المقدمة . قالت ألا كن مطمئنا
سواء كان من هذا أو ذاك فانك ستجدني كما فارقني ان شاء الله . قال
خودعها والدمع هامل على جيدها وبكت هي أيضا لعراقي فاتها كانت
أول غيبة عنها . وكان من خلقها اذا بكت أن تبدو في طلعتها لوائح وجد
شائقة . وملاع حسن رائحة . والنساء أشوق ما يكون اذا بكين . ولكن
لا يكن كلامي هذا باعثا على ضربهن شلت يدا من مسهن عن غضب .
قال فتزايد بكائي لبكاها وأحسست ح بلوعة القراق . ثم أقلعنا وما كادت
تغيب الارض عنا حتى ثارت لواعج الاشواق في صدري وخطر ببالي
كل ما قالته مصبوغا بالوساوس والهواجس . قال ومن كان حلس يته لم
يفارقه ولم تبرح رائحة زوجته فاعمة منخريه لم يدر ما ألم القراق . بعد ليالي
الوصل والعناق . ولا سيما اذا جرى ذلك أول مرة . فينبغي اذا أن اصور
لخاطر صاحبنا هذا الحلبي المفغومي بعض ما يقاسيه المحب من لوعة البين .
عسى أن يرق قلبه فيدعو لجميع النائين عن أحبابهم بقرب الوصل وجمع
الشمل فاقول . ان القراق طالت مدته أم قصرت قربت دليته أم بعدت
عبارة عن فصل أحد المتواصلين وحرمانه من أنس صاحبه . وقد تكون
لوعته أشد من لوعة الموت . لان فراق الميت مقرون بالأسف والتحسر .
وفراق الحي بهما وبالغيرة أيضا . وهي في مقابلة اليأس المتسبب عن فراق
الميت بل هي أشد مضضامنه . هذا في حق الما وجين المتحابين فاما في حق
الكارهين فلا أسف ولا حمرة على كلا الحالين . ثم ان الحب المفارق اذا
فارق حبيبه ورغد عيشه في غير وطنه . من طعام لذيد يأكله او مسامرة
مطربة او سماع غناء يتلذذ بهما أو رؤية أشياء بديعة ووجوه ناضرة سنيعة

تقربها عينه . قال ما يخطر بباله انما هو حبيبته النائي فيقول في نفسه .
 ألا ليته الآن حاضر عندي ليشاركني في هذا النعيم . فاني احسبه اليوم
 محروما منه بل ربما كان على قلبه غشاوة من الحزن والكمد . فكيف
 يتأتى لي أن ألهو وافرح وهو محزون . وكيف يمرثني الطعام ويسوغ لي
 الشراب . وهو الآن لهله مقه عنهما وحشة واكتئابا . الى غير ذلك من
 الخواطر المكدره . والافكار المحمرة . فاما اذا لاسى جهدا ونكدنا بعد
 فراغه فانه يقول . قريبا لي وريحا وويحا وويسا وويلا ووها . ان عيشي
 الآن نكد ذميم . وحالي موحشة وفؤادي كايم . وقد جرى بيني وبين
 أليمني الاتفاق على أن نكون شركاء في السراء والضراء والنماء والبأساء .
 وأحسبه الآن متمنقا منعا . مترفا مترفها . برنا برجا برعا طرعا . يسامره في
 الليل كل ريز طريف . ويجالسه في النهار كل كيس لبيب . ألا وكاني به
 أي بها تبتم الآن ابتسامة رضى واعجاب لمن أطرا على محاسنها وجالها
 فقال لها . ليتك كنت تخذين عوذة لترد عنك عين الحسود . فاني
 لا أسمح بهذا الوجه المنير الوضاح أن يراه كل أحد من الناس . ولا ينكر
 أن يتشبهت عليك من ابتلى بامرأة دعيمة فان العين حق وان جبالك فريد .
 ها يكون جرابها الا أن تقول له . ما أحسن عينيك فانها تريان الشيء
 كما هو . فاما عينا زوجي فان عليهما غشاوة . وان من مذهبه الفاسد
 أن يقول ان العين اذا ألمت شيئا مهما كان بديعا في الحسن قل اشتياق
 النفس اليه . أو كما تقول العامة ما تملكه اليد تهذه فيه النفس . غير اني أخشى
 من انك اذا كثرت من النظراتي والقرب مني لا تلبث أن تتمذهب
 بمذهبه فتراي على غير ما أنا عليه الآن . فيقول لها معاذ الله هذا كلام
 الجهال . فاما الصادقون مثلي في الحب . وهيهات مثلي . فانهم أبدا يتمثلون
 بقول أبي نواس

يزيدك وجهها حسنا اذا ما زدته نظرا

واني أشهد الله علي وهو خير الشاهدين . وملكته المقربين . وانبياؤه
رسله المكرمين . انك اذا عاشرتني الممركله فلن ترى عيني بشراً أحسن
نك . فتقول له هذا شأن الرجال دائماً من انهم يتعلقون المرأة ليفتنوها
وينخدعوها . فرة يقولون لها تبارك الخلاق . ومرة أفدي العرل الشارد .
مرة ياسعد من كنت له . أو طوبى لمن رأى طيفك في المنام . وتارة
نظرون اليها وقد غرغرت أعينهم بالدمع . وتارة يزفرون وينحبون . كل
لك حتى يتمكنوا منها مرة أو مرتين ثم هم من بعد ذلك عنها معرضون .
يسرها بالمحون . فتحن منك على حذر . ولا يخفى علينا ما بابل منك
بها ظهر . فيقول لها معاذ الله . حاش لله . أستهمر الله . ما شأني شأن
لمتلقي الملاذين . ولا طبعي طبع الفاسعين . بل ان اساني في هواك
يعصر عن بيان ما يحنه سرائري . وما يخطر بخاطري . فياليتني أعرف
فة أعبر عنها عن فرط وجددي بك وتوقائي اليك . ولو اطلعت على ضميري
بهدقت وعلمت اني لست كاحد الناس وان غرامي فوق كل غرام .
أطيلي عشرتي ولو بدون وصال ليتأكد لك صحة ما أقول . فتقول له
قد فتحت لهاثها وزال خرسها . وما الفائدة في ذلك فان المرأة ليست
بما رصد طلوعه وغروبه . ولا برقاً يشام ليمهل هو خلب أو ماطر .
لا أحجية يحاول فكها وإشائها . وما يهمها أن تكون أجمل من
سائر النساء وجهاً وأما يهمها أن تكون أشوق للرجال وافقن . فان السويق
يتوقف على الجمال قدر ما يتوقف على حسن الثمائل والحاضرة والملاطفة
المؤانسة والغنج والدلال والافتزار والحدقة والتزجج والفرقة والوكوة
التأد . فيعمل لها نعم سبجان من جمع جميع هذه الاوصاف الحميدة في
اتك الفريدة . فكل ما فيك شائق وكل ما في مشوق . فتقول له وقد
زدهر وجهها سرورا وأعجابا . قد يقال ان نبض العاشق يكون مضطرباً
دعني اجس نبضك لأعلم هل ما قلته صدق أو لا . فيقول لها نعم نعم

خذي يدي فحسبها واجملي يدك الاخرى على قلبي . فتفعل ذلك فيقول دعيني اذا افعل بك كما فعلت بي لتكشف هذه الحقيقة لكل منا . فتجهت ونحمر عند سماعها قوله افعل بك ويضطرب نبضها ثم تسكن وتعد له يدها . فيجسها بأحدى يديه ثم يضع الثانية على قلبها ثم يرفعها قليلا وقد احمر حلقه واندلج لسانه . ثم يفر زفرة طويلة ويقول

لك الله من قرموطة ملأت يدي لغابضها قبض على كرة الارض

لا سجمها السان مقلتي القدا وكل عزيز من متاع ومن عرض

فتقول له وقد دغدغت ولكن عروق الانسان النابضة فيه ليست في

يده وقلبه فقط بل هي في سائر اعضائه . فينبغي على هذا ان نجس كل

عضو فينا لنعلم اينما اكثر حركة وانتفاضا ونغضانا ونبضا وازا ونبضا وازوفا

وحبضا . اذ لا يصح الحكم على شيء الا بعد الاستقراء والاستقصاء .

فيقول لها وقد طرب وجدا وحبورا نعم نعم نعم القول ما قلت . غير انه

لما انه كان الانسان يجهل حاله وكان من طبعه ان يلاحظ في غيره ما لا يلاحظه

في نفسه . كان لابد من ان يكون هذا الاستقراء بالتخالف اي — فتبتدره

قائلة قد فهمت ما عنيت وهو معلوم بالبدية ومستغن عن التفسير وهذا

هو الذي قصدت . فهات يدك وخذي يدي . حتى اذا جالت الايدي

بالجث والجلس . والمث والمس . والنجث والتجش . والبحث والمعش

والضبت واللمش . والطمت والملش . والقحت والفتش . والقبت

والمتش . والمرث والمرش . والمفت والمعش . والنبت والنبش . والنقت

والنكش . واللت والنتش . قالت وقد قوى حبضا ألا هيت لك .

ألا هيت لك . فان قولك على اي الحالين صدق . فيقول لها لييك وسعديك

لقد طالما شبحت يدي بالدعاء لان اسمع هذه الدعوات المنعشة وهذه النعمة

المطربة — اعلى هذا كان الفراق . ام من اجل هذا حسنت لي السفر بان

قلت لي ذات ليلة اني ارى بك يارجل فتورا . فلو سافرت الى ارض

طيبة الهوا . لما د اليك نشاطك القديم فمدنا الى ذلك النعيم . أفكانت هذه
 حيلة منك على تفبيهي ليخلو لك الميدان فتمرحي فيه كيفما شئت وتتماطي
 علم جس النبض وحرركات الاعضاء . ألم يكن لي نبض كسائر الناس فتعلمي
 به هذا العلم الجليل . أم تزعمين انه ضعيف لا يصلح لأن يتعلم عليه . على
 انه ان يكن قد ضعف فانما ضعف بسببك . وعهدي به من قبل ليلة عرسنا
 له ضربان وانتفاض وانفاض . أفهكذا يفعل المتفارقون . وبمثل هذا
 يخون المتراقبون . أحصل لك من الله أن تتمعي الآن وأنا في حالة البؤس
 والشقاء . بطراً تجسين المروق وانني عرق الحجة ان بي عرواه . ألم يكف
 ما كنت اقايسه معك في البيت حين كنت أغدو منه كادحا . وأرجع اليه
 رازحا . وكانت همومك كلها علي . ولومك كله متوجها الي . فكنت انصب
 لراحتك . وأرق اجحاحتك (١) . والغب انشبي . واجهد لترنمي . وأبرد
 لتدفائي . وأقلق لتهدأي . واتجهد لتنهجدي . وانحل لتعدي . فقد تبين
 الآن أيننا ذو أمانة . ومداهنة وخيانة . واذ كنت أقول لك ان الامانة في
 النساء أقل منها في الرجال . فان الرجل أبدا مشغول البال . مضطرب
 الاحوال . يلهيه عن الازدات كده ونجمله . ويصرفه عن هواه رشده وعقله .
 والمرأة لاهم لها الا تشويق الرجال . وفتنتهم بها في كل حال . كنت تقولين
 لابل المرأة أكثر حشمة وحياء . وأقل نهمة ورتاء . وأميل طبعاً الى التعفف
 وأبعد خلواً عن التكلف . فان جمعنا الدهر يوما وأفضنا في حديث الوفاء .
 والمودة والصفاء . حججتك بما لا تدرين معه على الجواب . وأظهرت
 فضل الرجل على كل ذات نقاب . الخائئات الخائئات . المائئات الغادرات
 فان أبيت الا الجحد والمكابرة . فإراوة لدي حاضرة . واليد للطم واللكم
 مبادرة . فاذا أمسكت : اصيتي أو جيبي . وأذعت بين الجيران عيبي .

(١) اجحت المرأة حملت فاقربت وعظم بطنها

جعلت لك من الشجائب صليبا . أو من الذئط نصيبا (١) ومتى خطر بباله ذلك هاج به الفيض كل هياج . وود لو يطير إلى بيته مع العجاج . فيقلب فرجه ترعا وصفائه تكديرا . قال غير أن الحزن في مبادئه فائدة . وهي ذود شوارد الآمال المنسرة والاماني المحالة إلى مراح البصيرة والرشد . بحيث يسكن البال . عن الحوم على موارد الحال . ويستتر الحال . على

فطم النفس عن الاحتيال . وإلى هذا أشرت بقولي

ورب حزن يصون القلب عن سفه كما يصون إناء واهيا صدأه
وما انفضى من لذات الهوى عجلا سيات غايته عندي ومبتدأه
قال وأروق الأفكار وأبدعها ما يخطر في ثلاثة أحوال . الأول في

مبادي الحزن . والثاني في الفراش قبيل النوم . والثالث في بيت الخلاء .

فإن هذه الحال لما كانت عبارة عن تحليل مواد متكاثمة تنفس عنها الأمعاء

والاعجاج . كان هذا التحليل والتنفس أسفل مؤثرا في تحليل ما تعقد في

طبقات الدماغ العليا في وقت واحد ومكان واحد . فيكون بعض المواد

ذاهبا سفلا وبعض الصور صعبدا . كالبحار الذي يصعد من الأرض

فيصعد سحابا ماطرا . فقد عرفت مما مر أنه يحصل من الحزن من القوائد

ما لا يحصل من الفرح . لأن الفرح يبعث على الطيش والذهول وتشتت

الخواطر في أهواء النفس وأوطارها المنتشرة . فهو عبارة عن تعدد أهواء

وتفريق خواطر . والحزن عبارة عن ضمها ولها . ولهذا كان جل العلماء

من الصماليك المبتسئين . وقل من نبغ في الممارف من الأغنياء والمترفين .

الأن يكون قد غرس في طباعهم نوع من الزهد والعزوف الممتزج بالحزن .

قال وأحسن ما صنع لي من الخواطر إنما كان عن بواعث أشجان

وخوارج أحزان . أما من وحشة فراق أو من خيبة وحرمان . أو من

(١) يقال ذأط وذاط وزعيط وظأت ودغت وذأت وذعت وزعزعت

وزرت وسأت بمعنى خنق

حسد على علم وبراعة أما على ثروة ومال فلا . اللهم الا اذا كان لمصلحة
كانشاء مدارس ومؤاسد محتاج . واني لا عجب من هؤلاء الرهبان فانهم
مما هم فيه من الوحشة والحرمات فما أحد منهم ينبغ في علم أو مأثرة . ولو
كنت راهبا لملأت الدير نظما ونثرا والفت على العدس وحده خمسين مقامة .
ليت شعري كيف يمكن لبشر اذا خلا في صومعته ورأى تحتها الغياض
المدھامة والبحر الساجي والجواري المنشآت . وعن يمينه وشماله الجبال
الشاخنة المكلفة بالتلج وفوقه الرقيع الصافي وامامه القسرى والمنازل . أن
يقضي نهاره كله وهو يرمش ويرضك (١) ويتساءب ويتمطى ويملد
معدته من دون تأليف ونظم . ولا سيما ان من حسن ساكنات تلك الديار
ما يشرح الصدر ويروح عن البال . فاذا كانت هذه المناظر البهيجة كلها
لاتهيج هؤلاء النساك على تأليف كتاب فأني شيء بعدها يهيجها .

هذا وان كثيراً من المسجونين قد ألفوا هم في الضنك تأليف بدیعة .
يعجز عنها سكان العصور الوسيعة . فأما ما قيل عن عبد الله بن المعتز من
انه كان ينظر الى اواني داره ويشبه بها فليس كل عبد كعبد الله . فانا نرى
الناس الآن كلما زاد ثراهم قل حجام . والحاصل ان وحشة الفراق تبعث
الخطاير على ابتكار المعاني الدقيقة . وكذلك الصد والهجران والاعراض
والمطل والعتاب والشفون والدلال والتمنع والتعزز من طرف المحبوب .
ولكن ليس محصول هذا الحاصل اغراء الحبيب بهجر محبه حملا له على النظم .
أو تتمد الفراق بعثاً له على وصف ما يجده من الشوق واللوعة . فان
أحسنه ما جاءت به المقادير دون تعرض له . وها أنا أبرئ نفسي عند
الماشقين والمتزوجين وأقول . انه اذا جرى بينكم وحشة أو جبت الفراق .
أو فراق أو جب الوحشة . أو صد أو هجر أو لحاج . أو جدال أو اعتلاج .

او تقافس او تقافس (١) او صراع بالشغرية والشغزية والقرطبي والالهاد
والدهشرة والظهارية والمباشرة والباش والرضة والنض والمراسنة والتنسف
والتعرق والاعتقال فاما يكون علي في ذلك من عتاب ولا ملام .
انتهى كلام القاري وقد أحسن فيه . الا انه لم يحك عن نفسه انه كان
عند الحزن جزءاً خرعاً كثير الوسوس والهواجس قليل الحيلة والتدبير
غير ثابت الرأي ولا مضب على ما في نفسه . فانه لم تكدر أرض الجزيرة
تغيب عنه حتى طفق يشكو من النساء ومن بطرهن عند غياب بمولتهن
عنهن . فسمعه المخرجي وزوجه فقالا له ما بالك تشكوا لخوف عليك من
تعير الوحش مدة السفر كلها . واذا بلغت أرضكم ان شاء الله فلا أحلم الا
الاحلام البينة . قال ما شكواي من الوحش ولا الجن بل من الانس .
فاني سمعت اليوم كذا وأوجست كذا ولعلی أرجع وأجد كذا اولاً
أجد كذا اولاً أرجع ولا أجد البتة . فلما سمعت زوجته بذلك ثارت
زبانية سفر من أنفها فقالت له . هل بلغ من طيشك ان تسيء الظن في
النساء المتزوجات . قال قد ظن فيهن ذلك من قبلي الحليم الرزين . قالت
ليست هذه الخلة عندنا نحن معاشر الافرنج هذا زوجي ما يخامر ديب في . قال
ان السيد مشغول بالاحلام بحيث لم يبق في رأسه موضع لغيرها . أليس
ان عالمكم يرون يقول أخون ما تكون المرأة ما اذا غاب عنها زوجها .
قالت انه شاعر وان كلام الشعراء لا يؤخذ به في الحكم على النساء الا اذا
كان نسبياً وغزلاً . ثم يبيهم كذلك اذا بالريح هاجت الامواج فاضطربت
السفينة ومادت اي ميد . فلزم كل مكانه مدة اربعة ايام حتى ذهل كل
من ركبها عما وراءه وقد دامه . وبعد سفر اثني عشر يوماً بلغوا مدينة بيروت
وم جياح تعبوز شاحبون مبتسسون . والهالج يتقرب اول فرصة من الدهر
لمبوط الاحلام . فلما دخلوا البلد كان اول ما طرق مسامعهم من كلام

(١) تقافس بشه ورهما تواتبا وفقس فلما جذب به بشعره سفلا وعما يتهامسان

أهلها الركك قول المخبران أهل الجبل قد خلموا ربة الطاعة لوالي مصر
وتجندوا عليه . فكان أهل المدينة في شغب واضطراب . وكان دوار البحر
والفراق . لم يزل يعيد برأس الفاريق . فصعد إلى جهة الجبل ليرى أهله فلقي
بظاهر المدينة عسكر الالهين حياً . فهول عليه احدهم باطلاق بندقيته فطار
نصف قلبه من صدره ولم يزد قلب المهول شيئاً . لكن بعض الناس يتاح
للأذى وإن لم يحصل له به فائدة . ثم لطف الله به وأنعمه من العوم فبلغ
منزل أهله . فلما علم قدومه عند أهل العربية أقبلوا يسلّمون عليه مثنى وثلاث
ورباع . فكان ينظر إليهم ويتعجب منهم لبعد عهده بما داتهم . فان النساء
كن يأتين ويقعدن على الأرض . فنهن من كانت تقعد بين يديه العرفصاء
او الهبنقة او الارباء او القرشحة او البرقطة او البرقطة او الفرشطة او
القغزى . او ثجاً او احتفاناً او امتماساً او استيفاناً او اقعاء كمدمة
القرد وهي مشمرة قميصها فتشف سراويلاتها عن وماحها . وهي عادة
ألفنها ولا يرين فيها عيباً . وأكثهن تبدي نديها سواء كانت كاعباً او هضلاً
او طرطبة . ويومئذ أفرغ عليه شحن المسائل فمن قائلة مالك يا فاريق
نحيلة . ومن قائلة وقد صرت ضئيلة . وأخرى ما لسحتك قد كلحت .
وغيرها ولطمعتك قد قيجت . ولا سناك قد قلعت . وجبهتك لتحت .
وأرنبتك فطحت . وأساريرك أزحت . وبشرتك قسحت . وشفتك
تفرحت . وعنتك شمعت . وعينك لجحت . وقامتك تنفحت . وشمرانك
نصوحت . وعجزتك رسحت . وذقنك طحت . ولهجتك قحقت .
قال فتشاءمت من هذه القواني وقلت لم يبق بعد تمدد هذا الحت إلا أن
يقلن وتلك قد نكحت . ثم قالت واحدة منهن إبه وهذه هنة قد زادت
فيك . فمالت أخرى أوه وهذا شيء نقص منك . ثم جعلن يقلبنه ويمررنه
كياقلب الشاري السلعة . وكلهن يقلن بنعمة واحدة يا فاريق يا فاريق أين
الطنبور وأوقات السرور . أين ألياتك في العقوص والطنطور . أنسيت

يوم كذا وليلة كذا . قال فكنت مسرورا بمؤانستهن وسلامة ضائرنهن عن المنكر كما هو خلق نساء تلك البلاد . فانهن لا يابن من لمس الرجال والدنو منهم ومماسه الركب دون الركب . الا انه كثرت مسائلهن علي . وطال قعودهن بين يدي . وأنا محتاج ال الراحة والانفراد . ومع ذلك فجلس النساء مؤنس على كل حال ولا سيما لمن مضى عليه في البحر اثنا عشر يوما من دون رؤيتهن . فونننن بعد هذا العهد الطويل لحيته وشواربه بالمسائل لما لحقه من ذلك أذى .

قال وأعجب من ذلك اني كنت أرى الامراء يتمددون على الحصير وعند النوم يرقدون فوقه على فراش واحد . وربما اجترأوا بالبيض والارز واللبن عن الحمام والعراخ والدجاج من دون شراب ولا فاكهة ولا نفل . وأرجلهم ظاهرة فاذا قعدوا على الحصير خلدوا نعالهم بالقرب منه فتبقي برأى منهم . وترى بعض خدمهم يوم على رؤوسهم أي بازاها لافوقها وفي حزامه المعلقة . وآخر في جيبه الطاس من فضة اشارة الى غنى الامير والى كونه كاحد الناس غير مستغن عن اللعق والشرب . وهوقاعد مطرق لا كتاب عنده فيطالعه ولا سمير له فبسامره ولا آلة له تطربه . وقد يقضي ساعات من النهار هكذا بل يوما وأياما ولا يرى من امرأة أصلا . حتى تغمش عيناه ويظلم فكره وتلقس نفسه وتحرض معدته . فأين هذا من محاسن الافرنج التي تزين بالمتكئات النفيسة وتفرش بالذرابي الفاخرة وتوطأ بالنمال . ولا تزال الحسان مقبلات عليها مدبرات . فمن هيفاء تشرفها بوطاة . ومن غيداء بطهرة . ومن زهراء بزفتة . ومن وطباء بحركة . ومن دهساء باضطجاعة . فمن يصبر على هذه الحال . فيا أمير الناد . وواحد الاتحاد . وراكب الحواد . ورامي الجريد على العباد . قل لخادمك حامل الطاس ينح نملك من اءامك . بل البسهما وتعال معي الى بلاد الافرنج لينظر الامراء منهم محاصرين لأزواجهم واولادهم سائرين بهم الى المنارة

والخدائق ومواضع اللهو واللعب والضرب . ولا حرج على أزواجهم أن
يبتسمن أو يعلن أعتاقهن أو يفرسن أو يوكوكن أو يحذقن أو يجرجلن
أو يفرجلن أو يهرجلن أو يهركن أو يتبازين أو يكبن . ولا على أولادهم
أن يظفروا ويعرحوا . حتى إذا كحلوا أعينهم برؤية الكحل باتوا ليلتهم
تلك على الوثير من الفرش مع وثائرم . ليت شعري لم لاتضم اليك مع جملة
هؤلاء الخفان والوصفاء والبساقعة والنساتمة والهباقعة والمهنة والمتانص
والنصف والحقد والمقاتوة والخدم والحشم الذين حولك ثلاثة نفر من المازفين
بالات الطرب . ليجلو عن خاطرك صدام الوحدة والاعتزال في كل يوم
عند الاصيل أو في المشاء . وأذن لي في استعطافك لأن تأذن لجليرائك
في ان يأتواهم أيضاً ويطربوا لطربك . فيدعوا لك بتأييد دولك . وتخليد
غبطتك . ودوام بقائك . وسموارتقائك . وفي ان اسألك لم لاتمين في
العام عيداً لمولدك او لمولد السيدة او الاولاد المحروسين . فيكون يوم فرح
وحبور لك ولجميع من ينتمي اليك بحيث تصطنع فيه مأدبة وتدعو اليها
دعوة جفلى لانعري . اي خير في رمي الجريد واصابك به كتف خو يدملك
العبد الحقير او ضرسه حتى تعطله عن الاكل وامت لاه عن احسن الرمي
واصوبه واصرده وامرقه . وانت آمن هناك من ان يقال لك برحى برحى
بل يقال لك مرحى مرحى . هذا ما عدا ايلام ابطك الفاخر العاطر برمي
الجريد . وما الفائدة من وقوف الخويدم بين يديك وفي حرامه الملعمة او
على راسه الخوان او على صدره الفمسة والباطية او بيده العس والقعب
او على عاتقه المائدة او على عنقه القدر . وانت لا تأكل مع السيدة واولادها
ولا تأخذ ولدك وتضعه على ركبتيك . ولا تحمله على ظهرك ولا تتطأطأ
له ليثب فوق راسك . ولا تحتجره ولا تحتضنه ولا تتوركه ولا تعاقه
ولا تحريل له خذك ليبوسك . ولا تمكنه من ان يعبت بشاريك او يعض
اصبعك او انفك ليضحك قليلاً فأضحك انا كثيراً . ولا قطعمه يديك

ليعرف انك محسن اليه . ولا تأكل شيئاً مما يلوكه . ولا تركبه على جحش
 وتقود به الجحش ولا تغني له في الليل ليرقد على نعمتك فيقوم في الصباح
 يغني لك غناء اطرب من غناء القنقنس ومعبد وابي البداح وسواط والشمث
 وخيلان وعمر بن إمنة والزيات ومندود بن عبد الواسط الزباني وززل
 وعرفان والجرادين وانة غفزر وسلامة وشمول وابن جامع السهمي
 وديس ورقيق وابن محرز والمشدود وهاشم بن سايان ودحان الاشقر
 وطويس وابن شرح والدلال بن عبد النعم وابن طنبور الخميني وحكم الوادي
 وابراهيم الموصللي واشجى من

الرم ومن صوت كل دعيب غريض : الرن المغنيات المجيدات
 والغريض المغنى المجيد ومثله الدعيب

ولا تباثه ولا تفازله : بابه قال له بأبي أنت

ولا تناغيه ولا تباغمه : باغمه حادثه بصوت رخيم

ولا تنادغه ولا ترامه . نادغه غازله ورثت الناقه ولها عطف عليه وزنته

ولا تنفره ولا ترجمه : نفر الصبي دغدغه كنفه ورثت المرأة ولها لاعتبه

ولا تهيم له ولا ترعمه : رعمه مسح رعامه اي مخاطه غير ان صاحب

القاموس خصه بالمرأه بل المتبادر من عبارته انه مسح رعام الرعموم للمرأة

الناعمة فالعفور مر جو منهما على كل حال

ولا ترزم لرزمته : أرزمت الناقه حنت على ولدها والزمه صوت الصبي

ولا تصجث عليه : تجثث عليه رثمه وأحبه وتلقف على الشيء بواريه

ولا قمرمه ولا سمته : التمريم تعليم الاكل والتسميت الدعاء للعاطس (١)

(١) في تعريف التمريم ابهام علي فان التعليم هنا يحتمل ان يكون من

العلامة فيكون الاكل بمعنى الطعام ويكون المراد به ما اراده بقوله في

رسم الرسم خشبة مكتوبة بالنقر يثبت بها الطعام وفي رسم م رسم الطعام

ختمه والا فهو في محله

ولا تفدي له ولا تصيه : أفدى فلان رقص ابنه واصهاه دهنه
بالسمن ووضعته في الشمس

ولا تدسم له نوته : النوة النمرة في ذقن الصبي الصغير وكذا الفحصة
وتدسيمها تسويدها كيلا تصيبها العين

ولا تبدي له البججة : البججة شيء يفعل عند مناغة الصبي
ولا الحوفزي : الحوفزي أن تلغي الصبي على اطراف رجله فترفمه
ولا تقول له حلمة : قولهم للصبي اذا نجشاً حلقة اى حلق رأسك
حلقة بعد حلقة

ولا بجباح : بجباح كلمة تنهى عن نقاد الشيء وفنائه
ولا عمحاح : هو كقولهم بجباح ومثله سمحاح ومهماح
ولا كبح كبح : يقال عند زجر الصبي عن تناول شيء
ولا تعنى يدنمه : دفع الصبي جهداً وجاعاً واشتوى وطمعاً وخضع وذلاً ولؤماً
ولا بققته : صوت يصوت به الصبي او يصوت به اذا فزع
ولا تكثرت لبأبأته ولا لببته : بابأ الصبي قال بابا وبية حكاية صوته
ولا لتغنته ولا لتغنته : التفتته حكاية صوت الضحك والتفتته عض
الصبي قبل ان يتفر

ولا لتأأته ولا لدأأته : التأأة حكاية صوت وهي ايضاً مشى الطفل
والدأأة صوت تحريك الصبي في المهد
ولا لدعبه ولا لحثاره : دعب حكاية لفظ الطفل الرضيع وحثاره
الصبي حركاته

ولا لادراره : ادرم الصبي تحركت اسنانه ليستخلف اخر
ولا لفصيصه ولا لانتداعه : فص الصبي فصيصاً اذا بكى بكاء ضعيفاً
وانتدغ ضحك خفياً

ولا تبالي بمقامه : المقام خيط فيه خرزات تعلق في عنق الصبي
ولا بقر زحلته : من خرز الصبيان
ولا بدراجته : الدراجة الحال التي يدرج عليها الصبي اذا مشى
ولا بحقابه : الحقاب خيط يشد في حقو الصبي لدفع العين
ولا بصمته : الصمته ما اصمت به الصبي من طعام ونحوه ومثلها السكته
فبحق عبوديتي لك ياسيدي ودالتى عليك الا ما وضعت يوماً على ركبتيك
او اركبتك على ظهرك . ثم لا بأس في ان تدعه يلعب مع اولاد من هم متسمون
بشرف خدمتك فانه لم يزل بعد صغيراً لا يعلم هذه القروق . ثم لا بأس
ايضاً في ان تسهر هذه الليلة في حريمك المحترم مع بعض رجال قريتك
وازواجهم ممن يتأدبون في المحاضرة بمحضرة النساء . فاني ارى صدر
السيدة قد ضاق من الوحدة وما عندكم من كتب او لهُو حتى ينشرح بها .
ولا غرو ان تستفيدا كلاكما من مسامرة رعيكما شيئاً . فان راس القدير
ليس بأضيّق ولا اصغر من راس الامير عن ان يشتمل على آراء سديدة
مما يخلو عنه راس غيره وان يكن اكبر عمامة منه واغلظ قذالا . وكيف
ترجو ان تكون السيدة وبناتها ذوات رشد ودراية وهن مقصورات
في الدار العامرة . ام كيف ترضى لهن وحاشاك الجهل والقباوة . واتم
ياسادتي الحكام والمشايخ والكبراء والمطارنة جربوا مرة ان تجتمعوا بأهلكم
وأزواجكم مع أهل جيرانكم . (ولكن المطارنة ليس لهم أزواج لتنزههم عن
الواج) وأن تعرفوا فرق المذاهب من بينكم فذلك أدعى لكم الى الحظ
والسرور . اما الدنيا النساء اما الدنيا البنون . اعلموا رحمكم الله ان الاجتماع
بالنساء لا يخل بشرف انصب . اعلموا هذا كم الله ان فرق الاراء في الاديان
لا يمنع من الاتفاقة والمخالفة . اعلموا أصلحكم الله ان في حمل الانسان ولده على
ظهره وتطوقه برجليه اللطيفتين للذة أعظم من لذة تطويل الجنب وتوسيع
الأكمام وتمكوير العمامة ومن وقوف الخدمة وأيديهم على صدورهم . اعلموا

فقهكم الله ان العرب لم تخص حركات الطفل باسماء الا وهي تريد أن تلاحظوها وتنهبوا لها . حتى انها وضعت لحدثه حرفين غريبين في التركيب لاثالث لها في اللغة كلها وهما الصمصص والفقق . اعلموا وفقكم الله ان مستر ومسيوهر وسانيور أنعم منكم بالا وأحسن حالا . اعلموا نصركم الله ان الفاريق رجع الآن الى بيروت واني أنا العبد الحبير كاتب سيرته مفكر في انشاء مقامة تسر العزب مسكم والمنزوج معا .

(حاشية) أظن سادتنا المشار اليهم ما سمعوا النصيحة فراح كلامي معهم في الريح

(تنبيه) قد أطلت الكلام في هذا الفصل المؤذن بالفراق ليقابل فصل الزواج

الفصل الثالث عشر

في مقامة مقيمة

حدثس الهارس بن هشام قال . سول لي الخناس . (أعود بالله من هذا الافتتاح) الذي وسوس في صدور الناس . كل غميس وعمناس . أن تزوجت امرأة خراجة ولاجة . هياجة نياجة . مرغامة ممذامة . لوامة رطامة . خبمة طلعة . خبايمة جلعة . تجاوب ولا سؤال . وتبارز ولا قتال . وتقترح علي أشياء يعجز عنها الدينار . وترميني في مهالك دونها النار . فكان دأبي أن أصبر مرة عليها عذيرا . واخرى أن أشكو اليها فلا تزداد الا شرة ونفورا . ولا ينجع العتب فيها نفيرا . فقلت لله لا جفرن عنها وأوم ان بي جفورا . أولا ضربن في الارض لأعلم هل أرى لها نظيرا . فاخترت الرأي الثاني . بعد التعود بالثاني . وخرجت من بيتي كئيها مبتئسا .

ساخطا على جميع النساء . فبدأ أنا في بعض الطريق . اذ مر بي سرب
منهن يخطرون بالتوب الصفيق . والحلي ذي البريق . وقد أرجت الارعاء
بطيبن العتيق . فرأيت من يذنبن الهيفاء والبدن . والفراء الزهراء ضرة
حور العين . ومهندة العنين . فتاقت نفسي الى وصالهن . وتبلبل بالي
بجمالهن . ونسيت ما لفيت من لساعي في البيت . وقلت ليتكن لي لو
تنفع ليت . ثم أنشدت

أرى للنساء الماشيات حلالة فهل هن حلوات كذا في المقاصير
ولست أرى في الغتي ان مشت وان أقامت سوى مفت وكره وتمير
أراها بعيني حيث كانت بعينها فهل ذو عى غيري براها من الحور
فابتدرت الي واحدة منهن لها عتق كعتق الغزال . وحاجب كالملال .
وقالت خفف عنك فما أنت وحدك في الرجال . ان زوجي قد قال .

أفكر في لثامة طبع زوجي فأكره كل أنى في النساء
وأحسب انهن مغايرات لها فاحبين على السواء
ثم التفتت الي أخرى وجبينها يلمع كالصباح . ولحظها يدمى كالصفاح .
وقالت اسمع ما قاله زوجي في . ولاتك من قاري

تفحوض زوجي في كل القنون وما تخشى خطاء ولا ردأ مع الظرفا
تكون غالطة في كل مسألة وليس تغلط يوما أن تفون كفى
ثم تقدمت الي أخرى وحجب عرقها كاللالي . وحالك فرعها كالليالي .
وقالت دونك ما نظمته في بعلي . وانظر هل يصدق ذلك في مثلي .

تود زوجي شططا اني عبد غيليق لمرضاها
وان تشمت حاجة لم تنل أكون خلأقا لحاجاتها
ثم دنت مني أخرى وهى تهرعجا ودلالا . وتبسم عن شنب
ما رأى الناظر له مثلا . وقالت هاك ما أنشدنيه كفيحى من أول ليله .
فذن منها بالثبور والويلة .

لزوجي خلفه اضعاف مالى من الشفتين والقم واللهاة
فكيف يتاح لى أشباعها وهي تصرح كل وقت هات هات
قاما أن تصف لى اداة والا فارتكاب الزهات
ثم اقبلت على الخامسة . وهي من الحفر كالظليه السكاسة . وقالت
أنشدك ما قال في شيخى في الليلة السادسة . وهو

ان قال غيرى قد يقال زوجة فانتى اقول زوجي دونها
اذ لارى التانيث في اخلاقها بل اتحول في المراك دونها
ثم تقدمت السادسة . باشة آنسة . وقالت ارو هذين البيتين . عن
حليلى الذى اعتاد قول المين . وهما

تراقبنى زوجى عيللا وسالما نهارا وليلا نائيا وقريبا
فصرت اذا عانت في النوم طيف من احب اراها بالوصيد رقيبا
ثم دلفت السابعة . وكانت ذات حفية سابعة وطلعة رائحة . وقالت
وفي معناهما قال زوجي المفتى . واجترأ على لى لم يكن رجلا على امراته
يجترى . وذلك قوله

تفسار زوجي على حتى اذا راتنى مرضت تمرض
فما راتنى في حالة ما الا وكانت لها مرض
ثم انبرت الثامنة . وهي علما ظهر لى رافنة زافنة . وقالت قد سمعت
زوجي يتنى بهذين البيتين . بعد اسبوعين . وهو مطرق الى الارض
كمن فعد العين . وبشر بالحين . وهما

تود زوجي ان لى شانين من مفاضحا
هن حمار قازحا وقرن ثور ناطحا
ثم استقبلتنى التاسعة . وهي تفر عن لآلى ناصمة . وقالت ونحوهما
ما قاله في ابو ولدى . وقد حفظه كثيرا في بلدى وفي غير بلدى .
ان زارنى عالم او جاهل بدرت زوجي اليه وخاضت معه في الجدل

فان نجده خبيراً بالبعال تقل كل العلوم انطوت في صدرذا اليجل
ثم تصدت لى العاشرة . وهى ذات قامة معتدلة وعين جائرة . وقالت
وافظح من ذلك . ما يشده رجلى فى المنازل والمسالك . وهو غوله
ان يزرى يوما فتى ذو صلاح افسدته زوجى فراح خليما
او خليع مستهتر اطعمته وعليه غارت وحامت ولوعا
ثم دعتنى الحادية عشر . وهى متايأة مسبكرة . وقالت ان زوجى
السيء الظن . قد جازف الكلام فى بما لاح فى باله وعن . فقال
ترى زوجى الرجال فتتقيم وليس الامر عن حب الصلاح
ولكن خوف ان يغشى عليها من القمر الشديد الى السفاح
ثم مالت الى اثمانية عشر . وكانت قصيرة حادرة . تارة حارة . وقالت
عقما وعقرا . عن مثل زوجى الهراء . فانه هجا النساء طرا . اذ قال
ليس العفاف من النساء سجية لكنه سبب الى الافساد
كالضرس تملعه ايسلم غيره وعلى الذي باينت حزنك باد
فلمت لاجرم لا قصدن متتاب هؤلاء الشمراء . ولا نخذلهم لي عشراء .
فمسى ان آنس منهم رشدا . وأجد عند نارهم هدى . فان من كلامهم
الحكما . ومن أهمهم لأما . وكان من عادتهم ان يتفردوا عن القوم . فى كل
يوم . ويجذا كروا امور الدنيا من العصر الى المساء . ولا سيما امور النساء .
فاستقصيت عن محشدم . ودلت على مقصدهم . فاذا هم بجملتهم قاعدون
على دكة عند البحر . وقد ضربوا لهم سرادقا يقيمهم من الحر . فمست اليهم .
وسلمت عليهم . وقلت هل لكم فى ان تجالسوا من يمت اليكم بالوداد .
وقد بلغه من كلامكم ما وخاه اليكم عن رشاد . قالوا مرحبا بالقادم . وان
يكن غير منادم . فلما أستقر في المجلس . انبرى واحد منهم يتبس . قال .
لا بد لي من ان انهى ما شرعت فيه . وظهر لكم مكنونه وخافيه . نعم لمن
خلق هذا الكون الا لهن . واي رجل ما ناله محالهن . وعناه وصالهن .

منه محالين . فمن المتمتع بدرز الدنيا ولعيمها . ولذاتها وطموها .
 حليها وجواهرها . وتحفها ونواذرها . يتمرحن علينا الممكن والحال .
 يكلفنا امورا دونها دق اعناق الرجال . لكل عضوم من اعضائهن حلي يزينه .
 ربما اخذن له ائنين وثلاثة ولا ترينه . ثم ابتسم كأمرا عن تابه . واستمر
 بخط به . وبكل جارحة منا جراح منهن لا تومى . وحزازات لا تنسى .
 نهالك في حبس المالك والمملوك . وسواء في الحاجة اليهن الغني والصعلوك .
 انهن يرمين الرجال في مهالك . ومضايق ومرايك . ليكفوهن مؤونة
 لاطمين . ويقفروهن بفرص البين . فيخوضون البحار . ويقطعون القفار .
 يعرضون أنفسهم لحاد السيف . ولحر الصيف . وبرد الشتاء . وذل الاختباء
 دهمات الاعداء . ودغمت الارداء ومقاسات الظلم والسغب ومعا ناة الشقاء
 التهاب ومدارة الرقيب . ومباراة المغيب . والاغصا عن الشين . والافضاء
 الى الحين . وطالما قتل احدم الى يته فوجد فيه قتل عرضه مفتوحا .
 سرامره مفضوحا . فرأى في مرضه ضيزنا وزبونا . وقرينا وقرونا .
 كثيرا ما آب وقد شتر شدة . او وقصت عنقه . او كثرت ساقه . او
 يف حلاقه . او ضاع اله . وسأت حاله . فاول ما ابتدره به من الكلام
 نولها له قبل السلام . اين الطرفة . وكم من نحلى ونحفة . ولو انك كسوتها
 حلة بوران . واسكتتها قصر غمدان . واطممتها اخضر الالوان . وسفيتها
 بن الرحيق من يد الولدان . وطرحها بالعيدان . وزهتها في رياض الجنان .
 حملتها على الاكيات . واليت عليها اللطاف . لما رايتها عنك راضية .
 لالحاجتك قاضية . والويل لك ان تاهزت الحسين . وعجزت عن
 لغوين . او بدا الشيب في عارضك عند الاربعين . او اصابك مرض في
 بعض السنين . وهى عند ذلك تنفتى وتصبى . وتصبى من يرضى ومن
 يابى . فتفادرك في الفراش منهوكا . وتلازم الشباك وتشير منه الى من يليها
 وشيكا . ان اغتم من الدهر هذه القرصة . فاما من دونها غصة . اذ هو
 في الفراش لا يعقل ولا يعي . ولا يصبر من يكون معي . ثم تاتي اليه

مولى اوصى ياربجل فقد ازف رحيك . وجفالك طيببك وخيلك . ومالك
عائلك وميلك . وانت خير ياذ الحيلة . بانه لن يمجزها فى الاجهاز عليه
حيلة وانما اذارات ان تتخذنى كل يوم خليلا . الفته ورا الباب عتيذا فمولا .
معاودا وصولا فوسيلتها اليه غمزة بعينها . ومنيتها لديه شعبة تطفى اوام
غيثها بخلاف الرجل فانه لا يزال بحرقة مشغولا . مكبلا بهممه مهفولا .
او يخشى انه باضا وزويلا . او صرف درهم لن يجد منه بدिला . فكيف
يعال ان الرجل والمرأة فى التكفل بادل للمعالم سيان . وفى التكلف لمل
المعالم عديلان . فهل فيكم من محبب . عن هذا الامر المريب . فتصدى
له الذي هجا النساء جميعا . وقال دونك الجواب سريعا . فكفى له سميما
ولله حق مطيما . ابى اما هجوت النساء لا من حيث انهن اسعد منا واسلم
آفات . او افدر على اللغات . وافوز بالمعرات بل من حيث انهن خلفن
بنا فتنة وضلالا . وعذابا ونكالا . فاقلته فيهن فهد قلته عن حسد .
وما ا قوله الان فهو عن تحرورسند . ان المرأة مادامت فى بيت ابويها
عاسا . لا يزال محظورة لا ترى لها اليغا ولا مؤانسا . واخوها اذ ذاك يرتع
ويلمب . ويلهو ويضطرب . ويسافرو ويغرب . يآلف من يآلف ويصحب
من يصحب . وكلما راد مراحا . زاد ابوها ابتها جابه وفرحا . فاذا تزوجت
صارت تحت حنظل بعلمها . وصار هو مالك ناصبتها وولي فعلها . فلا
تكد تخرج من بيتها الا باذنه . ولا تأتى امرا الا اذا استوثقت فيه من امته
فان قال لها لك أن تفعليه . كان كلمتى عليها بتراث أسيه . وان قال لن
تفعلى رجعت وعثرتها كالولي . وبار حمرتها بصطلى . ثم ان عليها أن
تفعله اذا سخط مخافة بطشه . وان تقوم بخدمة رجله وحنشه . وتطبخ
له كل يوم ما يمترح عليها . وتجدد له من قديم متاعه ما يلقىه اليها . وتحفظ
نفسه . وتقوم اوده . وتربى ولده . فكى ليلة تببت تداريه فيها رهو عيلا
المكان غطيطا ، وجحيقا ونحيطا ، هى التى ترضمه وتقطمه وترشحه

وتسرهده . وترعاه وتممهده . وتوقظه وترقده . وتلعبه وتلبيه . وتامله
وتراضيه . وتوانسه وتسليه . وتجالسه وتمنيه . وتنظفه وتمشطه . وتمرضه
وتحوطه . وتمشيه وتحمله . وتستدرجه وتنقله . وتغسله وتلبسه . وتمطره
وتطوسه .

رذفته وتلبثه : ألبأه اطعمه اللبا لأول اللبن
وبدأه ونهده : الإداة التحريك والتسكين والاهداء التسكين
ورزقه وتباغمه : الزققة الرقيص كالزققة والمباغمة تقدم ذكرها
وتربته وتمهمه : التريبت ضرب اليد على جنب الصبي قليلا لينام
والمهممة تنويم المرأة الطفل بصوتها
وتهدهده وترعه : هدهد الصبي حركه لينام والترعيم تقدم ذكره
وتداعبه وتطايبه وتدندن له وتعاربه . قاربه ناعاه بكلام حسن
وتهدنه ونصره : هدن الصبي ارضاه والصرب عقد بطن الصبي ليسمن
وتدغره وتضبيه : الدغرفع المرأة لهاة الصبي بأصبعها وضرب الصبي
اطعمه الضبية . وهي سمن ورب يجعل له في عكاه
وتدربه وتذربه : التذريب حمل المرأة طفلها حتى يقضي حاجته
وتمرمه وتجبوربه : التمريم تقدم شرحه وجوربه ألبسه المخورب
وتجاسه وتمسه : تمس الصبي قال له إس إس ليبول أو يتغوط .
قلت والعياس أن يقال ايسه

ونعوذه وتنجسه : التنجيس تقدم ذكره في الفصل السادس عشر من
الكتاب الأول

وتعمطه وترسه : رسع الصبي شد في يده أو رجله خرزا لدفع العين
وتزينه وترهنه

هذا ولو لم يكن للمرأة من غصة في الاجل غير الحبل لكفى . وذلك
٨ — جزء ثاني

لمقاساتها بعده اذا كان من بطلها . مالا يقدره غير مثلها . ولاقتضاها به من غيره على فرض عدم شعورها بضيره . فقد قالت العلماء ان وضع المرأة جنينها من غير حليلها غير ذى الم . لكننا يعقبه بعض السدم . ثم ان المرأة ممنية ما عدا ذلك باحوال عسيرة . واطوار كثيرة . وذلك كاحمالها وحسبها وعيقتها وافلها وتوجيها وكاحشاشها ودحاها . واسقاطها وازلاقتها . قبل الوضع وبعده (١) . وكنفاسها مدة . هي برزخ بين الموت والحيوة وعده . وكالفر الذي ياتيها في كل شهر . وغير مرة يئسها بالهر . لانه اذا تأخر عن وقته اضنى ظهرا . وان قل أو كثر أضنك صدرها . رأذنب صبرها . وكوجها وتقرنها وتأنفها شهوات في مدة الحمل كثيرة . لا يمكنها الصبر عنها وان تكن ذات مريرة . وهي ح جائشة النفس ضبستها . وجاشيتها ولفستها . واهية البور . وائمة الشوى . وغير ذلك من العلل والاحوال . التي سالت منها الرجال . ومن نظرت بعين الرشد والانصاف . لم ينمحل للخلاف .

قال الهارس فكأن الخصم انكسرت شوكته . وفترت سوره . فعارض بالواربة . ثم خشي المشاغبة . فقام أحدهم وقال حسبنا يا قوم ما سمعنا . ودعوا الفصل اذا ما رجعنا . ثم انقضوا والادلة متتلة . والعقدة غير منحلة . فقلت عسى أن أصادف من عنده بذلك الخبر اليقين . واكفى مؤونة السؤال والصخمين . فقد رأيت الاثنين كفرنسي رهان . وفارسي علم وبيان . يسد اني أخالهما قد نطعا عن الهوى . ولم يحريا الصدق الذي

(١) الاحمال أن ينزل لبن المرأة من غير حبل (والحس) وجع يأخذ النساء بعد الولادة (والعيفة) هي أن تلد المرأة فيحصر لبنها في ثديها فترضعها جارتها المرة والمريتين (والافل) ذهاب لبن الرضع (والتوجيب) انعقاد اللبا في الضرع (والاحشاش) يبس الولد في البطن (والدحا) أن تنحرج رحم الناقة بعد ولادها (والتفرث) غثيان الحبل

ينبغي لمن حدث وروى . واذا بالفاريقى يهول في بعض الاسواق .
ويده زنبيل يودعه من المسأ كول ما حسن لعينه وراق . قامسكت من
فرحي بالزنبيل . وقلت الدليل الدليل . قال هو جوع برقوع . برقوع
بركوع . لا ينبغي أن يقام عليه دليل ولا برهان . ولا يئنه ولا شاهدان .
وان القاضي نفسه لأجوع الناس الى اللمجة . وأسبهم الى الفمجة . وان
شئت فعل الى الفمجة . فقلت انما الدليل على تلك . ولك الامان على ما في
زنبيلك من الملك . قال ما خطبك . ومم كرك . أني حديث النساء كنت تخوض
مع الخاضعين . وتخوض مع الحارضين . قلت بلى لا امر ما جـع قصير أنفه .
وللمقدور غادر الاليف إله . ثم أخبرته بما جرى لي في البيت ومع النساء
وعند الشعراء . وقلت أفذني الجواب بفرمراء . فاطرق ساعة . وقال
ها كه على قدر الاستطاعة . فان الجوع قد أبدى في خراعه . ولم يغادر
بي للشعر خواطر صداعة . وهو

تكافأ الزوجان في اللذات	واستويا في أرب الحياة
قومي اقمدي مثل لهات هات	وطاوعي ند لات ات
والمره في الصبي على الزات	اقدرا وأجرا من القنائة
لانها كثيرة الصلات	غير الفروء ساء من شكاة
حتى اذا ما قيل كهل عات	دار لها الدور الى ميقات
غايته الستون للشطات	وبسدها عدد من الرقات
نعم يسوء المرء بين النات	ضعف له اذ ذاك في الاداة
لكن لها من أعظم النصات	المجروضات جروض المات
ان تبعها يأتي من اللدات	وهي تريده فتى الارات
كل له سهم من الهنات	مؤرب حتى الى المات

ثم عدا بزنبيله . وجعل يتحوفه ويعيث في قلبه . قال فصعدني بالحق
أي صعد . وعلمت انه غير ذي ضلع . فملت الى مرادة زوجتي . وتسكين

هوجي ونوجي . قاتبت منزلي . فوجدتها دائبة في عملي . فأكبت على
عناقها معانقة المشتاق . وانبأها بما قاله الشاعران والقاريق . فعالت جزاء
الله عني خيرا . ولا اراه في غربته ضيرا . ثم أقمتا على الوفاق . وتعاهدتا
على حفظ الوفاق .

الفصل الرابع عشش

في جوع ديقوع دهقوع

لما رأى المحرجي ان سكناه في بيروت لا تصلح لجسمه ولا رأسه
عزم على الشخوص منها الى الجبل . قال في روعه أن يسكن في دير
للروم ، فسار بزوجته والقاريق فاقاموا في قرية تحت الدير يومين . وكان
ياسر بالقاريق بمض المان منها ويواكلته . فلما علمت احدها ان
صاعد في المد الى الدير طفقت تبكي . فكأنما ظنت انه نوى الرهبانية .
فظهر له انها خالفت عادة النساء لانهن يحبن الرهبان أكثر من العامة . فان
فتنة النساءك العباد تتوقف على روم وكيد أبلغ وهو ما يذل للنساء أو بالعكس .
حتى اذا رأينهم طوعا لهن رجعن بعد ذلك الى ما كن عليه ليختبرن جميع
ضروب الحب فلا يفوتن منه شيء . والحاصل ان القاريق بكى على فراقه
هذه ثاني مرة في عمره حتى صار يحسب في عداد المحبوبين . وانه ذهب
في المد الى الدير واتخذ له فيه صومعة بلا قفل ولا مفتاح فصار من جماعة
باعرياي (الذين ليس لا بوابهم اغلاق . قلت وهو بناء غريب) وكان
ذلك الدير متابا لجميع أهل القسرى المحيطة به . فانهم كانوا يودعون فيه
أسمهم خوفا من هجوم المصاكر المصرية عليهم . لأن الدير حرم آمن ،

وكانوا اذا جاؤا اليه يدخلون جميع الصوامع من غير محاشاة ومن حملتها صومعة الفاريق ، فكانوا اذا وجدوا على فراشه اوراقا فيها تفسير حلم او غيره تلفوها وقرأوها ، فمنهم من كان يفهم منها قدر ما يدور به لسانه ، وآخر قدر ما يدور به راسه ، وآخر قدر ما يدور به جسمه كله فيوليه ظهره ويخرج ، ومنهم قدر ما تدور به يده فيرقعها لبيطش بالكاتب والمكتوب معا ، ومنهم من كان يسخر منها ويقول انما هي أضغاث أحلام ومنهم من كان يقول انها لا تصلح لوقت الحرب ولم يجد من م من استحسنها ، وكان يدخل أيضا مع هؤلاء الدامقين دامقات فيهن من يجب تلفيها بأعلا وسهلا ومرحبا ، وفيهن من تجدر بواحد من ذلك فقط ، وفيهن من تجدر باثنين مواترة ، وفيهن من لا تصلح لشيء ، وكل ذلك كان يمكن تحمله اذا حمل بعضه على بعض ، الا الجوع الذي تسبب عن تعطيل الطرق فانه كان لا يطاق ، مع ان الفاريق كان قد خرج من عناء سفر البحر الذي مناه بالصيام ايها متوالية ، فكان لا بد له من اللعج ، فمن كان يذهب الى القرية ويتادي يامن عندها دجاجة للبيع فتبيعني ايها ، فكان بعض النساء يحمينه هذه الدجاجة السارحة مع الدجاج في الحقل اريد بيعها ، فان اردتها فاسع اليها واقبضها بيده ، فكان يسمى وراء الدجاج ويطفر معها على الجدران ، فان ساعده الحظ على كسر ساق احداها أو اعمياها قبض عليها ، وكان عند جريه وراءها يجري معه خاطره فيقول في نفسه ، انا اجري الآن وراء دجاجة فهل زوجتي تجري في الجزيرة وراء ديش ، وينبغي لي أن اقف قليلا عند هذا الجري واقول ، قد ذكرت سابعا ان الفاريق كان ذا هوج ونزق وجزع ، فكان من طبعه اذا غاب عن أهله ان لا يرال يقابل حاله بحالهم بالمعابلة الاطرابه وبالمعابلة الامنية ، مثال الاولى قوله أنا أجري وراء دجاجة فهل زوجتي تجري وراء ديش ، وقوله مثلا وهو لابس هل هي في هذا الوقت عريانة ، وفي حالة كونه قائما هل هي الآن

مضطجعة ، وقس على ذلك ، ومثال الثانية انا أجري الآن وراء دجاجة
فهل يجري وراءها ديش ، على ان خبز الدير والقرى ح كان مخلوطا بالزوان ،
فكان القاريق اذا اكل منه خيل له انه لم يزل في السفينة عرضة للتناين ،
ويؤكد عنده ذلك بدخول أحد الرهبان اياه وهو على تلك الحالة ، فلما
ضاق بها ذرعا نظم ابياتا وبعث بها الى رئيس دير غير الدير المذكور وكان
يظن ان عنده غناء ، وهي

ليت شعري ماذا يفيد البيان مع خواء البطون والتيسان
وفنون البديع من غير أكل تستشيط اللهى بها واللسان
هاك الف استمارة برغيف وبخس محس تفتازان
ايها المعرون هبوا فما من ضرب زيد عمر ايرص الخوان
ابن ابن الكباب والرز والسبر غل تصفو من فيضهن الجفان
ذهبت دولة الطليخ وجاءت نوبة الجوع امها لبنان
يا لها من مصرة نبهت الدينسار ما ان يعبأ به انسان
ليس بيع ولا شراء بأرض قد قضى عيشها وعاش الزوان
طال مكثي في الدير حتى كاني راهب لا ترضى به الرهبان
اذ رأوني وحوالي الكتب والاقلام مما نهى عنه المطران
أنا في وحشة من الانس وحدي لا ترائي فلانة وفلان
عيشة لو أريجها في منام ما شجنتني من بعدها الالحان

فبعث اليه الرئيس بأرغفة لا زوان فيها ومعها هذان البيتان

وصلتني الابيات ! فرقيان انما نحن في الدنيا رهبان

ما عندنا طعام كما تنتهي ولا نبيذ ولا نسوان

فهول اليه القاريق ليمانه على تغيير اسمه . فرأى في الدير احدى
نساء الامراء كانت قد جاءت الى الدير استئمانا من العساكر . فلما رآه قال
له قد سنع الخبز ياسيدي في وزن البيتين ولكن لم غرت اسمي . ثم تذكر

السيدة فقال وقلت أيضاً انكم رهبان وما عندكم نسوان . وما أنا أرى
عندكم سيدة زهراء قد ملأت الطنفسة شحما ولحما . قال إنما غيرت اسمك
الأجل الغافية وهو جائز للشمرء . وأما قولى ما عندنا نسوان أي ليس لنا
زواج ولكن لا نتكر أن عندنا نساء غيرنا يزرننا أحيانا للبركة . قال من
أيكم يحصل ذلك . فلم يفهم لكن السيدة فطنت لذلك ودعته الى الاركية
المعروفة فلبث عندها شفعت في تغيير اسمه أيضا وآب الى صومعته راضيا
فوجد رئيس المعبر قد تمكش في رأسه غصن من أغصان الخلم الاول
فزاده خبالا . فكان يقول اذا سمع صوت الطبول من خيام العسكر
واذا ابصر يريق سلاحهم . ألا تسمعون طباع الشيطان . يضرب به بعض
الرهبان . الا تبصرون قرون الشيطان . كيف تتقدمها النيران . اذ تحتك
بها النسوان . والسيدة زوجته غير مكترثة بصراخه ولا بتخيم العسكر .
قرب الدير لان حب الغصن لم يدع في قلبها موضعا لغيره . ثم من الله
تعالى باصلاح الحال فسارت المسافر من البلاد وأمنت الطرق والمسالك
وسكن صاحب المعبر . فرأى أن يذهب الى مدينة دمشق ويعر بعلبك
ليرى قلعتها العجيبة . فاكثروا لهم خيلا وبقالا وعزموا على السفر .



الفصل الخامس عشر

في السفر من الدير

ركب كل من الفاريق والغصن بغلا وكل من السيدة وزوجها فرسا . وانضم اليهم ركب وساروا يمشون دمشق . حتى اذا كانوا في بعض الطريق أجفل بغل الفاريق لوم خطر له فتمص به وشمص . فألغاه عن ظهره فوقع على وركه على صخر فقام يجمع مع الخامعين . فجزع عليه صاحب المير اشفاقا من تعطيل مصلحة التعبير . وشعنت به زوجته اذ كانت تحسبه رقبيا عليها وعلى غصنها . وكذا مساة الرجل قد تكون مسرة المرأة . وهنا ينبغي أن نضيف اني ملووا تلك الواسعة هذه الفضية . وهي انه لا شيء من أنواع السفر أشق من الركوب على هذه البغال العاتية فانها بلا سرج ولا لجم ولا ركب . وقد جعل لها هؤلاء المكارية الحمقى بدل اللجم جبلا متصل بسلاسل من حديد جافية . يمسك الراكب يده سلسلة فاذا شرد البغل وهنت يد الممسك بها عن كبجه . والعادة انه متى شرد بغل شرد سائر البغال . ثم أجعل بغل الغصن قال عن ظهره ونعلقت رجله بحبل فندلى رأسه يخبط على الارض . فذهب ما عند السيدة من قليل الصبر عنه . ولم يفد أحد على رد البغل . فكنت ترى عينها في جهة وقلبها في جهة أخرى . وكرر منها ما كبر . وصغرها صغرا . وجف ما جف ، وقف ما وقف ، وابتل ما ابتل . واحل ما احل ، واقشعر ما اقشعر ، وازار ما ازبار ، وتنفض ما تنفض ، وانتفض ما انتفض ، وتنفض ما تنفض ، وتلمظ ما تلمظ ، وتلظظ ما تلظظ ، وضج ما ضج ، وشخه ما شخم ، وغدت تملأ وتلوي ، وتقلب وتحوي ،

ودخل في رأسها أول مرة في عمرها منية أن تكون رجلا لتجيره ، ثم هون الله الصعب ووقف البغل فاستوى عليه الفصن وساروا حتى وصلوا الى بعلبك والقارياق على رمق ، فذهب وتها في ظل شجرة فهموم به النسيم فنام فنام منهوكا ، ثم ركبوا وبلغوا دمشق وهو مريض فاكترى غرفة في خان وبقي أياما لا يفدر على الخروج ، فلما نقه توجه الى منزل أهل زوجته وعرفهم بحاله فقرحوا به ، ثم عاودته الحمى ثم أهق فرأى أن يذهب الى الحمام بغسل فلما رجع رجعت اليه ، واتفق انه نزل يوما الى المرحاض فأغمي عليه فيه فوقع وقد دخل رأسه في شق المرحاض فجعل يصرخ وبقول ألا إن رأسي في الشق ، ألا ان الشق في رأسي ، فبادروا اليه فأروه على تلك الحالة ، منهم من ضحك منه ومنهم من رق له ، ثم عوفي قليلا فبدا له ولصاحبه السفر ، ولكن لا بد لي قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة أن أرهقه وأغسره حتى يصف لنا محاسن نساءها اذ هو لا يحسن شيئا غيره ، قاما الكلام على خواص نبات الارض ومعادنها وهوائها وعدد سكانها وعلى الامور السياسية فليس من شأنه

قال دخلت دمشق وبني حمى صحبتني من بعلبك . وما كدت أنفد حتى سافرت منها فلا أستطيع وصف نساءها الا وصفنا معا . فان رضىتم به أقول : اني لما دخلتها نزلت في خان يسمى خن فارس ، فميز لي صاحب الخان عجوزا لخدمتي فلحظت من طبها وشمظها أي خلطها الكلام اللين بالشديد ان للعجائز يدا طويلة في المعاملات النسائية . أعنى انهن يدخلن الديار بحيلة انهن يعين للنساء ثيابا ليكتسبن بها . فيخرجن من عندهن وقد تعاهدن على بيعتهن رأسا . فمن السبب الاقرب والذريعة الوثقى في الجمع بين العاشق والمعشوق . فما نساء المسلمين فهد ظهر لي في بادىء الرأي انهن أحمل من نساء النصارى . كما ان الرجال من المسلمين أجمل من النصارى وفتح لهجة وكذا هم في سائر البلاد الاسلامية . ولون

النساء عموماً البياض المشرب بالحمة . والغالب عليهن الطول والشطاط . غير ان هذا الازار الابيض الذي يتزين به عند خروجهن من ديارهن لا يحلو للمعين كحبر نساء مصر . وكلاهما تخف لحاسن التمد ولمهن يلبسن ذلك عمدا لتأمن الرجال فتنهن . فلهن الشكر عليه . ولكن ما هذه المغازلة والاتلاع . وما هذا التبهكن والتبدح . أفليس للعلب عينان يبصر بهما ما وراء ذلك الازار . أيغني الشمس غيم وهي لولاه لم يمكن لعين أن تراها فاما زيهن في الديار فاشوق وأفتن ما يكون . قال وقد ظهر لي أيضاً وأنا موعوك بالحي بمد أن خرجت من الحان وشعمت رائحة الزائرات من النصارى انهن مؤانسات حلوات الحديث والشمال مناطق . حتى اعتقدت ان شفائي يكون بذلك . ولولا اني خشيت من التبخيل بالاستفتاء عن الطبيب ولا سيما ان أبي كان قد توفى بدمشق قالني في روعي اني ألحق به لما احتججت الى علاج آس . وحين كنت أسارق النظر اليهن وأنا على الوسادة كنت المح في صدورهن حين يتنفسن شيئاً يربو ويشبو . ثم رأيت بعض أعيان المسلمين يزورون رب الدار وينبسطون معه في الكلام وم من الهيبة والوفار بمكان . فلا أدري ما الذي حسن للمطران جرمانوس فرحات حتى قال في ديوانه

فكأنني حلب بركة طبعهما وكان طبعك بالفلاظة جلق

ولمنا العائل الاحق أن يقول الحلبي شلبي . والشامي شومي . مع ان أهل الشام أرق طبعاً من أهل حلب وأزكى أخلاقاً وأطلق اسانا ويداً وحياً وأوفر سخاء وكرماً . والدليل على ذلك ان دمشق مع كون النبي شرفها بمدمه وكانت منوى لبعض الصعوبة وأصبحت وصيداً للكعبة وما زالت من ذلك العهد منزلاً للحاج . فان النصارى فيها يربوون داخلها الديار الرحبة والمنازل القسيحة . بخلاف النصارى في حلب فاتهم لا يمكنون من السكنى الا بخارج المدينة ولا يدخلونها الا لالبيع والشراء .

هذا وقد حرس الله قطر الشام عن الزلازل التي يكثر وقوعها بـ حلب .
وعن هذه الحبة المشتومة المتسببة عن ماؤها . حتى انها كثيرا ما تشوه وجه
من يصاب بها . فهل مراد المطران أن يقول ان نصارى حلب وحدهم
أرق طبعاً . أم يصح أن نبخس الناس حقوقهم لأجل السجع والتجديس .
فيقال مثلاً الجاثليق هندليق . والمطران قطران . والقسيس لهيس .
والراهب تاهب . والسوق بوقى . والخرجى درجى . فاما اللفظ فليس
لعمري من مناسبة بين فصاحة أهل دمشق وركاكة أهل حلب . لأن
حلب لما كانت متاخمة لبلاد الترك دخل في كلام أهلها كثير من الالفاظ
العجمية . كقولهم اعجق بيكنى يخرجون الجيم في اعجق مخرج الجيم التركية .
ويتقلنه أي يستعمله . وخوش خيو وما أشبه ذلك . ما عدا لكنتهم
وتخلختهم في نطق الالفاظ العربية .

ثم ان الفاريق سافر هو وصحبه الى بيروت ومنها الى باقا . فدعاها
وربان السفينة نائب قنصل الاسكندرية بها (هو غير الخواجا أسعد الخياط
الليبي البارع) ليشربوا عنده الماء بالسكر المعروف بالشربات . مما اشتهر
أيضا بهذا الاسم عند المؤلفين من الافرنج واستعملوه في كتبهم لافى ديارهم
فساروا معه فأحضر لكل منهم كأساً تليق به بحسب ضيافته جشته . فلما
فرغت الدعوة أقبلوا الى الاسكندرية ثم الى الجزيرة وأقاموا في مهنها .
فدعت الفاريق الى زوجته مخوها برعوله واستدعيها للاعزال معه . فعالت
أنا لا أحب الاعزال ولا الكسل . ثم وافت بعد ذلك ولما استراح الفاريق
من ألم السفر استروح منها راحة النساء .



الفصل السادس عشر

في النشوة

هي رائحة أم دفار. استوى فيها ما دب وطار.
وسلك في البحار. وتفصيلها في العنوان
فهل أنت ذو استذكار.



الفصل السابع عشر

في الخوض على التعري

م دخلا البلد ورجع الفاريق الى التعبير واصلاح البخر . وبعد مدة وجيزة قدم على صاحب المعبر رجل من العجم قيل انه كان مسلما ثم تنصر وانه شاعر مفلق ذو شهرة بين علماء فارس . فسار ومعه الفاريق ايسلما عليه في المعتزل واذا به جعشوش حتروش حزقة الحلي . فلما دخل البلد اقام في المعبر فرأى الرئيس باديء بديء أن يخلق لحيته . فجيء بالحلاق واعمل فيها المومي فلما انتهى الى شاربيه سترهما الشاعر بيديه . فاقبل اليه صاحب المعبر ويده كتاب ليحجه منه على لزوم خلق الشوارب . فدار بينهما البحث والجدال حتى رضي الرئيس بصف الشعائر . فلما كان ذات يوم من الايام المشتومة ذهب الفاريق الى المعبر فوجد الرئيس قد تعري من ثيابه بالكلية . وجعل يطوف في الدار على هذه الحالة ويحض الناس على الاقتداء به ويقول . يا أيها الناس ما جعلت الثياب الا لستر العورة . ولا عورة لمن كان طاهرا بريئا من الذنوب والمعاصي . فان آدم لما كان في الفردوس في حالة العصمة والبراءة لم يكن له حاجة بالثياب . فلما انتهى الى زوجته ليغريها بالتعري قالت له ان النساء لا عصمة لهن الا في الليل فلا بد لهن من السترنهارا . فراه المعجمي على تلك الحالة فسأل الفاريق قائلا ما بال صاحبنا قد غير اليوم زيه الاسود وتردى بهذا الزي الاحمر . قال هو من جنود الخرج والجند هنا يلبسون اللباس الاحمر . ثم اشتد اللطم بكل منهما واستحك . فخافت الزوجة أن يسلقيا في مأزق ويلشب ما بينهما الجدال أو الجلال فرغبت الى الفاريق أن يضم اليه المعجمي .

وكان الغصن قد قدم إليها في أثناء ذلك من الدير الشامية وهو مترجم عن
جني شحى . وجذع قوي . فبرأته عندها مقاما كريما . وحاولت أن
يحلو لها معه المعبر خلوا مستديما . ولو بدوام لم يعلمها . وفعد أهلها . فاقام
الغصن في أرغد عيش وأهنا حال . وظلت هي معه أشغل من ذات
النحين في أصنى بال . وظل زوجها يحض على التمري . وانه من شعار
المزكى المتري . ولبت المعجمي في منزل الفاريق . وانما قبله عنده لدامته
وضمفه ولغلبة السكوت عليه . فلما كان ذات ليلة وقد رأى عند زوجة
الفاريق نساء حسانا اعلمت عقدة اسائه ونطق بكلام دل على انه لم ينتصر عن
هدى وانما اضطره الى ذلك ابو عمرة . ثم بات تلك الليلة وقد اضطرم
الغرام في قابله فخرج ليلا يعصد غرفة الفاريقية . فأحس به زوجها
فبادره بحبل وهو لا يستطيع دفاعا عن نفسه . فلما كان الغد شاووزوجته
في أمره . فقالت أظن ان هذا المعجمي انما جن لعدم الزواج وكذا سائر
المجانين . ألا ترى انه لما رأى البنات عندنا البارحة تهلل وجهه وتكلم .
قال فملت ما أرى الحق معك هذه المرة . فان صاحبتا المخرجي جن من
بعد الزواج . قالت لكن عقله كان قبل ذلك مختلا بالاحلام . ولا تزوج
لم يود الزواج حفه فاقتص الحق منه فليعتبر به غيره . قلت من أين علمت
هذا . قالت ان المتزوج لا ينبغي له أن يكون فضوليا يمرض لغير ما هو
فيه . قلت هذا تعطيل لمصالح الخلق . قالت لا تعطيل فاني لا أنعمهم عن
العمل بل عن فضول الكلام . واللهج بالاحلام . فان التحمل لعلم خرق
العادات . أجهد من التحمل لعمل عادات المخرق . ألا ولو كان الامر الي
لداويت المجانين كلهم بالنساء ومن النساء وعن النساء . قلت اكل حروف
الجر للنساء . قالت نعم كل الجر في النساء . قلت قد حزفت الحروف .
قالت بل هي باقية . قلت دعيني من المطارحة وافتييني في امر هذا المجنون .
قالت رده الى المعبر واني اكره طول مكثه عندنا مخافة أن أحبل فيأتي الولد
على شكله . قلت ما مدخل الجنون في الجنين . قالت أوليس الاولاد

ونجعل الروح له مجنا
ولا نبالي ان رأينا. قرنا
فقد رأيت العقل يضني الطنا
ولن ينال الحظ مطمئنا
مه أيها الشيخ الذي أسنا
تدخل في مخاييق وتعنى
ماذا لهيت من نذير جنا
وافينا في شهر محس أخنى
لم تحمل دار بت فيها معنا
يشكوك كل ذي عيل منا
من محايين أبانوا الهنا
ومن عليل دنف قد أنا
قدك اتندأ وقدت فينا الحرنا
فاظن هداك الله وارحل عنا
وتنضب الماء وتننى اليمنا
واختر بغير ذا المكان كنا
فما عليك ان أصبت غينا
أو كنت تأني هذرا وأفنا
بحيث لا تبصر يوما قرنا
كما أصبت ههنا خبنا
لو استطاع لفرأك سجننا
شيطانة عليك قد تحبى
جعلت في دار الصلاة فرنا
وقال قوم تفله أصنا

تفيه من كل معن معنا
قد طن بي أصد اغنا ورنا
ويحرم الحسر الذي تمنى
الا الذي باح بها أكتنا
ما أنت والغناء والاغنا
وما تبالي لو لقيت وهنا
ومن طواف ههنا وهنا
على المحبين فعلنا إنا
من حادث عارة سوء شنا
أوردتهم من كل رزه فنا
ومن مصاب بالحلم أطنى
حتى رى الضد له وعننا
وقد شحنت المصرهما شحنا
من قبل أن تطع عنه الطحنا
عن بلد من قبل كان أمانا
تأوى اليه مستريحا طمنا
ثم ودعا أو لقيت زبنا
وتنظر العبيح منك حسنا
وكاشعنا أخنى عليك ضعفنا
أصد أمةك الضرس ثم السننا
تصبح فيه للرزايا سجننا
يقول من تبغك قد أسنا
دخانته عم وأعمى الرعنا
ولحنه يبلغ ضرا منا

يأتون بيضا صبا حادودوم قباح . فلو لم يكن لعين الام من فاعلية عند
توحيها لما كان ذلك . قلت هذا رأي يؤدي الى الكفر والحال . اما الكفر
فلأنك تزعمين ان للسراة مشاركة في خلق الانسان . واما الحال فلأن المرأة
لو كان لها فاعلية في ذلك لاشبهت الاولاد آباءهم أو لجاؤا كلهم صبا .
قالت أما جواب الكفر فلا ينكر أن يكون الله عز وجل قد خلق هذه
الخاصية في السراة وهو مسبب الاسباب . بمعنى ان القوة الوهمية التي
أودعها فيها الخالق القدير تكون مؤثرة في كونه الولد . واما جواب الحال
فلأن المرأة ابدا تشتهي أن يأتي ولدها على غير هيئة ابيه . وما تراه منهم
مشبهأ آباءه فالغالب انه البكر . قلت كثر الله من أمثالك ما كأنك قرأت
الكلام الا على الاشعري . قالت نعم الكلام هنا في الاشعري لاني الجيـش
ولا التقيص . قلت المجنون المجنون . ودعيني من المجنون . ففندك دت
تلحنيني به بكلامك هذا المصبود . قالت متى كنت نكره المصبود . وهو
لك عاة القصد . أما المجنون فليس الا ما قلت انطلق به الى المعبر ودعه
هناك من غير أن تخبر به أحدا . قال فانطلقت به وأدخلته في إحدى
الحجر وقملت عليه الباب . فلما جاع طفق يما لج الباب ليخرج فسمعه
الخادم فأخرجه . فتوصلت زوجة صاحب المعبر في أن رجعته من حيث
جاء وعزمت على السفر زوجها الى بلادها . وباب عنه آخر من بلاده في
المهاج التعبيرية ولكن لم تطل مدته لأسباب يأتي يابها . وقبل إيرادها
ينبغي أن نختتم هذا الفصل بما نظمته الفارياق حين كان رئيس المعبر يحض
على التعري وهو

ألا تريد صاح أن نجنا	ونخلع اليوم الثياب عنا
ولا ننام ليلنا ان جنا	ولا نسيء بالنساء الظنا
ولا نرى متى يجي حنا	وان يغب نل مريض منا
وان أانا فاسق وزنا	نركبه الخيل فلا يعنى

قلبيغ في دارسواهاخذنا وماعلينا أنسخا أو ضنا
 أو ان بكى من شومه أو غنى أو أخلص الدعا لنا أولنا
 أو خاز من جوع وذل وهنا أو قال صرنا بعد ما قد كنا
 انك يا مفرور لم نشفقنا ولم تعربنا ولم نشفقنا
 فلا جزاك الله خيرا عنا



الفصل الثامن عشر

في بلوعة

لما فرغ الفاريق من تعبير الاحلام كاف أن يترجم كتابا للجنة في بلاد
 الانكليز . فترجمه لهم بلغتنا هذه العربية على ما اقتضته قواعدها . واتفق
 وقتئذ أن سافر المطران اثناسيوس الحلبي التونسي مؤلف (كتاب
 الحكاكة في الركاكة) الى تلك البلاد في بعض مصالح ترثمية . فتعرف
 باللجنة المذكورة وأقادم أن لغة الفاريق فاسدة رأسا . وذلك لخلوها مما
 اشتراطه على المترجمين والمربين في كتابه المذكور . وان النصارى يحبون
 الكلام الممسلط الممسلط . وانه قد ربا في هذه الصنعة منذ عهد طويل
 وربى فيها كثيرين في مدرسة عين تراز وفي غيرها

وان لأسفار الكنيسة منهجا يخالف أسفار الورى ويفاير
 وان انى اللفظ الركيك تبركا ويمتا لقوم عنهم العار ظاهر
 وان غناء اللحن في القول عندهم لكما للحن في الايقاع والاصل ظاهر
 وان نسبة المولى الى الله منكر ومن ولوا الادبار كل يحاذر

وان تكة جمع متكى. اتى وان مصونا لا مصانا لنادر
وللشعب دون القوم معنى مشهر وفى ملك لافى ملاك كباثر
وان عبيداً لا عباداً مضافة الى الله أولى ما لذا الحكم ناكر
وان عذابا كالركا كالت جمع وان لم يرادف باقى الشيء سائر
وما واعظيها قيل بل موعظيها ومن قلاد وا دون ودوا مكابر
ومن رد قل ان سئت صوغ اسم فاعل مردكذ اقل النصارى الا واخر
ويظهر يلغيه يسان نظيره وصرنا بنيناً بالتذخر كآثر
ويجمع مصنف للاله مسبح وبعد كما للعطف واو تباشر
ومن بعد اذ جزم المضارع واجب ونمت المثنى بالذي متواتر
واثباب ياء الامر من ناقص كما حكاها له قس الشويرى المعاصر
واثبات نون الرفع في الفعل بعد كي وأن مستفيض هكذا نص زآخر
ومن بعد يملئ نصب نائب فاعل وجوبا وحذف القاء في الشرط دأثر

وطلب من اللجنة المذكورة أن يفوضوا اليه تعريب الكتاب الذى مر ذكره ليحظى عند النصارى بالقبول والا فلا . فلما رأوه ذا لحية ولا سيما انه متعل بجلاء مطران والمدبران عندم لا يكون الا عالما فاضلا اعتمدوا فيه الفضل والعل وفوضوا اليه العمل . ولهذا السبب خاصة بطل المعبر ولم يبق للفارياق الا مرتبه من وظيفة اصلاح البحر . وهنا ينبغي أن يلاحظ ان الانكليز أشد الناس حرصا على الالقباب . فاذا زارهم أحد من البلاد الاجنبية متصفا بلعب أمير أو شيخ أو مطران حظي عندم الخطوة التامة . ولا سيما اذا كان يتكلم باللغة الفرنساوية . أما لقب المطران فهو عندم من الالعباب التي تفني صاحبها عن توصية وتنويه . اذ ترجمة هذه اللفظة تجري لديهم مجرى قولهم رئيس أساقفة . ومن حصل على هذه الدرجة منهم حصل على دخل أربعة الاف ذهب من الليرة . فأما طول اللحية فهو عند العرب ليس بدليل على الحلم والتباهة كما يتبين من حكاية المأمون مع الفقيه علويه . ولكن عادة المعجم غير عادة العرب .

ثم ان الفاريق لما آن وقت بطالته من اصلاح البحر وهو ثلاثة أشهر الصيف في كل سنة عزم على أن يسافر الى تونس . فركب في سفينة رئيسها من أهل الجزيرة الذين هم بين السوقيين والمخرجيين مرة . ومرة بينهم وبين الفلاسفة . وبعد سفر اثني عشر يوماً اكملها خطر وعناء بلغوا خلق الواد فكان بعض الملاحين يقول في أثناء الطريق انه اما وقع لهم ذلك بخلاف المادة لسكون الرئيس سافر يوم الجمعة خلافا لسائر الرافيين . فانهم لا يسافرون فيه أصلاً إما احتراماً له أو تشاؤماً منه . لكن اتفاريق كان يعلم حقيقة السبب وهو هبوط طالعهم . وان نية سفره سواء كانت قريبة أو غير قريبة لا يبلغ اليها الا في مدة اثني عشر يوماً . وانما كنتم ذلك عنهم . قال أما المدينة فانها ضيقة الاسواق صغيرة الحوانيت . غير انها طيبة الهواء والمأكول والمشروب كثيرة الفواكه . وأهلها طيبون خيرون يكرمون الضيف ويحبون الغريب . وفيها من المغنين والمازفين بالآلات الطرب كثير ومعظمهم من اليهود . ولساؤمهم حسان سمان يرض دمع برغم النصراري القائلين ان الله لعنهم ومسحهم بعد صلبيهم سيدنا عيسى عليه السلام ونزع منهم كل حسن باطني وظاهري . غير اني أظن ان المسيحيين اذا نظروا يهودية جزلة بضعة ربحلة يدعون صاحب هذا المذهب ويفندونه . وانما يقول ذلك منهم من كان لزع النصرانيات ولم ير غيرهن . ومعلوم ان النفس ترغب في الحاضر الموجود عن الغائب المفقود . أو لعلمهم يريدون ان المسخ انما نزل بالرجال دون النساء فليسألوا . وان كثيراً من هؤلاء الغير للمسوحات غير بميدات عن الفصن والمصر . ومن عاداتهن أن يمشين غي متبرقات مكشوقات السوق . ثم لما أرف رحيل الفاريق من المدينة قال له بعض معارفه من أهلها لو مدحت واليها المعظم فانه أكرم من أعطى وانعم . وأكثر الناس ارتياحاً الى الحود والمعروف . قال قد نويت الآن السفر فلم يمد ممكناً في غيره . ثم رجع الى الجزيرة وكان من جملة اتركاب الذين

رجعوا منه رجلان نسوايان أحدهما ابن أحد التجار الاغنياء والآخر من قواد عسكر البابا . وكان هنا قد أخذ من الفاريق واحدة من هذه التبعثات الدقاق فردها عليه بعد يومين . فلما استقر الفاريق بمنزله خطر بباله أن يتنغم قصيدة في مدح جناب المولى المشار اليه . فأنشأ قصيدة طويلة ذكر فيها كل ما شاقه هناك من المحاسن ولكن من دون تمرص لذكر عمارن نساء اليهود . فلم يشعر بعد أيام الا والمولى المشار اليه بمثل هذه يهدية من الماس ترضى بها الملوك على ندمائهم . ومعها كتاب من تاموسه للمعظم ووزيره المعظم مصطفى باشا خزندار هذه صورته

« المحب الذي رعى المودة شأه . والكمال سرجية قام بها عمله ولسانه .
 « الاديب الارب . الآخذ من كل فن أوفر نصيب . حسن الاخلاق .
 « والحائز في مضمار البلاغة قصب السباق . البارع الفاريق . لا زالت
 « محاسنه نيرة الاسراق . وبلاغته كواكب آفاق . أما بعد فان ولي نعمتنا
 « ومولانا وسيدنا المشير أحمد باشا باي أمير الولاية التونسية . لا زالت
 « بوجوده محمية . بلغ رفيع جناحه من آدابكم . قصيدة تحلى بها شعركم .
 « وانضح بها فخركم . وبدوم بها ذكركم . فله در منشئها . ومبدعها
 « ومرشئها . حيث ملك من البلاغة دانيها وقاصيها . وألفت لديه مقاليدها
 « ونواصيها . والمولى أيده الله حسن لديه موقع خطابكم . وأثني على
 « يلاغتكم وآدابكم . ووجه لكم من حضرته العلية حكمة تذكر بها وداده .
 « وإيائنه وبلاده . فاقبلها من إفضاله . ومن زرنواله . والله يحرسكم بعين
 « عنايته . ويسبل عليكم ستر عاقبته . وكتبه التقيير الى ربه تعالى مصطفى
 « خزنة دار الدولة التونسية في الرابع والعشرين من ذي الحجة الحرام
 سنة ١٢٥٧ . »

وفي أثناء ذلك قدم المطران التونجي الى الجزيرة فبلغ الفاريق قدومه ولم يكن عرف ما افتات عليه به عند الاتكيز فذهب ليسلم عليه وأدبه

الى وليمة اعددها له . واقام المطران في بعض المنازل يشغل بترجمة ذلك الكتاب الذي زاحم القاريق عليه . وطل القاريق ينتابه حيناً بعد حين وهو غير موجس منه شيئاً . فلما كان بعد أيام تارت في الجو حاصب ومتشغزة ومنسبة منشبة ونكباء وهبوبة وحرجوج وخجوجة ودروج وسهوج وشجوجة وبارح وسناخة وخنديذ وصرصر ومشكرة واعاصير ومشكرة وهبارية وروامس وزوابع وزعزاع وهيرج وجفجف ورفراف ومفسفة ومسفقة وعواصف وخرقا وزحلق وزهلق وسهوق وحاشكة وساهكة ورعبيل وطيسل وعياهل وسهام وسفون وورها وميلاء وسافياء . ثم جاء على عقبها روائع هنيئة صماحية زنفية سنخية إفاخية عبادنة خجربة ذفرية عدارية أمدرية خنازية طفاسية حطاطية عفاطية عفاطية شياطية ناضفية زهمفية خيراكية صلية خيعامية صنمية قنمية عجانية لحنية نجوية مختلطة بطمطانية ولخلخانية ورتية ولنلغانية وقلقلانية وكسكية وكشكسية . واذا بالمطران المزبور قد غاص في بلوعة فوهاء في تهريب ذلك الكتاب . ولما كان جاهلاً بتصليح الطبع زيادة على جهله باللغة كان لابد من تبليغ هذه الروائع المحيثة منزل القاريق . فان مدير المطبعة كان من اصحابه فكلفه بان يصحح غلط الطبع من دون تعرض لتصحيح الغلط في الترجمة . وح عرف سبب قدوم المطران ومكايده . فصر بعض هبات كسرية من تلك الروائع وبعث بها الى اللجنة المذكورة واقام ينتظر الجواب .

ثم اتفق بعد مدة أن قدم الى الجزيرة السيد المعظم سامي باشا المقخم المشهور بالمناقب الحميدة . وكان للقاريق دالة عليه فسار اليه ليهته بهدومه فكلفه المشار اليه بان يمكث عنده مدة الاعتزال فاخير زوجته بذلك . فقالت له كم مرة اقول لا خير في الاعتزال . قال لا بأس به اذا كان مع امره فان ثمر الاسم يكفى . قالت لا يعني الاسم عن الفعل شيئاً . قال فقلت

بل اجتزأ به كثير . قالت أمع جاره . قلت لا أدري . قالت لو كان الاسم
يغني لكائن المرأة تكتسب على موضع من جسمها لقطة امير . قلت اعوض
ما يمضي . قالت والا فأمض على العوض . قلت ما أعجل النساء . قالت
وما أحبهن للاجطاء . قلت قد كنت أود لو ان الله خلقتي امرأة أو انه
يصيرني امرأة فلما الآن فلا أريد اذ لا يصير للنساء كالرجال . ومن يعش
في هذه الدنيا فلا بد وأن يكون صبوراً قالت لو لم تكن النساء أصير من
الرجال ما كن يعمرن في الارض أكثر منهم على ما يلحقن من أوجاع الحبل
والولادة . قلت ليس هو السبب وانما هو ان الصالح من الناس لا تطول
حياته على الارض بخلاف الطالح . قالت هل في الرجال صلاح وما من
فساد الا والرجال محترعوه . هل تفسد الاناث في الاناث ما تفسده الذكور
في الذكور . وهل يفسد النساء غير الرجال . ومن ذا الذي يتصباهن
ويتالهن ويتنقثن ويغازهن ويفوين بالمال والواد والوقاء غيرهم . حتى
اذا استوثق أحدكم بأحدنا فاحرز سرها ذهب في الحال وباح به . وربما
سكر مع بعض معارفه أو تساكر فافتخر امامهم بافشاء ما يجب كتمانها
وبهتك ما يلزم صوته . ألا وان الرجل منكم ليمتد على ما خصه الله به
من القوة والبأس فيمتد أن له الفضل على المرأة في كل شيء . ولو كان
العجز بالقوة لكان الفيل أفضل من اللسان . نعم انا لا يسرنا أن نرى
الرجل شيطاً أبداً ولكن لا يليق به والحالة هذه أن يأتي امرأته الضعيفة
للمسكنة فيما ملها من الخيمرة والدغمة والدنقرة والزنقرة والزنجرة
والزنهرة والشنطرة والشنصرة والشنطرة والشمصرة والمجهرة والغذمة
والنشمرة والقيصرة والخرربة والمخطلة والمخطلة والدحبة والدعربة والدعجة
والزغدة والسقبة والشفرة والشهجة والصرخة والصعنة والطغربة
والثلبة والمصلبة والفسلبة والمخطبة والقرطبة والنبرة . ثم اذا ذهب الى
أخرى أوهما انه أسرها وعانها وقنها ورقيقها وقينها وقنورها وماهنا

وقتلها ومملوكها وذليل حبها ودفن غرامها وعمد عشقها وصريع هيامها وميت هواها وشهيد حبها . وان الله تعالى لم يخلق في الدنيا الا لمرضاها . قال فقلت اذا كان الرجل مخطئا في ذلك فالمرأة غير بريئة أيضاً لتصدىءها إياه وانقيادها له . قالت انما تصدقه من صفاء سريرتها وسلامة صدرها . فان الصادق لا يرتاب في كلام غيره وان الكريم ينخدح . ولو ان الناس سمعوا مثلاً بأن امرأة متزوجة تحب غير زوجها لأنكروا عليها ذلك كل الانكار . واستفظعوه غاية الاستفظاع . فتطبل به الطبول وتزمر الزمور وتكتب الكتب . ولا يبقى في البلد أحد الا ويروي عنها حكاية أو تره . فاما اذا سمعوا عن الرجل انه يحب غير زوجته فانهم يحملون فعله على وجه مرضي ويمتدرون عنه بقولهم ان امرأته غير زافنة . أو انها جحشة متفاس . أو ميراغ أو منشاص . أو حذفرة أو غبوق . أو زخاخة خقوق . أو فضاء غقوق . أو رقاء غقوق . أو نجاخة فشوش . أو منخار حضون . أو ججواء أخجي . أو ججواء رهوى . أو مجخرة ضحايا . أو ضهواء ضحايا . أو هرعة رفاء . أو سلفلق أو متكاه . أو قشور أو مصواء . أو ناسعة شقاء . أو مهلوسة أو لباء . أو لثية أو تلجم . أو خيفق ذات علق أو قلدس . أو حق وعقل أو ذقاء . أو ميقاب أو فواء . أو لقوة أو خثواء . أو قنشورة أو دلاء . أو قرنع أو سلتا . أو خرور أو قماء . أو عائط أو شرماء . أو عنبله أو لغواء . أو بجياة أو رمضة وغير ذلك من العيوب لا يرون في فعله هذا سماجة . مع ان للمرأة أسباباً تحملها على الشطح أكثر من أسباب الرجل . قلت تفضلي بذكرها كي اجانبها . قالت اولها ما اذا لم يقم الرجل بوفاء حق زوجته . وهو حق الزواج الذي من أجله ترك اباه وامها واهلها ووطنها وبلادها وغير مرة دينها . قلت اللهم لطفك وعصمتك ثم ماذا . قالت ومنها امهاله مورها وقلة اهتمامه بما فيه راحتها واستراح صدرها وتطبيب خاطرها .

وتلبيتها ونسليتها وترويتها وتحليتها وتدقيتها ونظريتها وناسيتها وتقويتها
وتعشيتها وتغديتها وتعمريتها وتغنيتها وتعليقها ونهشها وتوقيتها . قلت نعم
وتعريتها وتغديتها وتعريتها وتغديتها وتغنيتها وتعليقها وتغنيتها . قالت
نعم كل هذا وأكثر حالة كونها اسيرة وبته طول النهار قائمة بخدمته متمهدة
لاموره . وهو يطوف في البلد من مكان الى مكان وينتقل من سوق
الى سوق . حتى اذا جاء منزله انطرح كلفشي عليه وقال ان الشغل جهدهم
والجهد شغله وانه عرض له كذا وجرى عليه كذا . مع انه هو الذي
تعرض لذلك الكذا وجرى على ذلك الكذا . ومنها رقة فؤاد المرأة
والشفقة التي فطرها عليها البارئ تعالى . فلا يمكن لها أن تقابل رجلا عن
مودته لها الا بالوداد أو عن تعلقها اليها الا بالميل اليه والاقبال عليه . وناهيك
ما في الرحم والرحمة من الاشتقاق والمجانسة . قلت وأعجب من احتجاجك
بهذا الاشتقاق التناسب بين معاني الكيس . قال في العاموس الكيس
خلاف الحق والجماع والطب والجود والعقل والغلبة بالكياسة . وبين
المسر والسرور والبسط والشرح والبضع والبضاعة والشعور والمشاعرة
واللمج والقمط . وخصوصا بين أبي أدراس وأبي إدريس دامت الفتحة
في اللفظ والمعنى . ففقهت وقالت شرف الله لفتتنا الجامعة بين كل متناسبين
ومتجانسين . قلت ولكن قد يلزم ذلك أحيانا ما يسوء أو ما لا يليق .
نحو أرفانة بمعنى جامع ورعى بالسلح . وجنح رمى ببوله ومسح جاريته .
ومعط جامع ونف الشعر وحب . وجلخ جامع وبطنه سحجه وفلاتا
بالسيف بضع من لحمه بضمة . ومتخ جامع وبسلحه رمى . وملخ جامع
وجذب الشيء قبضاً أو عضباً وتردد في الباطل . وملق جامع وضربه
بالمصا . وجظ جامع وطرد وصرع وبالفصة كظه . وخج جامع وبسلحه
رمى . ولخب جامع وفلاتا لطمه . ومتر جامع وبسلحه رمى . وجلد
جامع وفلاتا ضربه بالسوط وأصاب جلده . وعصد جامع ولوى فلاتا

أكرهه على الامر . وضمن جامع وبفائله رمى . وعمن جامع وضرب .
ومشن جامع وخدش . وأسوى أحدث وخزى وفي المرأة أوعب .
وكذا حشاً وحطاً وحلاً وخجاً ورطاً وزكاً ولناً وغير ذلك مما لا يحصى .
قالت كل صعب في جنب ذاك يهون . ولا بد لجاني العسل من أن تأبره
التحل . ثم اني فهمت من غوى كلامك ان هذه الافعال في لغتنا الشريفة
أكثر من أن تعد . وان أكثر المعاني قد وضع له فيها ألفاظ كثيرة تسميها
العلماء اردافية على ما ذكرت لي سابقا . قلت لم أقل لك هذا وإنما قلت
متزادة . وان هذا الفعل بخصوصه له أكثر من مائتي لفظة . فكل لفظ
دل على دفع أو نهز أو ضبط أو ادخال دل عليه أيضا . قالت فهل تستطيع
أن تذكر لي حرفا يدل بالخصوص على الامتناع عن النساء عفة وتقوى .
قلت لم يمر بي حرف بهذا المعنى والا لحفظته فاني مولع بحفظ الحروف
النسائية والظاهر ان العرب لم تكن تعرف ذلك . غير ان تبطل وبكم يدلان
عليه في أحد معانيهما . قالت في أحد لا يفني شيئا . ثم استمرت تقول
ومنها وهو مستفيض عند أكثر النساء ان المرأة اذا أحست باعراض
زوجها عنها أو بفدوره أو بالجفوة لها مع تحببها اليه وإقبالها عليه وحالة
كونها له عطية هالوبا ببيعجا عربا متبعة رغبليا آسة باهشة متبشبهة
متشبهة ذات رشرشة ومشمشة ونشنة وشوشة مدرنخة وارقة منصمة
واكمة مصوصا حارقة ان لم أقل علوقا وغير عازمة مالت الى غيره لتغيره
وترده الى قديم محبتها . فان من الرجال الحمقى من لا يعرف قدر امرأته
الا اذا رأى الناس يحبونها . فتكون محبتها لغيره علاجا لحبته هو . وهذا
يسمى عندنا دغدغة وزغرغة وسفسفة . فاما عيوب الرجل فهي له مري
أكثر من عيوب المرأة ولو لم يكن به غير الزمالية لكنى . وهل والحالة
هذه يجب حل عقدهما أو يجوز أو يمتنع أقوال . فالنصارى على منه مع
انهم يقولون ان المقصود من الزواج بالذات الانتاج وحفظ النسل .
والطبايعيون والفلاسفة على وجوبه اخذا بهذا القول عينه ومراعاة لاداء

حق المرأة الواجب على الرجل وهو أمر طبيعي لا بد منه ولا يحصى عنه
وبقى الجواز في عهدة غريمي الزواج . ان شاء الله تعالى على ما هما عليه والا
افترقا وهو الاصلح . ولعمري ان المرأة التي ترفض بأن تقيم مع زوجها
من دون قضاء حقها لجديرة بأن يعيد لها عيد في رأس كل سنة . أليس
ان استاذك صاحب الفاموس الذي تستشهد بكلامه في كل كلامه لسواني
قد قال الرجل م والكثير الجماع . فاذا كان الزوج غير رجل فاني يحل له
أن يحوز عنده امرأة لا يؤدي لها حقها . أيحل لرجل أن يقني دابة اذا
لم يقدر على علفها . أستغفر الله عن هذا التشبيه . أو لصاحب أرض
أن يغادر أرضه غير محروثة ولا مزروعة ولا مسقية . أفلا يجب ح على
الحاكم الشرعي أن يشتريها منه ويولي عليها من يهتم بها ويستغلها . واذا
كان الاتحاج وحفظ النسل مشتركا بين الرجل والمرأة بل جل أركانهم مختص
بها ومتوقف عليها فلم لا يكون الطلاق مشتركا بينهما أيضا اذا اقتضت
الاسباب ذلك . اذ الطلاق عندي من غير سبب ان هو الا بطر وسفه .
وأقبح من ذلك ان رؤساء النصارى يأذنون في مثل هذه الحال في فراق
الزوجين . ولكن لا يأذنون لها في الزواج وان يكن داء الرجل عضالا
لا يرجى له علاج في مدة انفصاله عن زوجته . فأني حكمة في ذلك وأي
ضرر من تزوجها بغيره ليولدها البنين والبنات . فلعلنا يأتي من بنينا من
يفوق غيره بالكسل والركاكة فيصير راهباً أو مطرانا . وعسى أن يأتي من
بناتها من تصحس بالوساوس والهواجس والاحلام فتصير راهبة

هذا وقد ورد في التوراة حكاية عن الباربي تعالى انه قال تكاثروا
واملاؤا الارض على مبالغة فيه . فان ملء الارض بشرا يوجب خرابها
لا عمرانها . وقال مار بولس ان المرأة تخلص نفسها بترديتها للبنين الصالحين .
فهل تعليق الزوج والزوجة عن الزواج مطابق لنص هذين الحكمين .
انظر الى أهل هذه الجزيرة فانك تجد أكثر الرجال منفصلين عن أزواجهم

وعائشين بالسفاح . وقسيسوم مصرون على ان ذلك أوفق من الزواج الشرعي . مع ان الميسسين لا يعرفون الحقوق الزوجية لانهم غير متزوجين ايصبح رئيس رؤساء على الجند ممن لا يحسنون صنعة الحرب والمبارزة . فقلت لله درك من ابن لك هذا كله وقد طالما اشتبه عليك الامرد والمخلوق اللحية عند قدومنا هذه الجزيرة . قالت رب شرارة اضرمت اتونا . اني كنت اعرف من همسي اني لا ألبث أن أنبع في هذا . وذلك لكثرة ما كنت أرى وأسمع عن المتزوجين من الخلفاء والمعاصرة . والشكو والمنافرة . لاسيما وقد رايت الآن بلداً غير بلدي وناساً غير ناسي . واخبرت عادات جديدة وأحوالا غريبة . فتوجهت تلك الشرارة التي كانت مودعة في خاطري تحت دمان الوحدة والانفراد حين هبت عليها مكبها الاحوال المتغايرة والشؤون المتباينة . ولا سيما في ليلة الرقص التي لا تنسى . ومذح خطري بالي ان املي عليك كتاباً في حقوق الرجال والنساء ولا بد من الشروع فيه . قال سأفعل ذلك ان شاء الله ولكن الامير ينتظر قدومي عليه في المنزل غدا فلا بد من التوجه اليه قبل انشاء الكتاب . قالت قد تشفيت الآن قليلا بما قلته فاذهب اليه وأرجو أن لاتعاولني هذه الاهتقاعة الا وانت هنا . فاستغاث واستوزع . واستعاذ وأسترجع ثم ذهب الى الامير المشار اليه . وبعد أن قضى معه مدة الاعتزال سافر معه الى ايطاليا ثم رجع الى الجزيرة محفوقا باكرام الامير وانعامه .



الفصل التاسع عشر

في عجائب شتى

بلميس حادى . علمص خزعبله . فلق فليق عيرة . أدب بطيط
فتكر . عجب فنك ضحك بهر . هترهكر اديجر . زول عيى بجل طلم
أفت غرو فري . ان الانسان لا يعرف نفسه . هذه سيدتي الرسما المسحط
الرقما الزرقا الرصما المرذا المصلا المزوا العصلا الجحرا الزلا المعوا النقوا
النطا الضهيا الجحوا الجبا المزلاج الكروا المصوب المنداص الفلحسة تمخذ
المرافد والحشاي وكبة قطن تنتج به فميمصها عن نذيبها لتوم الناس انها
دهساء وطباء . ولكن من أين جاءك ياسيدي هذه الحلية المباركة وهذا
اللحم القدي . ونحن نرى ذراعيك كالرعاة أو كمود الشكاكي . وعنقك
كالمصا ويدك كالمشط ووجهك كالصابونة التي غسل بها القصار ثياب
القديدين والقدادين والناج والداجة . ورائبك كالفص وكتفك مؤلتين
مهلهتين مرقنتين مدقتين محددتين مقسدين مسرطتين مسمرطتين .
فكيف غلظت فيك الطبيعة وسمتت في هذين الموضعين الكريمين وعميت
عن الباقي . وهذه سيدتي البلقطة الدعشوقة الزلنطة الجحيرة الزبازاه
الجميرة الحرنقة الدنامة الرفيان العشبة الحدحة الزحنة الضرزة الزونة البهزة
الجباة المعهزة القهزية البهصلة الدراة المفزعة القربضة القتل القتل
القنبنة القنبنة القزما العذملة الجنبطة الدودرى الفرزحة الكمنة العلى
الجلر الزعنة القنبضة المرزحلة الحزقة اذا مشت تطفر وتنب وتطع
وتتلع وتوسعج ونهبع وتتألل وتشرئب وتصلب ونشمعل وتزقص
وتزمل . ونحسب ان الناظرين لا يشبهونها بأعينهم . ولا يفزونها ولا يذرعونها

بخطا طرم . ولا يدرون أي فراش يليق بها . وهذه سيدتي السوداء المسخمة
 المدلهمة المطرعمة القاحمة العاتمة القاحمة الدماء المدهامة الختاء المرطمة السلاء
 المدلامة السحاء الدجناء الدختاء الحفدلس تطلي وجهها بالخمرة والغمرة
 والنعمة والخور والرينة . ثم تهمر خدها للناس وتنظر اليهم شزرا . وتتيه
 عليهم دلالا وكبرا . فاذا حاولوا أن يروا موضعا آخر من جسمها أدارت
 ذلك الموضع المطلي المحمر . المنقش المزور . وجعلته شافعا في سائر أعضائها
 وأوهمتهم ان المنطلي منها أشد يياضا من المكشوف وان لونها في الليل
 يكون أزهى منه في النهار . ولا سيما عند الخلوة فانه يزداد بهاء وجلوة .
 حريما حكمت حكاية طويلة تدل على انها لما قامت في الفداة لم يكن لها
 وقت لا صلاح شأنها . فلبست ثيابها على عجل وخرجت وهي لا تدري
 كيف خرجت . وهذه سيدتي المعجوز المتهدمة . الفحلة الشهيرة . الطهمل
 اللحية . العفشليل الصمصيليق . الجلفزير الشفشليق . الخنظير الشمشليق .
 الدردريس الطرطيس . الشامق الحارط . الشملق الجخرط . الحربش
 اللطلط . الهيمرون الكحكج . المرشفة الجلبج . ذات الفتلة والنمثلة .
 والنمثلة والنمثلة (١) . لم يزل حشوة عزهاة تنفث وتنصبي ونحزق ثوبها
 من عند خصرها . وتجلس اذا جالس اليها فتى في وكرها . وهذه سيدتي
 الجيسة البضة الفراء . السنيعة الغضة الفراء . الصبيحة الرهراء . المبهير
 النيداء . الخضلة الدعجاء . الخريدة الموقونة العجاء . الرشوف الشبناء .
 الخنية الذلاء . السامة الكعاب . المصقولة الزائب . الخلوة الابتسام .
 الرخيمة الكلام . التي تسكر بمغازلتها . وتفتن بمباغلتها . وتضي فؤاد من
 لم يصب عمره . وتبيله وتيممه . وتبدبه وتيممه . وان أخذ منها حذره .
 واستحضر رشده وصبره . ودينه وحجره . تراها تمشي والخفر قد نكس
 رأسها وغض طرفها فاذهلها عن أن تحس خطوها . وتبدي زهوها .

(١) أساء المعجوز أكبر من ان تعد

وليس بها من التفتيح والتضج والتبرج والتفوج والصلح والتديج والتخفج
والتدعج والتدحرج والتبفج والتجرج والتزجج والتسرج والتفوج
والتنفج . مع انها لو دخلت على حضرة الملك نقام لها احتفالا . وناولها
المبحار والمحصرة اجلالا . وأشدها

فديك من مملكة علينا بحق لصحتها تحت الخلافة
خذي تاجي بأدنى ثمة من ملاغم فيك أرأدنى ارتشافه
أو على حضرة ناموسه المتختم . ووزيره المكرم . لدش عن شغله
اكبارا لها واعظاما . وألقى اليها الخاتم استسلاما . وأشدها
اليك القصل في كل الامور على أسري أمير أو وزير
ما الدستور الا دس تور اليك فهل سبيل للشفور
ولو دخلت مجلس قاضي العضاة . لأهدى اليها الكهز والدر وما
ملكك يداه وأشده

لها علي في الهوى حضان لا للذكر
قاني سؤلين منهاذا وذا له وطري
ولو دخلت على طبيب يعالج تدها لوصف له مس رائقتها وشم سالفها وأشده
دهن السقنقور والترياق للعلل رضاب فيك وللعنين ذي التجلل
حتى اذا لم يدع في الريق من وسل أرشفته الخمر نعم الخمر من بدل
ولو خطرت على منجم لرمي الاسطرلاب من يده حيرة وزهولا وبليلة
وغفولا . وأشده

لسنا نرى الا جمالك في الضحى فهو المنير بمنح ليل أظلاما
قد يلبل القلبي منك مفلك فعليك تموم الذي ما قوما
أو على فيلسوف لذهبت معه حكته سدى . ولم يجد للصبر عنها
رشدا . وأشده

من حكاك الجسمين تتدح النار كذا منهب الذي قد تفلسف

وهي دعوى فان جسمي اذا احتك بهذى أسال ماء فأزف
 أو على مهندس لاشككت عليه الاشكال . وتبلبل منه البال . وأنشد
 يفدى المكعب مك كل مكعب ومحب ومقعر في العالم
 ياليت ذا الشكل الهلالي الذي فيك استقر على عمودي القائم
 أو على منطقي خرج عن العياس . وخبط في الالتباس . وأنشد
 على اللديدين مني سافها وضعت يا حسن ذلك موضوعا وعمولا
 أصبحت تاليها أبني مقدمها اذ كان كل سرور فيه مأمولا
 أو على نحوي لما ميز الفاعل من المفعول . ورأى ان معرفة ذلك من
 الفضول . وأنشد

رويدك اني ما جئت نكرا ليدك وليس لي ذنب فيذكر
 برئت من النحاة وحق ربي لقولهم بتغليب المذكر
 أو على عروضي لتقطع فؤاده . وكثر زحافه وأسناده . وأنشد
 هندتني يا ذات كل ملاحاة وترك قلبي بالفسرام بعلل
 أرعى النجوم الليل فيك وانني مستفعل مستفعل مستفعل
 أو على شاعر لدلع لسانه تلزح . ثم تلمظ وتخطق ثم عض بانه قسحا . وأنشد
 كم تاه صب بفرط العجب واليه لكن حياؤك تأليهي وتوليهي
 أن يولني منك تجنيسي عانسة أحمدت تورني واخترت توجيهي
 ألا ولو انها مسحت على عتق كل مني ومنك أيها القاري لا غناهما عن
 الحوض . ومصح ما بهما من الورم والنفاخ والنقطة والغدد والعقد والقمع
 والفقد والحتر والمجر والعاذور والبحر والجدر والغير والكمر والشعر والورور
 والحبر والقصر والنفقة والسلم . والنكف والغيب والغلب والذرية والتزود
 والمصل والمط والقسط والتشجيع والتعجب والتعظيم والتعظيم والتعظيم
 والتعظيم والتعظيم والردن والتشن والتعظيم والتعظيم والتعظيم
 والتعظيم والاشخاص والقره والقله والتأي والحما والحروة والتعظيم والتعظيم

والرنية والضوأة والزرة والخضمة والشاكة والادلال والالجل والحسد
والصمعة والقروح والحراج والدمل والمنية والبنور والتاليل والخنازير
والالتواء والمنع والخبون والتدب والعثم والوكس والحيط والاجور والدم
والعرب والعاذر والالار والطلايا والعلب والعصب والقوباء والجرو والذغام
والخدش والجلف والحشفة والحفت والقطوف والزرف والكسم والنسوف
والفلصمة والحوق والحلاق والفرك والكتاف والهيض والحناق .

وهذه سيدني الزمردة المنجرد الداموس الالفة السلفة الملقاع الحففس
الحففس المنفص البقع السلفع المروم المضمضة الشنظيان البنظيان البهرج
الطليف المسجل الطلف الفانكة المنملة المتياح المراج المعنة الخطالة الخالجة
الزادة الزرة المحتات الملوكة المتهاكة المتهكة المستهكة الباغزة الحواسه
المواسه الدردم الدردب المتوهجة المتلمجة اللقوت المعجينة المفاطة الجلوط
المخروط الخلطة الخليع الجملة الخربيع الجالقة الشنة الشنيمة المعفاص
المعفاص الجنبشة البطرية البطريير الدمراء القاشرة الجلبانة العنققيز السحلوت
السلخوت المهرى النعارة المهيمة المهرعة المهور ورافراغية السموع الساعية
الخيتروع الخيتومور العسوس الضبوط الماجن الحجة الملائمة الشروب
القمرة المستمربة المستضربة المستنخبة الففخة الوزاح المدرجة المردة الضامد
لمستعمدة المعذاء الثامدة المستدرة المستدرة المستدرة المستطيرة المستظرة
الشمرة العمرة المروور الموسة المبلال المنعطة الكرعة الواكمة التبجي المحتلعة
الصمعة الهكمة الهكمة المتهمكة الضبمة الظالع الوتعة الهبنغ المستولقة المراغة
الصارف الخلفية المستحلقة المستودقة الحارقة الشبعة المتفككة المداركة
المفلكة المستجملة المستويلة المبدم المدقم المبل المهدم العظمة الهدمة العظمة
المستحزمة الغيل المتوسنة المستائية الخانية المتسداة التي قد علم كل واحد
من أهل البلد حين تخطر في أسواقه وشوارعه وأزقه ودروبه وردوبه
انها تدعوم بعينها وبجميع جوارحها الى التمشيد الى العراب الى الاشطار

الى الاقلعاف الى الاشتمطاط الى الاشتماذ الى الافضاء الى الاقتماء
الى الكفاح الى العراض الى التلقيع الى الدهنشة الى النشنشة الى الهكاع
الى السباع الى التشييط الى الحصحصه الى الاسواء الى الايعاب الى الرفش
والقفش الى المحنن الى المسح الى الاجفان الى الافطاء الى الاقاش الى
القزب الى الرك الى البك الى المهك الى الهك والهكهك الى الزهك الى
الحرث الى الهق الى الزجل الى الاماهة الى الزب الى الخوق الى الدعم
الى الرطم الى الكوس الى الاقحاط الى الومس الى الدعظ الى الدعطة
الى السغم الى الاكسال الى الاطهار الى الففق الى الخقق الى الوجس الى
الافهار الى الظلم الى التدائم الى التسنى الى التقمم الى التجبية الى الابرار
الى التدبيسخ الى الانسداج الى الاسراح الى الانشداج الى التنوخ الى
اندرنجة الى الدهشرة الى المشق الى السلق الى الصلق الى السلقة الى المزد
الى الحرش الى الشقية الى المحارقة الى الكشر الى النخب الى التفنخش الى
الظهاهرية الى الترفخ الى التفنخش الى القشاع الى المزمة الى العرفطة الى الفرصبة
الى الكابوس الى الخط الى لي العرفجة الى التكوذ الى الشفر الى التشفير
الى التدليص الى التفخيذ الى الحبيص الى الحسف الى التلجيف الى دحرج
الى ارار الى ازار الى ماط باط تقعد في مجلس رئيسه بنات النعري وتطرق
تصيب على جاراتها انهن ينظرن من الشباك ويضحكن ويلبسن وينمطرن
ويتحلين ثم يخرجن ويعشين الحيلة . واكن أنسيت ياسيدتي يوم قلت
لشيخك ما أحديشق الا ويتفرلونه عند ذكرهم مشوقه . فقال لك ليس
ذلك بمطرد . فكارت واصرت على قولك فكار هو أيضا وأصر على
اسكاره . فقلت له حى تحجيه لو أنك ذكرت لي اسم — ثم انتهت
وسكت . فقال لك وقد طن فرن ده اغه اسم من . فضحكت وقلت
لا أدري . ويوم خرج بك ايفرح عنك الهم في يوم راح فخرجت وقد
كشفت نصف صدرك ولملت الترائب والمفاخر والعموة وهو لا يدري لغفلته .
١٠ — جره ثاني

فلما التفت إليك ووجدك على هذه الحالة قلت إن الريح فعلت ذلك .
 ويوم كان يماشيك فقلت وأنت ذاهلة لعلبة الهوى أفدى بروحي وجه
 من أهوى . فلما سألك قلت ما هو إلا أنت وما أنت ، إلا هو . ويوم
 أرسلت خادمك . ويوم إشت خادمتك . وغدة كتبت رقعة دعوت فيها
 من شاكك . وضحوة تأخرت . وعشية تطرت . وساعة اعتذرت .
 وفينة فرمت . وليلة أوهمت وحجمت . وفنة همت وهمهت وهيئمت .
 ونوة تزبرجت وتعلت . إوهنة أرتعت . وفينة زمت وسامت . وحينة
 استحزمت حتى دعت . ألم تكن هذه القوافي كلها مكافئة لنظر جارتك
 من الشباك .

وهذا المطران اناسيوس التتوني قد صار الان مترجماً معرباً كاتباً
 منشئاً . وهو أضيى أستا من أن يفعل . ولم يبال إن جر عليه بتمريه
 است الكلبة . وفد حسب مضايق الحرف كلها سواء . وتعنى وتعمل .
 ولهوج ولهيق . وطرمذ وطرطر . وتقيش ونخرش . وقرمش وفشفش .
 وهريج وهلج . وسفسف وممرج . واخرص ونثم . وتوره وضهيا .
 وانها وانياه . وتكسس وتزبب . وتنفع وللب . وخرشب وخشرب .
 وتخرلق وناب . ونصوك وتزخ . وتندخ وتزخ . ومردل وأهجس .
 ومرطل وطررس . وتفيق وتشدق . وعفن وبشك . وخرق وخرق .
 وركب ولبك . وعصد ولقت . وهو أعظم في نفسه من المتشمة (١)
 أليس في الكون من مرأة وزجنجل وسجتنجل وعناس ومنطار ووذية
 ولحة وماربة وزقة ومذية أوزجاجة أوصفيحة فتظر سسيداتي هؤلاء
 فيها وجوهن وما هن عليه من الاحوال . أليس في الشرق من سيبويه
 فيصنع . أما في الغرب من ابن مالك فيقدع . الا اخفش فيغار على هذه
 (١) المتشمة امرأة وسمت استها ليكون أحسن لها وفي المثل هو أعظم
 في نفسه من المتشمة .

اللغة . ويرض راس هذه الوزغة . كيف يظن الانسان انه عالم ولم يتعلم .
وأديب ولم يتأدب . وفقه ولم يتفقه . نعم انه لا يرى جهله في مراة كما
يرى وجهه ولكن أديب الكتب هي مراة العمل . فمتى قرأ كتب
العلماء ولم يفهمها عرف حدا وصل اليه من العلم . غير ان المطران
اناسيموس التونجي مطران طرابلس الشام المقيم في جميع البلدان الا
فيها لم يطالع شيئاً من مؤلفات العلماء . ففاية ما علمه من النحوباب التفاعل
والمفعول . ومن البيان نوع التجريد . ومن الفقه باب التجاسات . ومن
العروض الوند المتحرك . ومن البديع ردالهجز على الصدر . هذا حد
عرفه وتبجح به في مدرسة عين راز حين كان قيم تلامذتها . فلما سبب
فراذه منها الى ومبة ثم من رومية الى مالطة ثم من مالطة الى باريس ثم
فراذه من باريس الى لندره ثم فراذه من لندره الى مالطة . ثم فراذه هذه
السنة الى لندرة من بعض مدن النمسا حين كان يطوف فيها وعلى عاتقه
الشلاق . وتشهره هناك وتجربته في الاخبار اليومية حتى حرم من
تعاطى هذه الحرفة التي فيها مئسرين كثيرة . ونسبجه في زمن موسم
لندرة في أن جمع جماعة مغنين ومغنيات من بيت أشق باش بحلب .
وأغواؤه ايام على أن يقصدوا الموسم طمعاً في الربح . ودخوله معهم ومع
شركائهم أولاً في شروط المنصروف والتجهيز . ثم استرجاعه المبلغ الذي
كان آداه اليهم واشترطه عليهم اشراكهم اياه في الفائدة من دون أن
يشاركهم في التنب . وذلك في مقابلة اغوائه وسعيه هذا الذميم الذي
كان سيداً في تحسیر رئيسي هذه الزمرة خسارة زائدة فلا يمكن شرحه
في هذا الكتاب . وربما قال قائل هنا انك أيها المؤلف قد عبت على
الناس جعلهم أنفسهم . وقد أراك جهلت نفسك في هذا الفصل فأوردت
فيه كلاماً لا يليق بالنساء . فقد تجاوزت ابن أبي عتيق وابن حجاج .
قلت الحامل على ذلك أمران . احدهما ابراز محاسن لغتنا هذه الشريفة .

والثاني اني قصدت تشويق القارئ من ملاء حيطان ديارهم من قصب
الربيع الى شراء كتاب في اللغة . فياقرئاً ويسامعاً . وياواقئاً ويلعاساً .
قل للمتنت ان من كان في فيه مرارة لم يستطع الحلوة . وبعد فاني
أترامى على أقدام سيدي المدقم وسيدي الدعشوقة وسيدي الدلمحسة
وسيدي المسخمة . واطلب منهم العفو عن طغيان القلم اذ لا يمكن لي
أن أبيت هذه الليلة وهن علي غضاب .



الفصل العشرون

في سرقة مطران به

لما رجع العارياق من عند الامير المشار اليه أخير زوجته بما أحسن به
اليه وبأنه وعده بوظيفة حسنة في مصر . فضالت أنا أسبقك اذا وأنت
تنتظره هنا فاني قد اشتقت الى أهلي فدعني أسافر اليهم . قال لا بأس
فلما أزع الفراق أخذ يودعها ويقول . اذكري يا زوجتي ان لك في
الجزيرة حليلا برعاك وخليلا لا ينساك . فعالت من لي بهذا . قال فقلت
أي هذا تمنين . قالت إنما أعنيك . قلت بل المتبادر غيري . قالت هل
الحفائي تنوِّب على بواذر كم أنتم العرب . وما زال دابكم نبش ما في
صدور النساء من الاسرار . وفقس ما في يوافيخهن من الافكار .
ومواخذتهن بالث والوم . ومعاملتهن بالحدس والقسم . ومعالجتهن
بالهوس والزعيم . والرنخ والرجم . والتنفخ والنفم . والريسيس والوغم .
بدل العمس والعمم . والحلمرة والرأم . والحزم والوزم . والحمش والقمم .

والضم والدعم (١) ولو ان الله تعالى يؤاخذ العباد باللغو مثلكم لما بقى على وجه الارض من بشر . قلت أكثر هذه المشاحنات ناشيء عن لغتنا فان كل عبارة منها تحتمل عدة معان لسعتها . قالت ليتها كانت ضيقة . قلت وهذا أيضاً من ذاك . قالت وكذا ذاك في هذا . قلت وكذلك عليه . قالت ونحوه أيضاً فالاولى اداً السكوت . قلت ليس عند ذلك . قالت أنتم الرجال كلكم منخاريون فطافطيون رفثيون . قلت من أين علمت ذلك . قالت قد رجعنا الى الوهم والسم . قلت بل فلنعد الى الوداع . قالت نعم اني أسافر وليس لي من آسف عليه . قالت هل أنا في جملة غير المأسوف عليهم . قال ماأنت كاحد الناس . قلت وهذا أيضاً كلام مبهم الست برجل . قالت في احد المعنيين . قلت هل بعى لك على شيء . قالت جمعه . قلت أعدك حساب ذلك في دفتر . قالت نعم قد غرنا تلخزكم في الشعر يا شعراء فرعنكم قوالين فعالين . فاذابكم لا تحسنون الا الوصف . قلت ومن يحسن الفعل . قالت من لا يحسن الوصف . قلت وأين حق الادب . قالت في مجالس العلماء لا في مجالس النساء . قلت ذلك يفضى الى الانبتات . قالت وهذا الى الانبتات . قلت كيف يمكن القراق اذاً . قالت ان شئت الوزم الان والا فدعه الى أن تأتي مصر . قلت كيف يأتي وزم أعوام . في ساعات أو أيام . واشفق

(١) (لث) الرجم من الحبر (والقسم) أن يقع في قلبك الشيء فتظنه ثم يقوى ذلك الظن فيصير حيلة (والرضخ) خبر تسممه ولا تستيقنه (وتذق) له تجرم وتنجي عليه ما لم يذنبه (والوغم والغم) بمعنى وهو الاخبار بالشيء لا عن يقين (والرئيس) خبر لم يصح والعمس أن ترى أنك لا تعرف الأمر وأنت تعرفه ونحوه الجلهزه (والعسم) انطباق الاجفان بعضها على بعض (والوزم) قضاء الدين والجش المغازلة والملاعبة (والغصم) التقبيل (والدعم) ما بعده

ان احين وعلي ذبابة . قالت اذا كنت لم تحش من الدين . فما اخالك
 تحشى من الحين . قلت لقد اذكرت ناسياً وطالما حسبت الناس كلهم
 مثلي . قالت وانت انسيت ذاكرة لكوني لم ارلي مثلاً . قلت اذ كرتي
 السطح واصفحي . قالت ليس الصفح الا من ذكر السطح . قلت اني
 أردت السطح القديم . قالت اما اريد الحديث . قلت يقال في الامثال
 لا بركة الا في القديم . قالت يقال في الامثال لكل جديد لذة . قلت
 كيف الفراق وفي قلبك ضغن . قالت يا حبذا الضغن . قلت اذا كان
 بمعنى الشوق الي . قالت سم هي من الالفاظ الغريبة التي تعلمتها منك
 كالقيون والقطعل والحبرة . قلت لعك أنست من العيون العتيان ومن
 الفطعل الفحل ومن الحبرة الحيرة . قالت لا تأس الحبرة بالحبرة . قلت
 قد وقع ذلك فانهم قالوا النعمة من النوم . قالت وقالوا أيضاً التسديد من
 السداد . قلت لم يرد في النهي عن ذلك امر . قالت هومئذ على قتيضه .
 قلت هذا بذ في أرض سباخ . قالت وذلك قراح بلا حرث . قلت
 الكلام على البذر . قالت لا يمرؤ الطعام مادام في الحلق ولا يسوغ الماء
 الا اذا مر على الزقوم . ثم توادعا بعد مباراة الدم وشيخها الى سفينة النار
 ثم رجع الى منزله كثيراً مستوحشاً . لانها كانت كثيراً ما تدله على الرشاد
 وتنهج له الرأي السديد . ثم لم يشعر بعد أيام الا وروائح المطران قد
 انتشرت وهي أشد أذى من الاولى . فبعث منها قدراً أخسر الى اللجنة
 المذكورة وكتب لهم . ان لم تقطعوا هذه الرائحة من هذا الجو شكاً كم كل
 ذي خيشوم . فلما بلغهم كتابه وعرضوه على طلاب العلم عندهم وجدوا
 ان قوله الحق . فبدا لهم أن يسدوا مسام المطران عن اخراج ذلك الخبث
 وأن يحضروا اليهم الفاريق لاعادة ترجمة الكتاب الذي تقدم ذكره .
 هذا وقد كان الفاريق الف في أحوال أهل الجزيرة كتاباً وعاب عليهم
 فيه بعض عادات ورسوم دينية ودنيوية مما تهدوا به عن نصارى بلاد

وذلك كتفطيسهم أجراس الكنائس في ماء المعمودية . واطلاق أسماء القديسين عليها . وكخروجهم بالدمى والتمائيل نهارا وإيقاد الشموع امامها وما أشبه هذا . وكان قد أعار الكتاب المذكور رجلا من المسلمين ممن كان المطران يتردد عليه . فاتفق أن زاره المطران يوما فرأى الكتاب على كرسي وقد عرف خط مؤلفه . ففاقل الرجل حتى خرج من الحجرة وتناول الكتاب وقطع منه الاوراق التي اشتملت على ذكر تلك الماديات . ثم بعث بها الى رئيس مصلح البحر وكتب عليها باللغة الطليانية . انظر أيها الرئيس ان كان قائل هذا الكلام يصلح لان يكون تحت رئاستك أولا . الا ان الرئيس المذكور لما كان لا يعرف ما اشتملت عليه تلك الصحاف مع عدم قدرته على عزل الموظفين في خدمة الدولة . كان لا بد من اعادة الاوراق الى المؤلف . وكان المطران قد فر من الجزيرة قبل اعادتها وطهر الحوم من روائحه . ولو بقي بعد ذلك لموقف على هذه السرقة معاقبة تليق بأمثاله . ووقشتد عزم القاريق على السقر لقضاء تلك المصلحة أعني ترجمة الكتاب وأرسل الى زوجته يعلمها بما أستقر عليه الرأي . وأشار عليها بالرجوع اذا كان يرجو أنه يبقى في بلاد الانكليز بعد امهاته الكتاب . غير انه جرت العادة في بلاد الافرنج بان مدرسي اللغات في مدارسهم الجامعة لا يكونون الا منهم وان كانوا جاهلين . وبعد أن رجعت القارياقية تأهب القاريق للسفر وهامو الآن يوعي القاموس والاشموني في صندوقه . وها أنا منطلق لقضاء حاجة لا بد منها . قاسمحو لي أن أستريح قليلا .



الكتاب الرابع

الفصل الاول

في اطلاق بحر

من لم يسافر في البحار ويقاس فيه الانواء والامواج فلا يقدر ترفه
المعيشة في البرحق قدرها . فينبغي لك أيها العارء البري أن تصور في
بالك كلما أعوزك الماء القراح واللحم الغضيبض والغاكة الطريثة والبقول
الغضلة والخبر اللين ان اخوانك ركاب البحر محرومون من هذا كله . وان
سفينتهم لا تزال تמיד بهم وتقلب وتموت وتهبط . فدون كل لمة يستوطنها
غصة . وفي كل رقدة يرقدونها مقصة . وانه متى وضع بين يديك لون
واحد من الطعام فلا تفكر الا فيه . وأعتد ان غورك يقتضي بمثله في
تلك الساعة بل باقل منه . فبذلك يحصل لك التأمي والتسلي . فاما اذا
نظرت الى قصور الملوك والامراء وصروح الوزراء وفكرت فيما يأكلون
ويشربون فانك لا ريب تمنع نفسك وتعنبها لغمر فائدة . ولكن أنحسب
ان المعتقة التي يشرها الامير ألد من المساء الذي تشربه أنت حالة كونك
عارفا بامور المعاش والمعاد . مضطلعا بإدارة مصلحة لك تكفيك وأهلك
المؤونة . وحالة كون زوجك تجلس قبالك أو عن يمينك وشمالك . وولدك
الصغير على ركبك . تارة يغني لك وتارة يتاولك بيده اللطيفة ما سألت
عنه أمه . واذا خرجت سيمالك الى الباب واذا قدمت صعدا معك وأجلساك
على أنظف متكأ في الدار . فاما أنت ياسيدي الغني فالاولى لك أن تسافر

من مدينتك العامرة حتى ترى بعينيك ما لم تره في بلدك . وتسمع باذنك ما لم تسمعه . وتختبر أحوال غير قومك وعاداتهم واطوارهم وتدرى اخلاقهم ومذاهبهم وسياساتهم . ثم تهابل بعد ذلك بين الحسن عندم وغير الحسن عندنا . ومتى دخلت بلادهم وكنت جاهلاً بلغتهم ولا تحرص بحقك على تعلم كلام الخفى منهم أولاً . أو تستحل الاسماء من أجل المسميات . فان كل لغة في الكون فيها الطيب والخبيث . اذ اللغة انما هى عبارة عن حركات اللسان وأفعاله وأفكاره . ومعلوم أن في هذه ما يحمده وما يذمه . فأجلك عن أن تكون كععض المسافرين الذين لا يتعاملون من لغات غيرهم الا أسماء بعض الاعضاء وعبارات أخرى سخيفة . لا بل ينبغي لك حين تدخل بلادهم سالماً أن تمصّد قبل كل شيء المدارس والمطابع وخزائن الكتب والمستشفيات والمحاطب . أي الاماكن التي يخطب فيها العلماء في كل القنون والعلوم . فتها هو معد للخطابة فمط ومنها ما يشتمل على جميع الآلات والادوات اللازمة لذلك العلم . واذا رجعت بمحمدته تعالى الى بلدك فاجتهد في أن تؤلف رحلة تشهرها بين أهل بلادك لينتفعوا بها . ولكن من دون قصد التكبس بيئها . وبالكثك تشارك بعض اصحابك من الاغنياء في انشاء مطبعة تطبع فيها غير ذلك من الكتب المفيدة للرجال والنساء والاولاد ولكل صنف من الناس على حدته . حتى يعرفوا ما لهم وما عليهم من الحقوق سواء كانت تلك الكتب عربية أو معربة . ولكن احذر من أن تخلط في تفلك عن المعجم الطيب بالخبيث والصحيح بالمعتل . فان المدن الغناء تكثّر فيها الرذائل كما تكثّر الفضائل . نعم أن من هؤلاء الناس لمن يابى أن يرى أحداً وهو على الطمام . واذا اضطر الى رؤيته وهو على تلك الحالة فلا يدعوه للوس شيء مما بين يديه . لكن منهم من يدعوك الى صرحه في الريف فتقيم فيه الاسبوع والاسبوعين وأنت الأمر الناهي . وان منهم لمن ييخل عليك برد الصحية . واذا دخلت دار صديق منهم

وكان في المجلس جماعة من اصداقائهم يعرفوك من قبل فا احدهم يتحلى لك في القيام ولا يعبا بك ولا يلتفت اليك . لكن منهم اذا عرفك اهتم بامرك في حضورك وغيابك على حد سوى . واذا التفتت على سركتهم لك طول حياته . وان منهم لمن ينزك باللقاب اول ما يقع نظره على شاريك ولحيثك او على عمامتك او مجذبك من ذلك من وراء . واكن منهم من يتهاقت على معرفة العريب ويرتاح الى الرفق به والاحسان اليه ويرى اجارته وحمايته فرضاً عليه متحتما ، وان منهم لمن يسخر منك اذا راك تلحن في لنته ، ولكن منهم من يحرص على أن يملك اياها بجائلاً ما بنفسه او بواسطة زوجته وبناته ، وعلى أن يعيرك ما يفيدك من كتب وغيرها ويرشدك الى ما فيه صلاح امرك وتوفيقك وان منهم لمن يحسبك قد وافيت بلاده تسابقه على رزقه فيكلج في وجهك وينظر اليك شزراء لكن منهم من ينزك في بلده منزلة ضيف يجب اكرامه واحترامه والذب عنه بحيث لا تفصل عنه وفي قلبك أدنى ألم من أهله ، وان منهم لمن يسخرك أن تترجم له أو تعلمه ثم لا يعول لك احسنت يا مترجم أو يا معلم ، لكن منهم من لا يستحل أن يكلمك من دون أن يؤدي اليك اجرة فتح فك وضم شفئك ، وأن منهم لمن اذا اضطر الى أن يدعوك الى طعامه ثم راك قد سملت سملة أو مخطت مخطلة أو فتحرت فتخرة قال زوجته الا أن ضيفنا مريض فلا ينبغي أن تكثري له من الطعام ، فتقوم عن المائدة متضوراً وبعن هو عليك بين معارفه بأنه صنع لك ولية في عام كذا وشهر كذا ويوم كذا فيجعل تلك الليلة تاريخاً ، لكن منهم من اذا عرف انك مقيم في احدى قرى بلاده حيث لا يبيع ولا شراء ولا شي يتال من البقول والاعمار بعث اليك من مبالغه وحداقه ما اسد فاك عن الشكوى ، كما كان مستردرا موند يبعث الى القاريق حين قدر الله عليه بالسكني في بعض تلك القرى فكانت شكواه منها تسمع مع دوى الريح ،

ليت شعري اليس وجود مئة كتاب بدارك في الاقل خيراً من وجود
كذا وكذا قصبة للتبغ وكذا وكذا اركيلة . مع أن ثمن المئة كتاب لا يوازي
ممن ثلث قطع من الكهرباء . اليس وجود مطبعة في بلادك اولى من هذه الطيالس
الكشميرية وتلك القراء السمورية وهذه الآنية النفيسة والحلى الفاخر .
فان الانسان اذا نظر الى الحلى لا يستفيد منه شيئاً لا لبدنه ولا لرأسه .
وغاية فرحه به انما هو الشهر الذي اشتراه فيه فاذا مضت عليه أشهر استوى
عنده وسقط المتاع فلم يبق منه ما يسره من وجوده سوى يعمه . فاما
الكتاب فانه كلما مرت عليه السنون زادت قيمته وكثرت منافعه . أو
ليس اطلاعك على التاريخ والجغرافية واداب الناس زينة لك بين اخوانك
ومعارفك تفوق على زينة الجواهر . اليس تعلم أهلك وذويك شيئاً من
ذلك ومن قواعد لازمة لحفظ الصحة من كتب الطب يكسبك عند الله
أجراً ويؤمنك من مضار كثيرة تطرق اليهم لجهلهم بها . فان قلت أنه ليس
عندنا كتب في المربية تصلح للنساء . قلت هب ما قلته حقاً ولكن اليس
عند الاقرب كتب مخصصة بالنساء والاولاد يؤلفها الرجال الفاضلون المهذون .
فلم تشتري من الاقرب الخبز والمتاع ولا تشتري منهم العلم والحكمة والآداب .
ثم انك مهما بلغت في أن تبرقع زوجتك عن رؤية الدنيا فلن تستطيع أن
تحققها عن قلبها . فان المرأة حينما كانت وكيفما كانت هي بنت الدنيا وأما
وأختها وضررتها . لا تقل لي أن المرأة اذا كانت شريرة لا يصلحها الكتاب
بل يزدها شرة . واذا كانت صالحة فابها من حاجة اليه فاني أقول أن
المرأة كانت أولاً بنتاً قبل ان صارت امرأة . وان الرجل كان من قبل
ولداً . ولا ينكر أحد أن التعليم على صغر . كالنقر في الحجر . وانك اذا
رييت ولدك في العلم والمعارف والفضائل والحامديرون على ما يريدتهم عليه .
وتكون قد أدبت ما فرضه الله عليك من تأديهم . فتفارقهم بعد العمر
الطويل وخطارك مجبور وبالك رخي مطمئن . فلم يبق لك الا أن تقول

أن أبي لم يعلمني وكذا جدي لم يعلم أبي وأني بهما أقدي . فاقول لك أن الدنيا في عهد المرحومين جددك وأبيك لم تكن كما هي الآن . إذ لم يكن في عصرهما سفن النار ودروب الحديد التي تعرب البعيد . وتجدد العبيد . وتصل المقطوع . وتبذل الممنوع . ولم يكن يلزم الانسان في ذلك الوقت أن يتعلم لغات كثيرة . فكان كل من يقول خوس كلدي صفا كاردى يعال فيه أنه يصلح لأن يكون ترجماناً في باب همايون . وكل من كان يكتب خطاً دون خطي هذا الذي سودت به هذا الكتاب . لا الذي تقرأه الآن فاني بريء من هذه الحروف . كان يقال عنه أنه كاتب ماهر يصلح لان يكون منشيء ديوان . فاما الآن فهيهات . هذا العارياق حين نوى السفر من الجزيرة الى بلاد الانكليز كان بعض الناس يقول له انك سائر الى بلاد لا تطلع عليها الشمس . وبعضهم يقول الى أرض لا ينبت فيها الفصح ولا البقول . ولا يوجد فيها من الماء كالماء في بلاد اللحم والقلعاس . وبعضهم يقول أي أخاف عليك أن تفقد فيها رثلك لعدم الهواء . وبعضهم يقول امعالك لعدم الاكل . وبعضهم صدرك أو عضواً آخر غيره . فلما سار اليها وجد الشمس شمساً والهواء هواء . والماء ماء والرجال رجال والنساء نساء . والديار ماهولة والمدن معمورة . والارض محروقة أريضة . كثيرة الصبوى والاعلام . خضلة الغياض والربض والاجام . ناضرة المروج . زاهية الحقول . غضة البقول . فلو أنه سمع لاولئك الناس لغاتة رؤية ذلك أجمع . فان خشيت أن تهلك هناك لدة الاركيلة ولدة تكيس الرجلين قبل الرقاد . فاعلم أن ما ترى هناك من المعجائب ينسبك هذا النعيم . ويلهيك عما الفتة في معالك الكريم . كيف رضى لنفسك أن تفارق هذه الدنيا ولم ترها وأنت قادر على ذلك ، وقد قال أبو الطيب المتنبي ولم أر في عيوب الناس شيئاً . كنعص القادرين على التهام ام كيف تقتصر على معرفة ربع لغة ولا تشوق الى علم ما يفكر فيه

غيرك . فلعل تحت قبعة أفكارا ومعاني لم تخضر بما تحت طربوشك . بحيث
 أنك اذا استوعبتها تود لو أنك عاصرت صاحبها وتشرفت بمعرفته وصنعت
 له مادية فاخرة زيتنها بصحاف الرز والبرغل . وكيف تبلى من عمرك
 ثلاثين سنة ولم تؤلف شيئا يفيد اهل بلادك . ها ارى بين يديك الادفاتر
 بيع وشراء وفناديق دخل وخرج . ورسائل فاسدة المعاني ركيكة الالفاظ
 تنظر فيها في كل صباح ومساء . قلما اذا قصدت السفر لمجرد التفاخر فقط
 بأن تقول مثلاً في مجلس زارك فيه اصحابك الكرماء . واقرانك العظماء .
 قد رأيت مدينة كذا وشاهدت شوارعها النظيفة الواسعة وديارها الرحبية
 ومراكبها الحسنة واسواقها البهيجة وخيلها المظهمة ونساها الرائعة
 وعساكرها الجمارة . واكبت فيها في اليوم الاول كذا وشربت في اليوم
 الثاني كذا . ثم ذهبنا بمدرك الى بعض الملاهي ثم الى احدى الملهيات .
 وبت معها على فراش وطى . وكان قبالة السرير امرأة كبيرة في طول
 الفراش وعرضه فكنت ارى عسى فيها كما كنت في الفراش . ثم قمت
 في الصباح وجاءتنا حادمة صبيحة بصبوح أو فطور . ثم عدت الى محلي
 فوجدت فيه فلانا ينتظرنى وكان ذلك نحو الساعة الحادية عشرة اي قبل
 الظهر بساعة . فتوجهنا معاً الى البستان المسمى بالبستان السلطاني .
 وبينما نحن نمشي فيه وننظر الى الشجر الباسمة والزهور المدبجة اذ ابالمتنا
 التي بت عندها تماشي رجلاً يغازلها . فلما رأته نبسمت وسلمت علي .
 وكان سلامه لم يسر الرجل فانه نزع الى قبعة فمجبت جدأ من عدم غيرته .
 اذ لو كانت المنة عندي لحجبتهم عن النور . وذلك كله يسمى في العربية
 هذراً وعراء وهمتاً وهرجاً وهلجاً وسدماً وهيشاً وونماً وخطلاً واخلاء
 وحطبي وطفانين وهذياناً ورثرة وفرفة وحذمة وهيمة وهزمة وخزربة
 وخطلبة وغيدرة وشمرجة ونفرجه وهمرجة وثنتعة وفمقة وللمنة ووقوفه
 وهتمنة وفي المتعارف عند العامة فشارا وعاسكا . اذلا فائدة فيه لاحد

من الناس . بخلاف ما اذا قلت لهم ان الفيساني من الرجال هناك اذا حضر
 مجلساً فيه نساء لا يغمز احداً من بينهن ولا يتبظرم ولا يتبهر (١) . ولا
 يقول لها انه يزور النساء المحصنات يعلم بمولتهن وبغير علمهم وياً كل عندهن
 ويشرب . ثم يخلو بهن في مضاجعهن ويرجع الى منزله مسروراً . وكاي
 من مرة وضع يده في جيبه فوجد فيه كيساً ملأ من الدنانير او كاغد حواله
 على بعض الصيارفة . وانه اذا مر في الاسواق تنافت على رؤيته البنات
 من الراشن والشبايك والكوى والسهاء والاجلاء . فمنهن من تشير
 اليه بيدها أو برأسها . ومنهن من تهجله بعينها ثم تضع يدها على قلبها .
 ومنهن من ترميه بوردة . واخرى بيافة من المشور او برقة فيها شمر .
 او انه يقول بحضرتهم قد انحلت تكتي او حكى رفنى لكون حشو
 سراويلي غليظا . او يحك استه او يرطل عياره . او يتمطى ويتمط
 ويتمط ويتمدد ويتمطل ويتمتأ ويتمتأ ويتمتأ ويتمط ويتمط
 ويتمط ويتمط ويتمط . بل انما يكلمهن متادباً محتشماً عاض الطرف
 خافض الصوت . ويسأل كبيرتهن عما دالمت يومها ذلك من الأخبار
 والحكايات والواردات الالية ، وانه شرع في تأليف كتاب مفيد يشتمل
 على ذكر آثار الاقدمين واخبارهم ، ثم يلقي على صغيرتهن احجية أدبية ليلمها
 بها ويختل ذلك يدخل مكرماً ويخرج محمداً ، وبخلاف ما اذا قلت لهم
 أيضاً أن التاجر المردى هناك لا يصحتم بخواص الماس والزمرد ، ولا يتحل
 بسلاسل الذهب ، ولا يقتنى النادر من الاناث والماعون والقرش . بل
 انما ينفق أمواله في سبيل البر واطاعة الملهوفين وامداد الارامل واليتامى ،
 وفي انشاء المدارس والمستشفيات ، وفي تصليح الطرق وتحسين المدينة
 وازالة الاوساخ والمقومات منها ، وفي أن يرني ولده بالادب والعلم
 (١) نبظرم اذا كان أحق وعليه خاتم فيتكلم ويشير به في وجوه الناس
 وانتهر ادعى كذباً وقال فجرت ولم يفجر ،

والفضائل ، فترى منهم من سته اثنا عشرة سنة يكلمك بما يكلمك به من سته مائة اثنا عشرة سنة بعد العشرين ، وبخلاف ما اذا تفضلت بذكره فصلت أن لكل انسان عندهم ممن لا يعد من الاغنياء والفقراء خزانة كتب نفيسة في كل فن وعلم ، وما من يدت الا وفيه اصابه من صحف . وان الرجل مهم أخبر بالبلاد الاجنبية من أهلها . وان اكثر فلاحهم يقرأون ويكتبون . يطالعون . الوقائع اليومية ويعرفون الحفوق الرابطة بين المالك والمملوك والحاكم والمحكوم وبين الرجل وامرأته . وان من هذه الوقائع المطبوعة ما تبلغ عدة نسخه اربعة عشر مليوناً في العالم . وما يدفع عليها خزانة الدولة على طبع اجازتها يبلغ أكثر من خمسين ألف ليرة . وانها لو عربت نسخة واحدة منها لجاءت أكثر من مائتي صفحة وان صاحب العائلة منهم اذا جلس صباحاً على المائدة مع زوجته واولاده يقبل كلا منهم ويسألهم عن صحتهم . ويقدم بمض نصائح وتنبيهات تكون لهم اماماً في ذلك اليوم . واهم يكلمونه وهم متهجون فرحون وبرون حضوره فيهم سلواً . واهم لا يخالفون له أمراً ولا يستغفون منه تكليفاً . وهم مع ذلك يدلون عليه بالنبوة ويهابونه للابوة . فهذا وأمثاله اصلحك الله ينبغي أن تشنف به سامع اصحابك الكرام . عسى أن ينشطوا الى انشاء مدرسة أو ترجمة كتاب أو لارسال ولدهم الى بلد يتادبون فيه بالاداب المحموده والمناقب الكريمة . ويايك ياسيدي من أن تميل قبل هذا كله الى أن تأخذ عن بعضهم الخصال النميعة كالطيش والنزق والبخل والعسق والكبر ومد الرجلين في وجهه جليسك .

فقد ذكرت لك آتفا ان البلاد التي تكثر فيها الفضائل تكثر فيها الرذائل أيضاً . وانه ليس من انسان الا وفيه عيب بل عيوب . غير انه ينبغي لكل منا أن لا يزال يجد ويسعى في طريق الكمال وفي تهذيب أخلاقه وحواسه الباطنة بكل ما يبدو لحواسه الظاهرة . وكما ان لغة الحواس

لا يشعر بها الانسان الا في مقدم جسمه دون مؤخره كذلك ينبغي لكل
ذي جسم من الحيوان الناطق أن يعتمد على التقدم في المعارف والدراية .
والحمد الى الغاية . وكنت أود لو أن أحداً من أهل بلادنا نزل فضيلة
أو مآثرة عن هؤلاء الناس الى اخوانه ومعارفه كما تنقل الاخبار والروايات
وودي لو نستحيل أصناف الماس والزمرد والياقوت والدهنيج والشمع
والدر والعميان والكهرباء والمها وقلنسوة الراهب معها حالة كونها معدودة
من الجواهر والتحف الى كتب ومدارس ومكاتب ومطابع .

الفصل الثاني

في وداع

لما حان سفر العارباقي أخذ يودع زوجته بعد أوعى العاموس والاشموني
في صندوقه ويقول اذكري يازوجتي اما عشنا معا برهة طويلة من الدهر
قالت ما أذكر الا هذا . قال فعلت أذكرنا كرام شاكرا . قالت نصف من
هذا ونصف من ذلك . قلت يرجعنا النحت الى الاول قالت أو يرجع
الاول الى النحت . قلت أي أول أضمرت . قالت ما لك ولتأويل المضمر .
قلت حسبي أن تبيني لي حقيقة ذلك . قالت اذا فكرت في انك لي ولعيري
كنت من الناكرين والا فمن الشاكرين . قلت انك كنت نهيتني عن المعاملة
بالفهم وهأت الآن تأمينه . قالت بل هو يأتيني . قلت أما في قبلك لفظة لا .
قالت ان لفظتها كانت نعم . قلت ان لا من المرأة الى . قالت وان نعم نعم .
قلت أجملت هذا دأبك . قالت ودأبت في هذا الجمل . قلت هذا
لا يليق بذات ولد . قالت ولا تلد من لا تليق . قلت من مادة واحدة .

قالت ان كانت المادة غير زيدة متصلة أحوجت الى اختلاف الصور .
قلت وكيف تبقى متصلة على اختلاف الأشكال . قالت لاشكال في
كيفية الاشكال فان واحداً منها يغني عن الجميع . وأما الكلام على
تسم الكية . قلت ما الحد . قالت في الحد الهزل وفي الهزل الحد . قلت
أرايتك لو اقمتم نائباً عني في ذلك مدة غيابي . فضحكت وقالت على
ما أحب انا ام على ما تحب انت . قلت بل على ما تحبين انت . قالت لا
يرضى الرجل بذلك الا اذا كان غير ذي غيرة ولا يكون غير ذي غيرة الا اذا
كره امرأته وكلف بغيرها فانت اذا كلف بغيري . قلت ما انا بالكلف ولا
بالطرف . لكن الرجل اذا كان شديد الحب لامرأته ود لوانه يرضيها
في كل شيء . على ان الغيرة لا تكون دائماً عن الحبة كما نصوا عليه . فان
بعض النساء يفرن على ازواجهن عن كراهية لهم واعانت . مثال ذلك اذا
منعت المرأة زوجها عن الخروج الى بستان أو ملهى أو حمام مع عدة رجال
متزوجين . وهي تعلم انهم في هذه المواضع لا يمكنهم الاجتماع بالنساء
فهي انما تفعل ذلك تحمكاً عليه ومنهأ له من ذكر النساء مع أصحابه والتلذذ
بما لا يضيرها . وكذا اذا حظرت عن النظر من شباكه الى شارع أو
روضة حيث يكثر تردد النساء . وكذا الحكم على الرجل لوفعل ذلك
بامراته ، فهذا عند الناس يعد غيرة لكنه في الواقع بغضة . أو ربما كان
آخر الغيرة أو البغض كما ان افراط الضحك هو اول البكاء . وكيف كان
فان الرجل لا يمكن ان يحب زوجته الا اذا اباح لها التلذذ بما شاءت وبن
أحبت . قالت ايفعل ذلك احد في الدنيا . قلت نعم يفعله كثير بلاد في
غير بعيدة عنا . قلت بابي هم ولكن ما شان النساء ايفعلن ذلك أيضاً
لازواجهن . قلت لا بد حتى يعتدل الميزان . قالت اما أنا فلا ارضى بهذا
الاعتدال قالمين عندي احسن ، قلت وكذا هو عندي في بعض الاحوال ،

قالت ولا حوال البعض ، قلت فلنعد الى السفر اني اسافر اليوم ، قالت
نعم الى بلاد فيها البيض الحسان ، قلت اتعنيهم أم تعنيهن ، قالت اعني
نوعا ويعني آخر ، قلت ولم يعنيك وانت المطلوبات في كل حال ولذلك
يقال للمرأة غائبة ، قل في القاموس الغائبة للمرأة التي تطلب ولا تطلب —
قالت ما احسن كلامه هنا لولا انه قال قبل ذلك العواني النساء لأنهن
يظلمن فلا ينتصرن . غير ان هذه النقطة شفعت في تلك . قلت حبكن
التنقيط دأب قديم . قالت مثل دأب الرجال في التحريش . وكيف كان
فان مطلوبيتنا هي اصل العناء . فان المطلوبة لا تكون الا ذات العرض
والاحصان . فويل لها ان خانت محضها . وويل لها ان حرمت طالبها
وباتت تلك الليلة مشغولة البال بحرماته وخيئته وبكونها صارت سبباً في
ارقه وجزعه وحسرتة . والطالبة تمود غير مطلوبة . قلت لست اخلاف
الرجال في ذلك سواء . قالت انما اعني الرجال الذين يطلبون ويكلفون
من يطلبونه لا أولئك الطرفين الشنفين المسافحين الذين داهم التدوق
والتنقل من مطلوب الى آخر ونفع انفسهم فقط دون مراعاة نفع سوام .
ولكن هيات هل في الرجال من يقيم على الوداد ولا يميل عنه كل يوم .
لمعري لو كانت النساء تطلب الرجال طلب الرجال للنساء لما رأيت فيهم
غير مفتون . قلت هل في النساء من تقيم على الوداد ولا تنجح عنه كل يوم
الف مرة . هذه الكتب كلها تشهد للرجال بالوفاء وعلى النساء بالخديعة .
قالت من كتب هذه الكتب اليس الرجال هم الذين لعقوها . قلت اكن
من بعد التحري والتجربة . قالت من يات الحكم وحده يفاج . فلت بل
اوردوا على ذلك شواهد ركني بما ورد عن سيدنا سليمان برهناً ودليلاً .
فانه قال قد وجدت بين الف من الرجال صالحاً قاما بين النساء فلم اجد
صالحة . قالت ان سيدنا سليمان وان يكن قد اوتي من الحكمة ما لم يؤته
غيره غير ان افراطه في النساء شوش عليه الصالحة منهن من غير الصالحة ،

الا ترى ان بائع المسك لطول اختلافه بالرائحة القوية تضعف منه حاسة الشم بحيث لا يعود يشم الرائحة اللطيفة ، واما ايراد الادلة من الرجال على النساء دون ايراد ادلة النساء على الرجال فمحض ظلم وبطر . قلت نعم كان الاولى مناصفة هذا الايراد ولكن سبحانه الله انتن تتهمن الرجال في كل شيء ثم تنهاتن عليهم . قالت لولا اضطراب الاحوال . لما شغلن بذلك الابوال . قال فضحكت وقلت أي جمع هدا . قالت قسته على غيره . قلت وهل استوى المقيس بالمقيس عليه . قالت لا فرق . قلت بل كله فرق فان اللغة لا تؤخذ بالقياس . ولو صح ذلك لم تكن مناسبة بين الذكر والانثى ولا بين الانثى والذكر . ولا بين تذكير حقيقة التأنيث وتأنيث ما هو غير مقابل بمثله . قالت وهذا ايضا من بطر الرجال وتشويشهم فلا يكادون يأتون امراً مستعياً . قلت قد رجعت الى نومهم . قالت والله لقد حرت في الرجال . قلت والله لقد حرت في النساء . ولكن فلنعد الى الوداع اني اعاهدك على ان لا اخونك . قالت بل تخونني على عهد . قلت ما يحملك على سوء الظن بي . قالت اني ارى الرجال اذا كانوا في بلاد لم يعرفوا بها افحشوا غاية الافحاش . الا ترى الى هؤلاء الفرباء الذين يأتون الى هذه الجزيرة كيف يتهتكون في المهر والفجور . فأول ما يضع أحدهم قدمه على الارض يسأل عن الماخور . ولا سيما هؤلاء الشاميين ولا سيما النصاري منهم ولا سيما الذين الموا يعلم شيء من احوال الافرنج ولغاتهم فاهم يخرجون من المراكب كالزنايير اللسمة من هنا وهناك . قلت لعلمهم كانوا في بلادهم كذلك . قالت ليس عندهم اسباب الفحش هناك . قلت أو كانوا فاسدين بالطبع . قالت نعم هو عرق فساد كامن فيهم فأول ما يستشعرون رائحة بلاد الافرنج ينبض فيهم . ولذلك ترام ابدانهم بذكر بلاد الافرنج وعاداتهم واحوالهم . مع انك اذا سألت احدا منهم عن طعامهم قال لا يستطيعه . أو عن الحانهم قال لا تطربه . أو عن كرماتهم

قال لم تأدبه . أو عن حما ماتهم قال لم تعجبه . أو عن هواهم قال لم يلائمه .
أو عن ما لهم قال لم يسخ له . فيكون لهم بذكر بلادهم وتنويههم بحاسنها
أما سببه القبح . وامت من يضمن لي طبعك عن القساد وقد اسمعك
كل يوم تهنيم بذكر الرجراجة والرضاضة والبضباضة والقضاضة والربحلة
والرعيوب والمطبول . وهي لعمري الفاظ تسيل لعاب الحصور وتشهي
التاسك . قلت ان هو الا كلام . قالت اول الحرب كلام . قلت آرين
اعدى عن هذه الصنعة الشائقة . والحرفة المائعة . قالت ان لم تتصور
ذانا بعينها عند الوصف فلا بأس . قلت ان لم اتصور ذانا لم يحظر بيالي
شيء . قالت اذن هو حرام . قلت ما كفارته . قالت تصورك ايلي لا
غير . قلت ولكن انت خالية عن بعض الصفات التي لا بد من ذكرها .
قالت اذا كان الرجل يحب امرأته رأى فيها الحسن كله ونظر من كل شجرة
منها امرأة جميلة . كما انه اذا احب امرأة غيرها احب لاجلها بلادها وهواءها
وماءها ولسان قومها وعاداتهم واطوارهم . قلت أو كذلك المرأة اذا احبت
رجلا . قالت هوفي النساء اكثر لانهن أوفر حبا ووجدأ . قلت ما سبب
ذلك . قالت لان الرجال يتشاغلون بما ليس بينهم . فترى واحدا منهم
يطلب الولاية وآخر السيادة وآخر البحث في الاديان وفي ما غرض من
السفليات والعلويات . والنساء لا شيء يشغلهن من ذلك . قلت ليتك
تشاغلت مثلهم . قالت ليت لي قلبين في شغلنا . قلت افتنظرين في
الحسن كله كما زعمت . قالت أحسن فيك النظر . قلت فلنعد الى الوداع
لا بل فلنعد الى التشاغل . فاني اريد ان انهى هذه المسألة قبل ان افصل
من هنا والا فتكون لي شاغل الطريق وربما افسدت شغلي عند القوم
فارجع باللوم عليك وعلى سائر النساء .

قالت اعلم ان المرأة تعلم من تھمسها لها زيتة هذا الكون . كما ان جميع
ما فيه انما خلق لزيتها لا لزينة الرجل . لا لكونه مستغنياً عنها بذاته

اولكونها هي مفتقرة اليها لتحلويها في عين الناظر واذن السامع . بل لعدم جدارة الرجل بها . فان الزينة نوع من الاخذ والتلقي والاستيعاب والزيادة وهي احوال انسب بالمرأة منها بالرجل . وبناء على هذا أي على أن جميع ما في الكون خلق لها بمغضه بالتخصيص وبمغضه بالتفضيل والايتار . كان من ابض اعتقادها ان نوع الرجل أيضاً مخلوق لها . لا بمعنى انها تكون زوجة لجميع الرجال فان ذلك محال من وجهين . احدها انها لا تطيق ذلك لان سرية ذلك اليهودي (على ما ذكر في الفصل التاسع عشر من سفر القضاة) لم تطلق اهل قرية واحدة (هي جبسة) على قتلهم ليلة واحدة . بل ما تم في الصباح وسيدها يحسبها نائمة . وهذه الحكاية ذكرت ردعاً للنساء . والثاني انه اذا ثبت لامرأة حق في حكر الرجال والاستبداد بهم ثبت الحق الباقي . ولكن بمعنى انها اهل لان تعاشر جميع الرجال وتعرف ما عندهم . فتعلم من واحد جمليقة ومن آخر باطراة ومن غيره بمنازلة ومن آخر بمطارحة وما اشبه ذلك . عمالاً بمنها من محبة زوجها والكلف به . لا بل — قال قتل اتمى هذه اللابلية قاني اراها ترجمة لداهية من دواهي النساء وعنواناً على مكيدة من مكايدهن . فضحكت وقالت ربما ذلك على الرأي القنون . غير اني أخشى من أن تأخذك لييانها شغشفة ورعدة فتأخر عن السفر . أو أن تطن ان هذا دأبي ممك . مماذا الله . اني لم أخنك بضمد ولا بغيره . وانما علمت ما علمت من النساء لأن النساء لا يكتنم بعضهن عن بعض شيئاً من أحوال العشق وأحوال الرجال . قلت أوجزي فقد قلقت وفرقت وعرقت . قالت اعلم ان بعض النساء لا يصحرجن من وصال غير بعولتهن لسبين . الاول لعدم اكتفائهن بالقدر المرتب لهن منهم . فانهم يعودونهن أولاً على ما يعجزون عن ادائه آخرأ . ولا يخفى ان من النساء المدقم وهي التي تلتهم كل شيء . ومنهن الشفيرة وهي القائمة من البمال بأيسره . ومنهن الضامد وهي التي

تخذ خليلين . ومنهن المطاع وهي التي تطمع ولا تمكن . ومنهن المريم وهي التي تحب حديث الرجال ولا تهجر وهو خلمي . قال فقلت اللهم آمين . قالت واللاعة وهي التي تفاذك ولا تمكنك . والسبب الثاني لاستطلاع أحوال الرجال واختبار الايجع منهم وغير الايجع لمجرد العلم كيلا يفوتهم حال من أحوالهم . ومنهن من امتقد أن زوجها يحونها عند كل فرصة تسنح له . لما تقرر في عقول النساء ان الرجال لا شغل لهم الا مغازلتهم ومباغمتهم . فهي على هذا لا تجد سبيلا للشطط الا وتزف فيه . اعتقاد انها أخذت بثأرها جزما أي قبل وقته الموقوت . ومع ذلك فلا يحل عن محبة بمولتهم بل ربما كان ذلك الشطط أدعى لزيادة حبهن لهم . قلت لامتعني الله بحب ناشيء عن مدقمية ولا ضمد . ولكن كيف يكون هذا التخليط أدعى الى زيادة الحب والمرأة اذا ذاقت البكك والمجارم والقارح والكباس لم تقتنع بمس ذلك زوجها حاله كونه لا يحول عن الصفة التي فطر عليها . وكذا الرجل أيضاً اذا ذاق الرشوف والرصوف والحزنب والعضوض والا كبس فانه يرى زوجته بمس ذلك ناقصة . فضحكت وقالت لو كانت هذه الصفات لازمة للمرأة وكان عدم وجودها فيها قصفاً لما كنت تراها في أفراد قليلة من النساء . فان معظمهن على خلاف ذلك . فاما سبب زيادة المحبة فيما زعمن مع التخليط فهو ان الزوج لطول الفتنة وزوجته وضراوته عليها وحالة كون مس أحدهما الآخر لا يحدث في جسم الماس والمسوس هزة ولا رعشة ولا ربوخية . يمكن له معها الماتنة والامعان والوقوف . بخلاف الغريب فانه لشدة نهمه ودهشته أو لقرط مراوحة المرأة اياه على العمل . أو لكون الحرام لا يسوغ دائماً مساغ الحلال فتوته دائماً الصفتان المذكورتان فاللذة معه جلها ناشيء عن التصور . أي عن تصور كونه غير زوجها . كما ان نفسها مع زوجها جلها ناشيء عن تصور كونه غير غريب . والا فالواقع ان اللذة في الحلال أقوى . غير ان التصور له موقع يرب من

القول . ويأني لو اعتقد رجل مثلاً ان امرأة غير امرأته تبنت معه ثم
بانت معه امرأته بعينها وعولا يعلم ذلك كما جرى لسيدنا يعقوب عليه السلام .
لوجد امرأته تلك الليلة متصفة بجميع الصفات التي تصورها في غيرها .
وكذلك شأن المرأة . فبناء على ما تقدم من اعتقاد المرأة بأن جميع ما في الكون
من الحسن والزينة والبهجة يناسبها كان تصورها صفات الحسن وتشاغلها
به مطلقاً عاماً . غير انه اذا كان لها خاص قريباً منها تناولت ذلك الخاص
متناول العام . حتى انه كثيراً ما يخطئ فكرها واحداً منهم بخصوصه .
فيجاذبه اثنان أو ثلاثة حتى تذهل عن الشاغل والاشغل . وهو في الواقع
تحوف من اللذة كمن يريد أن يشرب من ثلاثة قلال يضعها على فيه في
وقت واحد . قلت كلامك هذا ينظر الى قول الشاعر

اذا بت مشغول القواد بما ترى من الفيد عيني والجمال مفرق
اركب في وهمي عيا يشوقني على قامة أولى به ثم أشبق

ولكن قد نهيتني آنفاً في التغزل عن تصور ذات بخصوصها وقلت
انه حرام فهلا قلت بجرمية هذا أيضاً . قالت انما حرمة ذلك اكونه ذاهبا
في الكلام سدى وسرفاً . على ان الغزل كله كنهما كان لا خير فيه ولا جدوى .
قاما في التغزل من قبل النساء فانه ينشأ عنه صباحة الاولاد . ولذلك ترى
أنف بعضهم كنف زيد وفه كنف عمرو وعينه كعيني بكر . وهو أيضاً
جواب لمن قال ان في رؤية الرجل نساء كثيرة مصلحة تعود على امرأته
لا كتسابه منهن التمشير عند الاياب . بخلاف خروج المرأة فان التمشير
ملازم لها . قاما هؤلاء الحمقى الزاعمون ان تصور الرجل مؤثر في توزيع
الاولاد فيلزمهم أن لا يروا امرأة غير نساكنهم . لئلا تأتي ذريتهم كلها اناثاً أو
في الاقل خناثاً . وذلك لمناغاة المصورين من قبل الاب والام . ألا وان
امرأة لا تستبدل زوجها الا بالفكر والتخيل لجديرة بان تكون قبلة كل
مطريء . وأن لا يفكر زوجها الا فيها . قلت مقتضى كلامك ان النساء

المقصوبات عن رؤية الموم لآلة لمن مع الخموص . قالت أما بالنسبة إلى ناظرة الموم فلا . ولأما بالنسبة إلى الدم فتم . فان الماء يمكن سخنا يطفي النار . قلت وبالعكس أي ان النار يمكن باردة تسخن الماء . قالت يصح العكس لكن الطرد أولى . قلت إلى كم قسم قسم اللذة . قالت إلى خمسة أقسام . الاول تصويرها قبل الوقوع . الثاني ذكرها قبله . الثالث حصولها فعلا بالركنين المذكورين . الرابع تصويرها بعد الوقوع . الخامس ذكرها بعده . وكون لذة التصور قبل الوقوع أقوى أو بعده أقوال . فذهب بعض إلى ان الاولى أقوى . لأن الفعل لما كان غير حاصل كان الفكر فيه أجول وأمن فلا يقف على حد وزعم آخرون ان الحصول يهيء للفكر هيئة معلومة وصورة معينة يعتمد عليها في قياس ما يترقبه من الاعادة والتكرير . وكما حصل الخلاف في وقتي التصور حصل أيضا فيه وفي الذكر . والعبرة بمحة التصور وذرب اللسان . فاما أصلح الأزمنة لها فالصيف عند النساء والشتاء عند الرجال . فاما الكمية فن الناس الموحدون ومنهم المتنوية ومنهم أهل التثليث . قلت ومنهم المسترزة والمطلون . قالت هؤلاء لا خير فيهم . وما هم جديرون بأن يعدوا مع الناس . قلت ما شأن من يتزوج اثنتين وثلاثا . قالت هو أمر مغاير للطبع . قلت كيف وقد كانت سنة الانبياء . قالت هل نحن نبحت الآن في الاديان أو نتكلم في الطبيعيات . ألا ترى ان الذكور من الحيوانات التي قدر لها أن تعيش مع اناث كثيرة قدر لها أيضا القدرة على كفايتها كالديك والمصفور مثلا . وغيرها انما يعيش مع واحدة ويكتفي بها . ولما كان الرجل غير قادر على كفاية ثلاث لم يكن أهلا لأن يحوزهن . وبعد فلاي سبب حظرت المرأة عن أن تنزوح ثلاثة رجال . قلت ان في كثرة النساء للرجل الواحد كثرة النسل التي يتوقف عليها عمران الدنيا . وذلك مفقود في كثرة الرجال للمرأة الواحدة . على اني قرأت في بعض الكتب ان هذه العادة لم تزل

عستعمله عند بعض المميج . قالت له من أهؤلاء هم المميج وأتم المتمدنون الكيسون . فاما دعواك بجنكائر النسل في كثرة النساء فهل سكان الارض الآن قليلون . ألم تنقض بهم البسيطة وتقتل بهم بطونها ويمرق اديهما . فما الموجب الى هذا الاكثر سوى البطر والنهم قلت قد عدت الى لوم الرجال فلنعمد الى الوداع . اني مسافر عنك اليوم وتارك عندك فؤادي حتى اذا نازارك أحد أحس به . قالت كيف تحس وما فؤادك معك . والناس يخصون القلب بالحس والشعور . والحزن والسرور . قلت ان حسي برأسي قالت من أي جهة . قلت من الجانب الاعلى من الرأس . قالت نعم الشيء الى جنسه أميل . ولكن أين تتركه . قلت على العنبة كيلا يخطوها أحد . قالت فاذا طفر فوقها . قلت في الفراش . قالت فان يكن في غيره . قلت فيك . قالت ذلك أحسن مقراً . اني اعاهدك على ما كنا عليه من الحب والوداد من أيام السطح الى الآن . ولكن حين أحس وأشعر من هنا باتك تبدلت السطح بالسطح أقابلك بفعل مثل فعلك والبادي أظلم . قلت انك كثيرة الوسواس شديدة الغيرة . فلعل شعورك يكون عن وسواس . قالت بل الاولى ان الوسواس يكون عن الشعور . قلت عار ما بيننا الدور قالت حاول اذا فلك . قلت هو فرض فلا بد من قضائه . قالت وقضاء لابد من فرضه . قلت أبعقد به العهد . قالت اذا عهد به العقد . قلت لا أرضى بهذه الصفة . قالت ومن لي بوصف هذا الرضى . قلت هل كان العقد في الشرط . قالت وهل كان الشرط بلا عقد . قلت مثلنا مثل ذلك المجنون . قالت لولا الجنون ما جمعنا الزواج . قلت أكثر الناس على هذا . قالت أكثر الناس مجانين . فقلت الحمد لله رب العالمين .



الفصل الثالث

في استرحامات شتى

من كان من طبعه اللين والافتراء أو من كان جاهلاً بالنساء ارتاب في هذا الوداع ونسبه إلى ترقيش الشعراء ومبالغاتهم . ولكن أي منكر على من جعلت دأبها ودينها وشنشتها ونشنتها ومهوأها وهذيرباها وأهيجورتها وفعلتها ومطرتها الحاضرة والمفاكهة والمساقة والمطارحة والمخارزة والمجازرة وسرعة الجواب . بل كثيراً ما كان يجتمع بالقاريق اثنان أو ثلاثة من أصحابه قاناً خاضوا في حديث انتدبت لهم وجازتهم فيه وعارضتهم وما تنتهم . فكل فصيح ان تعارضه لم يبن وكل بليغان تساجله يرتك . وقد علم بالتجربة ان جواب المرأ اسرع من جواب الرجل . وان المشتغل بالعلم يكون ابطأ جواباً من غير المشتغل به . لأنه لا يقدم على ذلك الا بعد الفكر والروية . على ان هذه العبارات التي نقلتها عن هذه المرأة المبينة من غير قراءة البيان هي دون الاصل بمراحل . فاني لم اقدر في نقل الكلام على نهلي الحركات التي كانت تبسود منها . وعلى ان اصور للمطالع عيونا تغازل وحواجب تشير . وانفا يرمع . وشفاها ترمع . وخدوداً تتورد . وجيدا يلوى . ويداً تومي . ونفساً يربو ويخفت . وصوتاً يخفض وينير . وزد عليه مسح الملق اشارة الى الاستعبار . وتوالي الزفرات رمزا الى الحزن والانبهار . والتبلى ايذاً بالاسف . والتنقل من جنب الى جنب اعلافاً بالجزع واللف . وغير ذلك مما يزد الكلام قوة وبلاغة . وهذه ثاني مرة ندمتني على جهلي صناعة التصوير . للمرة الأولى كانت في الفصل الرابع عشر من الكتاب الاول عند ذكرى الحسان على

اختلاف جمالهن . ويمكن اني اندم مرة ثالثة . وهنا ينبغي ان اقف على قدمي متصبأ واستمبح الأجازه من ذوي الأمر والنهي لان اقول . انه قد جرت عادة جميع الولاة والملوك ما عدا ملك الانكليزيان لا يدعوا احدا يدخل بلادهم أو يخرج منها ما لم يدفع لدواوينهم أو لوكلائهم المعروفين بالتناصل قدراً من الدرام بحسب خصب ممالكهم ومحلها . وذلك بدعوى ان المسافرين اذا زل بلادهم ساعة أو ساعتين فلا بد وان يرى قصورهم القسيحة وعساكرهم المنصورة أو خيلهم الجيية ومراكبهم الفاخرة . فيكون كمن يدخل ملهى من الملاهي . اذ ليس يدخلها احد من دون غرامة . فان اعترض احد بقوله انا في الملهى نسمع اصوات المقيين والمغنيات وآلات الطرب . ونرى الانوار المزدهرة والأشكال المتنوعة ووجوه الحسان الناضرة وحركاتهن الباهرة . ونضحك حين يضحكن . ونطرب حين يرقصن . ونشغف حين يغازلن . فاما في رؤية احدى مدنكم قانا لا نرى شيئا من ذلك . بل انما ندخل لى بقبنا تجاركم . فتكون فائدتنا في الدخول بالنسبة الى قائدتهم في الدخل قليله . قالوا قد يتفق وقت قدومكم بلادنا ان تكونون عساكرنا قد شرعت في العزف بالآلات الطرب فهذا في مقابلة الطرب في الملهى . اما النساء فاما ناذن لكم فيالتمتع بكل من اعجبكم فاجروا وراء من شتم بحيث يكون النقد على الحافر . ومع ذلك فلا ينبغي أن تشبه مدائننا التي تشرفت بحضرتنا يعض الملاهي ولا سيما ان هذه سنة قديمة قد مشت عليها اسلافنا طاب رآهم . وتقامت عليها السنون والاحوال حتى لم يعد ممكنا تغييرها . فان الملك اذا أمر بشيء صار ذلك الشيء سنة وحكما . ويشهد لذلك قول صاحب الزبور ان يـد الرب على قلب الملك . بمعنى ان الملك لا يفكر في شيء الا ويد الله عاصمة له فيه . هكذا شرح هذه الاية العلماء الربانيون في بلادنا ومن خالفهم فجزاؤه الصلب .

وبعد فان الملك اذا أخذ في تغيير العادات وتبديل السنن فربما أفضى ذلك الى تغييره . فيكون مثله كالذي الذي يبحث في الارض عن حبة قمح فيثير التراب على رأسه . وصغر ذلك تشبيها . فالاولى اذا اقرار كل شيء في محله . ثم لا فرق بين ان يكون قاصد بلادنا غنياً أو فقيراً . صالحاً باراً أو لصباً فاجراً . رجلاً أو امرأة . فكلهم ملتزمون بإداء الغرامة وتحمل الغبن — ولكن ياسيدي ومولاي انا امرأة معسرة قد اضطرت الى المرور بمدينةك السعيدة . لان زويجي المسكين كان قد قدم الى بلادكم الملكية ليدر مصلحة فقضى الله عليه تعالى بالوفاة . فتوكت صبية لي في البيت يتهربون جوعاً وجشاً لأرى زويجي المويت حالة كونه لا يراني ومع ذلك فاني أعدمن الحسان اللاتي يحق لمن من أمثالك العناية والالطاف فكيف ألزم بالغرامة فضلاً عن نفقة السفر وفقد زويجي الذي كان لي سنداً — ارجعي من حيث جئت فإ هذا وقت الاسترحام . لان القواعد التي تقرر في دفتار الملوك لا تقبل التبديل ولا التحريف ولا يستثنى منها شيء — وأنا أيضاً بمولاي رجيل فقير قد رماني الدهر بصروفه لأمر شاءه الله . فوافيت بلادكم طمعاً في تحصيل وظيفة قوم بأودي . وما أنا من ذوي التناوي والفتن ولا من الباحثين في سياسات الملوك وإيالاتهم . فقصارى منيتي تحصيل المعيشة . على اني أعرف شيئاً لا يعرفه أهل بلادكم العامرة فربما كان مقامي فيها مفيداً لدولتكم السعيدة . ولو صدر الامر العالي بامتحاني واختباري فيما ادعيه لا كرمتم مثواي فضلاً عن الرخصة لي في الدخول بغير غرامة — بإطائف ياعسس يازبنية ياجلواز بشرطي ياعون ياذني يامسحل يافارع ياقيلع ياتؤرور ياتؤرور ياتؤرور ياتؤرور ياتؤرور أودع هذا السجن . ان هو الا جاسوس قدم يتجسس بلادنا . فتشوه عسى أن نجدوا معه أوراقاً تكشف لنا عن خبيرة — وأنا كذلك بمولاي وسيدي غليم مسيكين قد جئت لأتظر أبي اذ بلغني انه كان قادماً من سفره فدخل بلادكم

قاصابه هواؤها. الحميد بمرض شديد منعه من الحركة . فلما علمت امي مرضه وهي مريضة أيضا لما شملها من الحزن والكرب لطول غيابه بعثني اليه لئلي أخدمه وأمرضه فطيب خاطره برؤيتي وتخف ما به . فان رؤية الاب لابنه حال مرضه تقوم له مقام الدواء — ما نحن بمرجى الاولاد ولا بلادنا مكتب لهم حتى يأتوا اليها ويخرجوا منها من دون غرامة . اذهب وكن رجلا بادئا على الفور — وأنا أيضا باعتادي وملاذي . وثمالي ومماذي . وملجأئي وملتحدي . وسندي ومتمدي . وركبي وركني . وعزي وأمني رجل من الشعراء الادباء كنت قد مدحت بعض امرائنا الكرام بفصيده فاجازني عليها مئة دينار . فاشتريت بنصفها مؤونة ليمالي . ووفيت بربعها ما كنت استدته لكسوتهم وبقى مي ربع . واذ سمعت بمحاسن مملكتكم الخصبية البهية البهجة وبما فيها من التحف والطرف التي لا توجد في بلادنا . رمت أن أسرح فاطري وأزه خاطري في هذا النسيم أياما قليلة . عسى أن يخطر ببالي عند رؤيته معاني بديعة ما سبقني اليها احد فاصوغ منها بادیء بدیء مدبحا بليغا في جنباك الرفيع . ومقامك السنيح . وانشر الثناء عليك في جميع الاقطار . في الليل والنهار . واجيد وصف مكارمك في الاسفار — ما اكثر الشعراء الفاوین العاوين في بلادنا وما اكثر اقاويلهم واقل رزقهم . اما ان تدفع الغرامة فاما ان ترجع على عقبك واما ان تؤويك الى دار المجانين . ولكن هيهات ان تشرف مسامع المسترحم الخفير من سيده الجليل الطاهر بمثل هذه الاجوبة السلية . فان السلب من مقام الكبي منة . واما الغالب ان يكون جوابه برغم الانف او بالفقد . او بالاكيم على الخرطوم . او بهم سن . او بيقربطن . او باطنان ساق . او بانقاض ظهر . ولهذا لما عزم الفارياق على السفر وكان ممن لا يستغنى عن احد اعضائه التمس من خمسة قناصل ان يشرفوا جوازه بخبرهم . فحتم عليه كل من قنصل نابلي وليكورنه ومدينة اخرى في

عماكة البابا رغنصل جيوي وفرنسا . لان سفينة النار تمر على مرامي هذه المدن كلها وترسي فيها بعض ساعات . اما مدينة نابلي فهي مشهورة بكثرة ما فيها من المجلات والمراكب والجدائق والفياض . واما ليكورنه بطيب هوائها وارتفاع بنائها وكذلك مدينة جينوى . قال وهي عندي أحسن منها . وأعسى ما يكون مدينة البابا اذ ليس عليها روق الملك ولا الملكوت وما بها شيء يقر العين . فلما وصل الفاريق الى مرسلية أخذ صندوقه الى ديوان المكس وأشير اليه أن يتبعه . ثم طلب منه المكاسون أن يفتحوه لينتشوه فظن انهم يريدون أن يفتشوا في كراريسه ليعلموا ما فيها فقال . أما ما هجوت ساعداكم ولا مطرائكم فلم تفتشون في كراريسي . فلم يفهمه أحد منهم وهو لم يفهم أحدا . فلما فرغوا أشاروا اليه ان افقل صندوقك فتلج صدره ثم انبرى واحد منهم بمسح يديه على جنبه فظن انه يتمسح به أي يتبرك لكونه وجد كراريسه بخط غريب . لكنه علم من بعد ذلك انهم كانوا يفتشونه ليعلموا هل كان مدخراً شيئاً من التبغ والمسكر . ثم سافر من مرسلية الى باريس ففتش أيضاً هو وصندوقه في ديوان مكسها فكان مكاسي هذه المدينة كانوا يحسبون ان رفاقهم في تلك قد ناموا عن قيام الليل . فبال الشيطان في آذانهم فعمشت عيونهم عن رؤية ما في الصندوق . أو اهتم يرتشون كسائر أصحاب الوظائف . فاقام في باريس ثلاثة أيام في دار سفارة الدولة العلية وفيها حظي بتعبيل أيدي الوزيرين المعظمين والمشيرين المقعذين رشيد باسا وسامي باشا . ثم سافر من باريس الى لندن وسيأتي الكلام على وصف هاتين المدينتين العظيمتين . ثم من لندن الى قرية في بلاد الفلاحين وفيها القى المصفا وعندها أقف انا أيضاً .



الفصل الرابع

في شروط الرواية

لم يمض على الفاريق في مدى عمره مدة هي انحس واشقى من المدة التي قضاه في تلك القرية . لان قرى بلاد الانكليز ليس فيها من محل هو واجتماع وانس وحظ البتة . واما اللهو والحظ في المدن الكبيرة . وفضلا عن ذلك فليس في القرى شيء يباع للمأكل والمشروب سوى مالا احتفال به . ومن كان عنده دجاجة أو طرفة يمت بها الى احدى المدن القريبة . فمن شاء ان ينقطع عن الدنيا او يترهب فعليه بها . اما النساء هنالك فقيمن من تشفى من القصة بل تمنى بالفرم . الا ان الغريب محروم منهن . اذ كل ذات ظلف ملازمة لتحتها فليس من سائب مبهل الا المعجائر . ثم بعد مضي شهرين عليه وهو على هذه الحالة المشؤمة انتقل الى مدينة كمبريج مصدر الفسوسة وعلم الكلام . فان جل قسيسى الانكليز يحضون اليها او الى اكسفورد ليتعلموا فيها الالهيات والمناظرة . وفي هاتين المدينتين ايضا سائر طلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم . ومن احدى مدارس كمبريج نبغ نيوطون الفيلسوف المشهور . فاكتفى الفاريق فيها مسكنين في دار كما هي العادة ومكث يترجم بقية الكتاب الذي مرت الاشارة اليه سابقا وكان في تلك الدار جارية دعجاء كعجب وكذا سائر الوصائف عاليا . فكان الفاريق يراها كل ليلة تطلع الى غرفة أحد السكان ثم بعد هنيهة ليست بأطول من قولك عمت مساء يسمع لها نغمة ايقافية وكانت صاحبة المنزل تراها نازلة من عند الرجل في الساعة العاشرة ونحوها من الليل ولا تكثر بطلوعها ولا بنزولها . فاذا جاءت في الصباح

لتصلح فراش القاريق حلق فيها وحقق فلم يرفيها علامات تدل على انها كانت هي صاحبة النعمة . فيظن أن ذلك كان وهما منه نشأ عن اللهبج بالايفاف . فاذا جاء الليل عادت النعمة وعاد اليقين . فاذا كان الصباح عادت الحلقمة وعاد الصاوان وعاد الشك والحيرة وهلم جرا . حتى كاد ذلك يشوش عقل القاريق ويفسد عليه الترجمة التي طالما كان يحنثى عليها الخلل والفساد من قضية ما نسائية . وهنا ينبغي أن اقرض واقول . أن هذه المزية السنورية أي الاكل خفوة وان يكن وجودها ملحوظا في النساء على الاعم الا انها في نساء الانكليز على الاخص . فان المتصفة منهن بما اتصفت به السيدة المدم في فصل حدندي تظاهر في النهار بصفات الورع والتقوى والنفورية والقذورية وتنظر الى تيمها نظرا المتجاهل . وتوم الناقد انها متبذلة معزلة للرجال . وربما حفظت احاديث دينية وروايات نسكية تلقىها على الناس فيعظمونها ويمتقدون فيها الصلاح . واذا دخلت بيتها وجدت على مائدتها التوراة والانجيل وكتب اخرى في العبادة والزهد . وربما وسخت الظاهر من ورقها لتوم انها كثيرة الدراسة لها . ولا يمكن للرجل أن يذكر بين يديها اسم عضو من اعضائه . فتكون لذة هؤلاء على مقتضى قاعدة القاريقية غير نامة، وذلك لخلوها عن ركن الذكر .

وعنها أيضاً ان ذكر اللذة لا بد من ان يكون مطابقاً للواقع . فان كان الوقوع مثلاً من ذي مقام ليلاً ذكرت فيه لذات مقام . وان يكن من دون صباحا ذكرت فيه لدون من النساء . وقس على ذلك سائر التباين في الاوقات والاشخاص . اللهم الا ان خشي فولات القرصة . أي اذا حصلت مثلاً ليلاً ولم يكن ذكرها في الليل فيصح الذكر في الفجر أو الصباح . أو ان حصلت من ذي مقام ولم يتهيأ وجود نظيره فيصح ذكرها لدون ولا تفسد لذت الذكر بذلك . فاما على فرض كونها لم تجد احدا من هذه الاصناف فيصح ذكرها لنفسها . وذلك بأن تدخل رأسها في زير

فارغ أو في بؤرا وجب أو قبوة ونحو ذلك مما له صدى وتنطق بلسان فصيح مبين بما مر لها . حتى اذا رجع الصدى قام لها مقام النديم الكبير . فاما اذا بى الذكر في صدرها فيخشى عليها من الصدارة والذباح . ويشترط أيضاً عندها ان تكون الرواية مطابقة للفعل . فلنبذة نبذة . ولهمز همزة . وللحركة حركة . وللسكون سكون . وللمد مد . وللهذ هذ . وللترخيم ترخيم . وللترسل ترسل . وان يبلغ التشديد على الذال اذا كانت الرواية باغتنا هذه الشريفة . وان يكون في المينين مغازلة . وفي اللهم فيضان . وفي اللسان بلة . وفي اليدين تلفح . وبما تقرر علمت من أن هذه الخلة المذكورة الموجودة في نساء الانكليز اخلال بشروط اللذة . ويمكن أن يقال ان لذة الصور عندهن قوية جدا بحيث تقوم مقام لذتين . او انهن يضمن رؤسهن في خاية ونحوها .

وعن القاريات ان الجمال في النساء على اختلاف انواعه له نطق ونداء ندعاء واسارة ورمز . فنه ما يمول لناظره لست ابالي بالمراد . ومنه ما يقول لا اغتم الآل الفرصة - للتأخير آفات - لن تراني من الكبحي ملولا - لا يفرنك تشفون - هيث لك - من لي به الساعة - ما أرى كفايتي عند أحد - ن دواء الشق ان تحوصه - أين أين المشيع - أين أين الفر - أين أين نى أذلق لى بذل الصعب - بعد جهدك لا تلام - لكل محتهد نصيب - ن أطعم أشجع من - من ذاق عرف - من مس هرف - من سبق فقد يج - العود أحمد - من عد عاد - من وصل وصل - ومنه ما يشير أن ستمما الخية تلطف في الزيارة - كن من الجار على حذر - من تأنى ل ها تنى - بكر بكوت القراب وغير ذلك - فبال نساء الانكليز هو مما نوانه أين ابن الفر - أين أين المشيع - لذي بذل الصعب - فانك ترى المرأة نهن تمشي وهي صفوح منرة سامدة مساندة شاردة معبدة شامرة نافرة

جافلة جامزة آتزة نافزة ناقرة معدزة سارية عاسجة طامحة جاعة شائعة
خائفة مشمة شافنة مهطمة مرشقة متتالة هابطة متطافطة متطلقة مخرطمة
مسخنرة مجلوذة مجلوطة مذلبة مجرودة مرودة مشعدة مصعده مسبرة
مسبكرة مسمهرة مشفورة مسجورة مسجورة متملة متملة مشعلة مشعلة مصعلة
مقلقة مرثمة . ومع ان القدرة الخالقية قد خصت بها الاياساغة ضافية
على ما روت الرواة . فانهم يتحذون لها المرافد ويعظمونها بها تعظيما يوقف
المستوفز بحيث يقف كالجأ به الحيران . فلا يتناسك عن أن تصبطك ساقاه
تعجبا واعظاما لهذا التعظيم . وان تحترق أسنانه ويندلع لسانه . وتنضض
لحاته . وتلتري عتقه . وتتفخ أوداجه . ويحمر حلقه . ويخان على قلبه
ويطلى . وتأخذه القشعريرة وانزعدة والافكل وانجرة والاضطراب
والرجفان والنفسان والفشيان والغميان والفشيان والنحواء والدوار والميدان
والهم والاختلاج والترح والارتجاج والارتعاش والارتهاش والرعس
والارتعاس والتراد والترجيد والاصيص والبصيص والكصيص والارض
والمسوم والنفيض والقل والارزب والززع والزقزقة والشفشفة والصففة
وانقرقة والغففة . وتهيج به الاخلاط الاربعة فيطلب كل خلط عظامه
وتنهال عليه الخواطر والوساوس . وتمجاذبه عوامل الاماني . وتجرضه
معرضات العزة . وتطمره خواج الشهوة . ويميل به ميل التشوق والتلفف
على حد قول الشاعر

علمت البازل المديف فابمشت اليك بي واجفات الشوق والامل
فبقي حائرا باثرا مبهورا مهفوتا سادرا داهلا مدهوشا ذاهلا . بحيث
اذا رجع سالما الى منزله يحسب كل شاخص فيه عظامه أو ما عظم بها .
وكان القاريق اذا خرج وأبصر هذه الروابي الحميدة عاد الى مأواه وفي
رأسه الف معنى يشغله . فما أشده في بعض هذه القن
بالعجاب وكل عجب قليل بالمعجاب

ما ان يرى في ذا المكان سوى المراند من رواب
 كلا ولا من غوطة من دون ذيك الحساب
 كلا ولا قرموطة تشرى سوى كعب الكمام
 من كل ذات تبهن تدعو الحصور الى الدعاب
 الشوق يقدم بي وخوف المجر من غلم ناي بي
 ماذا يقول الناس عن خار عن مله الوطاب
 أم كيف تضعف همدة العربي عن قحف القعاب
 من لي بصنبور فأترعه بمنزقة الحساب
 من لي بعبه درفد في ليلتي من ذي القباب
 من بحت ألية من ذى الاايا في ما آتى
 هذا لعمرك سان ذى قلم وعذا الدأب دأبى



الفصل الخامس

في فضل النساء

وكما ان نساء تلك البلاد اختصمن بهذه المزية كذلك اختصمت
 وجالها بالطاقم الغريب بعد معرفتهم له . فاما قبل المعرفة فانه اذا حي احدا
 منهم فما يكون جوابه الا التزور والشعر . ولهذا لما سمع احد طلاب
 المزية منهم بوجود القاريق وكان قد قرىء عليه حسبه ونسبه اتى
 بزوره . وطالب منه ان يذهب معه الى منزله فيقيم عنده مكرماً معزاً .
 وكان مقامه بعيداً عن كمبرج . فاجابه القاريق الى ذلك لان اهل المدينة
 على كثرة المدارس عندهم والمعلم هم اشد الناس نفوراً من الغريب . ولا

سبيا اذا كان مخالفا لهم في الزي . فكانوا يسخرون من قبعته الحمراء حتى
كانوا كثيرا ما يقتنع في غرفته ولا يخرج منها الا ليلا . وقال في ذلك
رعتني النوى في كمبريج ملازما لبيتتي نهرا أن تراني أو باش
فتمبث بي حتى اذا الليل جنتي خرجت على أمن كاني خفاش
ولان الكلاب أيضا كانت تشم فروته وتلازمه . فعال فيها
ولي فروة تأتي الكلاب تشمها ولم تندفع عنها اذا ما دفعتها
تهر على تمزيق جلدي وجلدها كاني من ابائها قد صنتها
ولان اهل الدار التي نزل فيها كانوا يشاركونه في طعامه ولا يشاركونه
في لحمهم وشحمهم . فقال فيهم

ولي عيلة في كمبريج خفيفة تواكلني من حيث ايس عيان
فمهدي باسم الآكلات فلانة وعهدي باسم الآكلين فلان
ولأنه لم يفدر على ان يجرى الى احدى تلك القصب . فقال فيها
وما نفع الوثير من الحشايا وليس عليه وثر لذ نهش
وما نفع الشعار بلا شمار وحسن الحفش ان لم يلف حفش
وما نفع الحياة بغير حي فنعشك دونه ما عشت نهش
فسارا في سكة الحديد وبلغا المنزل ليلا وما كاد القاريق يدخل حجرتي
لتي اعدت له حتى رقشها بهذين البيتين

لله درب الحديد كم كفل ربا به والتدي قد رجفت
لولم يكن غير تلك فائدة لنا به دون آتوه (١) لكفت
ثم لما قام في الغد رأى المنزل بعيدا عن الدار . فاستأذ بالله واسترجع
واضرب على ما نفسه . لان هذه الشكوى ليس لها عند هؤلاء القوم اذن
واعية . حتى انه لما شكوا يوما طول غيبته عن زوجته قال له صاحبه بعد
ايام قد فرط منك بالأمس كلام فقلت اني مشتاق الى امرأتي . وكان

الأولى ان تقول الى أولادي . فقال له الفاريق ما المانع من أن يذكر الرجل امرأته كما يذكر ولده . ولولا المرأة لم يكن الولد بل لولا المرأة لم يكن شيء في الدنيا لا دين ولا غيره . قال مه مه قد افحشت . قال ارغن لما اقول . لولا بنت فرعون لم ينبج موسى من الفرق . ولولا موسى لم تكن التوراة . ولولا المرأة لم يمكن لبوشع ان يدخل ارض الموعد ويستولى عليها . ولولا المرأة ما حظى ابراهيم عند ملك مصر ونال منه الصلاة والهدايا فتمهد لليهود النزول الى مصر من بعده . ولولا المرأة لم ينبج داود من يد شاول حين اضمر قتله وان كان ذلك قد تم بحيلة وضع صنم في فراشه . ولولا داود لم يكن الزبور . نعم ولولا المرأة اعني زوجة قابل ما تقوى داود على أعدائه . ولولا حيلة بت شمع على داود لم يملك سليمان ابنه ولم ين هيكल الله باورشليم . ولولا المرأة لم يولد سيدنا عيسى ولم يذع خير انبائه . ولولا المرأة لم يستتب مذهب الانكليز كما هو اليوم . هذا وان المصورين عندكم بصورن الملائكة بصورة النساء . والشعراء عندكم ما زالوا يتغزلون في المرأة ولولاها لم ينبج شاعر . قال إن اراك الا هاتجاً على النساء وكان العرب كلهم على هذه الصفة . قال نعم اما راموزهم وقطاطهم وكل من يتلق بالضااض يكلف بالضاض . فاطرق ملياً ثم قال لعلكم ارشد من عدل الى الميم . فقد بلغني ان في بلادكم قوماً يميمين يمدلون عن سواء السبيل الى مضايق دميمة وهو اقبح ما يكون . واقبح من ذلك ان بعض المؤلفين من العرب قد القوا في ذلك كتباً وتمحلوا لا يراد ادلة على تفضيل الحرفة الميمية . قال نعم ومن حملتها كتاب عثرت به في خزانة كتب كمبريج ورأيت مكتوباً عليه عنوانه بالانكليزية كتاب في حقوق الزواج . فكان شاريه لم ينهم مضمونه . ومن اسخف ماورد من الأدلة على ذلك قول بعضهم

انالست اجزم بالواط ولا الزنا لكن اقول معال من قد حررا
ان اللذانة كلها في اقدرا الجارين فاختر ان عرفت الاقدرا

وسبب تأليف هذه الكتب من مثل هؤلاء العتالة اما للمعينة فان النساء يعرضن عن يتلي بذلك . او للبخل لان النفقة على المرأة اكثر .
 أو لقصر اليد عن مهنهن أو لتفساد آخر . اما سليم الطبع فلا يعيل عن هذا المذهب أصلاً . ثم ان الفاريق لبث عند صحابه مدة في خلاها ادب الى مآدب فاخرة عند بعض الاعيان . وعن عاداتهم في الولائم ان تقعد النساء على الأئمة مكشوقات الازرع والصدور بحيث يمكن للنظر ان يرى لمفاهر واللبان والبادلة والبهو . واذنا تطال واشرب وكان حسن الاهطاع رأى اللعوة أيضاً أي آية الحلم . وهي من جملة العادات التي نحمد من وجهه وتذم من وجه آخر . حيث كان هذا الكشف مطرداً للصبايا والعجائز بل العجائز عند الأفريج ولا سيما الانكليز يكتشفن ويتفتحن ويعملن اكثر من الصبايا . ثم قلت الدعوات وكثر قلق الفاريق لان من نظر الى سحته مرة لم يرد ان ينظر اليها مرة اخرى . فرأى الرجوع الى كمبريج أوفق . فسافر اليها فوجد القعب قد ربت نحو ثلاثة قراريط . وذلك اما لبعده عهده بها أو لكون زيادة قرصة البرد اوجبت ذلك . وهنا ينبغي ذكر قائدة وهي ان كمبريج واكسفورد لما كانتا مشهورتين بمدارس العلم كما ذكرنا آنفاً وكان جل الطلبة فيها من الأغنياء وفي كل منهما نحو الف طالب . كانت البنات الحسان من قرى الفلاحين المجاورة ينتبن سوق هاتين المدينتين لتزويج ما عندهن من الصبا والجمال . فتري فيهما من الجمال الرائع والحسن الباهر لا تراه في سائر المدن . غير انه لكل ساقطة لاقطة . فلماذا كانت مشايخنا الطلبة ينظرون الى من زاد به عدد أهل البلد نظر الهرة التي يؤخذ منها جراًؤها . فن ثم ترحل الفاريق عن هؤلاء السنانير وهراهم . لاسيما وقد ورد في لامثال اذا دخلت أرض الحصب فهرول واقام في لندن نحو شهر .

وصف لنلدن أو لنلدرة عن الفاريق

ها هي ذات التيه والدلال . الخاطرة على القحول من الرجال . تنظر
اليهم شزرا . وتجر أذيها وشالها جرا . كما قلت من قصيدة
قامت تاجر من الدلال ذبولا . جرا أضاف الى المميد نحولا
وهي لا ترى لها من بينهم كفوا . وتهلس منهم سخرية وهزوا . ألا
خاذ كرى ان بينهم الاقوى الاقدر . الاسرى الايسر . الاسرع الاعسر .
الاقشر الاقشر . الاصرغ الاعصر . الاسرد الادسر . الارشف الاشفر .
الابرز الازبر . الذي اذا ضم زفر . واذا شم نخر . واذا عيج زار . أو غز
بدر . واذا رأى طبلا زمر . أو ذات تدهكر دهشر . اذكرى ان بينهم
عرييا ذا غرام . وهيام وأوام . ومنازلة وبغام . ومداغبة وكهام . وتمشير
وانكاش . واندساس فى الاعشاش . علام تملفك وأنت معرضة كبرا .
ونعدك فتخزين كلامنا هزا . ألم تعلمي انا اليك متوددون . وعلى مثلك
متمودون . كم من صعب رضناه . ومتحكم أرضيناه . وأبي أملناه . وقرم
أشبهناه . وجاع استوقفتاه . وشاك أشكيناه . وعنب أعتبناه . وكم من
معتنة آبت وهي شاكرة . ثم اثنت زائرة . ألا لا يغوينك الشطاط الى
الشطط . والمسين الى الششط . والعيط الى اللقط . وصهوة الشعر .
الى انكار القدر . وتضامج الثنايا . الى ألت المزايا . وتورد الخدين . الى
احتقار اللجين . وتغليك الكعب . الى التيه والعجب . وبضاضة البشرة .
الى اليهم والشره . وفهومة الساعدين . الى عنجرة الشفتين . وجدل
الساقين . الى الاستنكاف من مض لناقد عين . وعميد غين . يكفتها

ويصلوق بهما . أو يمت بهما على زنبعها . ويتره زغبهما عن الحلت والحنف .
والخص والحنف . وعن مس السقف . ألا ولا يضلنك الجاهض من
وراء . الى الازدراء . ولا النافع من امام . الى منع الصحبة والسلام .
ان لدينا من المزد والقفاع . ما يروي كل مقاع . ويسكر كل ذات قناع .
ومن الشواء . ما يزيل الخواء . ومن الدينار . ما ينفث في عقد الازار .
فيجعلها حلا . ويملها بلا . من البلب بلل . ومن الحل حلل . فبحق من
أولئك هذه المحاسن . فتنة كل سامع ومعاين . الا ما أحسنت في عشاقك
الظن وأقالت لهم من هذا التزليق والتفن . فكلهم الى وصالك حن . ومن
صلفك أن . وبعد . فان هي الا مرة . فان أحدث اللقاء فاجملها عادة
وأنت على كل حال حرة ، والا فأكثر طرق هذه المدينة وما أطولها ،
وما أوفر القادمين اليها ، وما أوسع حوائيتها وساحاتها ، وندحاتها وباحاتها
وحدائقها وغياضها ، ومماشيتها ورياضها ، وما أبهج ملاحيتها وملاعبها ،
وأجري عجلائها ومرآكها ، وما أرحب كنائسها ودأ أحفل مجالسها ،
وما أعمر مساكنها ، وأغزر سفائنها ، فاجري فيها حيث تعجبك من هنا
ومن هنا ، كل امرء يسمى ليدرك الهنا ،



الفصل السادس

في محاورة

وبعد ان فرع الفارياني من عمله في هذه المدينة الناصة بالغواني سافر الى باريس فاقام فيها ثلاثة ايام لا تكفى لمعرفة وصفها . فلماذا نضرب هنا عن ذكره فان حق الوصف ان يكون مستوعبا . ثم سافر منها الى مرسيلية ومنها الى الجزيرة . واناح له الله بفضلها العميم ان رأى زوجته في نفس الدار التي غادرها فيها . وقد كان يظن انها طارت مع عقاً مغرباً مع الشنجل وبنى بها هذه المرة السادسة . فان المرة الثانية كانت بعد فدومه من الشام والثالثة بعد رجوعه من تونس والرابعة بعد خروجه من المعتزل مع سامى باشا المقخم والخامسة بعد رجوعها من مصر . ثم اشد

من يرد في زوجة ينكح ازواجا عديدة

فلينب عنها زمانا يلعبها عرسا جديدة

فصالت لكن المرأة لا ترى من زوجها بعد اياه عرسا جديدا . قال فقلت انما هو من محالتهن الرجال في كل شيء . قالت نعم ولولا هذا الخلاف ما حصل الوفاق . قلت كيف يكون عن الخلاف وفاق . قالت كما ان المرأة خلقت مخالفة للرجل في الخلق كذلك كان خلافا لها في الخلق . وكل من هذين المخالفين باعته على شدة السكفها والحرص عليها . الا ترى ان المرأة اذا كانت تعمل كل ما يريد زوجها ان عمله كانت كالآلة بين يديه الا يكثر بها ولا يقبل عليها . لاعتمادها موقوفة على حركة يده او عينه او لسانه ريادة على حركة يده في الآلة . بخلاف ما اذا عرف منها المخالفة والاستبداد امرها فانه يطلق بها ويدارها . قلت هذا غير ما عهد

عند الناس . قالت بل هو معهود عند النساء من القديم . ولذلك تراهن جميعهن متعليات بهذا الحلية . قلت ولكن اذا كثرت الخلاف وطال . اورث التقاطع والملال . قالت ان عيني المرأة لا تبرجان ناظرتين او حقهما ان تكونا ناظرتين الى موضعي القطع والوصل . والا استطال احدهما على الآخر فوقع ما نلت . بل في دوام الوصل ودوام الوقاق . قالت بل هو باعث على السامة والضجر . فان الانسان مطبوع على ذلك . قلت أى سامة من وصل الحبيب . قالت السامة غالبية على الانسان في كل شيء بحيث يود تبديل حالته الحسنى بحالة سوأى . قلت او قد سئمت من حالتك هذه . قالت لم سئمت عن السامة . قلت ما بال الناس كلهم يقولون ياقرة العين . قالت نعم ان العين تقرب شي ريثما ين لها آخر مطرف اليه . قلت وما شأن القلب قالت هو متقلب ومتحيز معها ، قلت فاشأن العميان ، قالت ان لهم في بعضائهم عيوناً أشد حلقمة من العين الباصرة ، قلت من أسرع الناس تقلب قلب ، قالت أكثرهم فكراً فان المعجوات أثبت وأصبر من الناس اذ ليس لها فكر ، قلت فاذا ينشأ عن النفع ضرر ، قالت نعم كما انه ينشأ عن الضرر نفع ، قلت أي نفع في المرض . قالت سكون العقل والنم والتفكير عن الهوى والشهوات . قلت أى نفع في الفقر . قالت الكف عن الشراهة والسرف المهلكين فان الذين يموتون من زيادة الاكل والشرب اكثر من الذين يموتون لعنتها . قلت اى نفع في الزواج بامرأة قديمة . قالت كف رجل جارك عن دارك وصرف عين اميرك عن مراقبة حالك . على انها لا تعدم طالبا مثلها ولكن بعض الشراهن من بعض . قلت اى نفع في دمامة الارلاد . قالت اذا علموا ذلك من انفسهم رغبوا عن الهوى الى العلم واقبلوا على تحسين خلقهم ليشفع في خلقهم . قلت واي نفع من مشيب اعلى الانسان قبل اسفله مع ان شعر الاسفل ينبت قبل شعر الاعلى . قالت اشعاره بان الحيوانات المطلقة اقوى فيه من الحيوانية المقيدة . ولذلك كان اوله

ما يشيب فيه راسه الذى هو محل الناطية . وااقوى ما يحس منه بالذلة
أسفله . قلت وما نتيجة ذلك قالت اقلاله من الفكرة . قلت وما لقائه
فى كونه يعوز الى اوقية من اللحم علا بها وجهه فيجد رطلا فى عجزه .
قالت هو من النوع الاول . قلت كانتك تقولين ان الرجل لم يخلق الا لاجل
المرأة . قالت نعم كما ان المرأة لم تخلق الا للرجل . قلت اى نفع فى
تحت الاسنان . قالت الاكل على هينه فيمرؤ الطعام . قلت اى نفع
فى تميش العينين . قالت عدم رؤية الحسان ليلا فانهم اروع فيه واخف .
قلت اى نفع فى العرج . قالت الراحة من الجرى وراء القرصافة الزقزاقة .
قلت اى نفع فى السدة . قالت الدهول عن العبة . قلت وفى الصمم .
قالت عن الرمم . قلت وفى الجهل . قالت توفر الصحة للبدن والراحة
للبال . فان الجاهل لا يفكر فى الامور الدقيقة المتعبة . فاذا نام اناه النوم
واذا طعم شيئاً امرأه . لا كدالك فى الهيمنة اناه الليل واطراف النهار
تا اسمع منك الا تعديد قوافى . وذ كر نوى واثافى . ودوارس عوافى .
وظمائى خوافى . واذا جلست للطعام اتيت بالكتاب معك فجعلت
الصبة تلو الصبغة . فتا كل لقمة . وتقرأ فقرة . وتكزع من الشراب
كرعة وتتلو أسطورة . ولذلك — قلت قد فهمت من هذا الا اكتفاء عدم
الا اكتفاء . ولكن كثرة القراءة ينشأ عنها كثرة التصور الباعثة على كثرة
التشوه . قالت ولكن كثرة التشوق ينشأ عنها الترويلية او الزمالية
والمتصود الجهادية للحكية . وقد طالما احوج وجود الاولى الى البحث
عن وجود الثانية . ولكن دعنا من هذه الملاحك والمغامس . كيف
وجدت مدينة لندن . قلت رأيت فيها النساء اكثر من الرجال واجمل .
قالت لو ذهبت اليها امرأة لرأت بعكس ذلك فان نساء الانكليز فى هذه
الجزيرة لسن حسانا والحسن كله فى الرجال ، قلت هؤلاء تحبة البلاد انتقمهم
الدولة حسانا ليخيفوا العدو فى الحرب ، قالت بل الامر بالعكس فان الجميل

لا يخيف وان يكن عدوا وانما القبيح هو الذي يخيف ، ألا ترى اهم
يفولون رجل يامل ومتبسل أى شجاع وهو في الاصل الكريه المنتظر ،
قلت وقد قالوا أيضا راعه بمعنى أعجبه وأخافه ، قالت المعنى واحد فانه
ماخوذ من الروع أي القلب فرؤية الجميل تصيب القلب بل وسائر الجوارح
ثم قالت وكيف رأيت دكا كينها واسواقها . قلت اما الدكا كين فلا تنة
من الخبز والحرير والصحف البديعة . قالت هل من هو فيها كما هو فيها .
قلت فيها نساء يرض حسان . قالت انا أسألك عن شيء . وأنت تخبرني
عن غيره . قد عرفت أنك زائع البصر فلن أسألك بعد عن الناس وما
أسأل الا عني . هذه خصلة فيكم معاشر الرجال انكم لا ترون في جنسكم
حسنا . قلت هي مثل خصلتك معاشر النساء في انكن لا ترين في
جنسكن جمالا قد تكافأنا . قالت كيف تكافأنا وبيننا خلاه . قلت كل
أت قريب . قالت وكل قريب أت قلت لا أرضى بهذه الكلية بل قولي
بعض القريب . قالت اذا ساغ البعض لم يفس بالكل . ثم قالت اخبرني
عن الاسواق . فقلت طويلة عريضة واسعة نظيفة كثيرة الأوار بحيث
لا يمكن للرجل ان يتفرد بامرأة أصلا . حتى كان الضباب ينجلي بها في
الليل أيضا . قالت هو من بعض المنافع الضارة . الا ليت لي جدا فانظر
مرة محاسن هذا المصر من قبل ان اقضى . قلت لا تقنط فاني أرجو
أن تسافر اليها جميعاً بعد مدة . قالت حق الله لنا هذه الأمنية . فلما
أمسى المساء وبات كل منهما عملاً بذكر لندن على ما مال اليه خاطره قامت
في الغداة تقول . قد رأيت لندن في المنام واذا برجالها اكثر من نساها .
وطرقها واسعة كما قلت كثيره الأنوار . ولكن يمكن للرجل فيها ان يتفرد
بامرأة . وكأنك انما تقولت هذا لكيلا اسمي فيك الظن . ولكن ما
كنت لاصدقك من بعد أن تحققت انك غير أمين في الروايه الاولى ثم
بعد محاوره طويلة بانما تلك الليلة على اسم لندن . فاصبحت تقول . قد

حلمت اني اشتريت من احسن دكا كيتها ثوب ديباج احمر احمر احمر ، قال انك لا تزالين لاهجة بهذا اللون واهل لندن لا يحبونه لا في الحرير ولا في الادميين . قالت ما سبب ذلك . قلت لان الحمرة في الناس تكون عن كثرة الدم . وكثرة الدم مظنة بكثرة الاكل والشرب . وهي دليل على الرغب والهنم . وانما يحبون اليلقي الامهق . وكذلك العرب يحبون هذا اللون

فقد قال اعظم شعرائهم

كبكر المقانات البياض بصفرة غذاها نعيم الحى غير محلل
فقلت ان كان هذا الاستكراه من طرف الرجال فهو لخشية عزة النساء عليهن باللون الاحمر الدال على القوة والنشاط والاشرب والبيع والكرع . فيومهم ذلك عجزهم عن كفاحهن . وان يكن من النساء وقد نطقن به فما هو الامواربة ومغالطة . فان الانسان بالطبع يحب اللون الاحمر كما يشاهد ذلك في الاطفال . وتأهيك ان الدم الذي هو عنصر الحياة احمر . قال فقلت ولكن خلاصة الدم وصفوته هو في ذلك اللون الذي يرغب فيه اهل لندن . قالت فهذا هو السبب اذا . الآن قد حصص الحق وبان . اما أنا فعلى مذهبي لن أحول عنه . وللناس فيما يمشون مذاهب . فعلت بودى لو كنت احمر احمر احمر حتى تحببني وان كنت احق احق احق قالت وما انتفاعك بالهبة ادا كنت احق . وانما يعود النفع لى في تركك اباى مع الاحمر . قلت اتزعمين ان العلم يمنع المرأة عن اجراء ما تضره وان الحق يمكنها منه . قالت لا والله بل ربما كان في الحق لها أكثر . فان الاحق يلزم امرأته ويظل محملاً فيها والعالم يحملق في كراريسه . وكيفما كان فلم ار اسفه ممن يخرج على امرأته ويلازمها . فان الرجل كلما أعنت المرأة وكنكك عليها بالملازمة والكنسكة زادت هى في تمادياها فلا يرد لها شئ عسا ارادته سوى حشمتها وحيائها . وأكثر الرجال حقاً وسخافة من اذا أوجس من زوجته الميل الى شخص قال لها زهيدا

فيه . ان فلانا متهتك مستهتر فاحش لا يبالي بما يقول ويفعل . فاذا حضر مجلس ذوي الأدب فأول ما يقوه به قوله قد راودت فلانة وخلبتها وفتنتها . وقد عشقتني وعشفتها . كانه أي الزوج يحذرهما من الاسترسال الى هواه مخافة أن تنفضح بين الناس . أو أن يقول لها ان فلانا ورع تقى يتقي مغارة النساء اتقاء الاقاعي . كانه يقول لها انك ان تعرضت له في الهوى جبهك وندمك وفضحك . فقد تقرر في عقول الرجال ان كل أمر من امور الدنيا والآخرة يشين عرض المرأة ويهتك حجابها . مع انه لا شيء يدغدغها مثل سماعها عن رجل انه مسرف مشط في حال من الاحوال بحيث لا يلحقها منه أذى . فهي والحالة هذه تزيد حرصا على قناته لتصرفه عن تلك الحال اليها فيرجع امرأته في محبتها . قال فملت نم ان كيد النساء كان عظيما .



الفصل السابع

في الطباق والتظير

الأنسان كما قالت الفرياقية محبول على السائمة والملل . ومتى ظفر بالفرس . استحوذ عليه الفرس . ومادام الرجل المتزوج حلس بيته ويسمع من زوجته هات واشتري وجدد وأصلح ود لو انه يكون عزبا ولو راهبا في صومعة . فاذا تغرب عنها ورأى الرجال يحشون مع النساء سواء كن حليلات أو خليلات أنف من الصومعة . وهاج به الشوق الى ان يكون له امرأة يماشيها مثل أولئك وان كان مشيهم وقتئذ للحاكم

والنخاصم لدى جناب القاضي . فيذبحني للزوج الملازم لكنه والحالة هذه
أن لا يزال متصورا انه غريب في ارض بعيدة عند أناس يخذعونهم
ويغبنونه ويهيجونه بمراقدهم . أو ان زوجته قد سافرت عنه الى أناس
يعاقرونها المدام . وبرقة دونها على فرش من ريش النعام . وبغازلونها
فتفزلهم . ويباعلونها فتعلمهم . فاذا فعل ذلك هانت عليه نفقات هات
واشتر . وهذا جدول عن القاريق بين فيه الاحول التي يقول فيها المتزوج
يأليت ما عندي امرأة ويأليت عندي امرأة

اذا تزيّرت وتزيّرجت وتزلقت اذا سار وحده الى المثابة والمحافل
وتزيّرجت وتعطرت وتبغجت وقالت والمحاشد والملاهي والمراقص
له قم بنا الى اثابة والمحافل ورأى النساء فيها متزيّرات
والمحاشد والملاهي والمراقص . متزيّرات الخ .

اذا خرج منها وقد نجت صدرها اذا سار وحده ورأى من قد نجت
واحكت مرفدها ثم طفت تبازي صدرها واحكت مرفدها ثم غدت
وتوكوك ويميس وتزوزك ويميل تبازي وتوكوك الخ .
عنقها ورأسها .

اذا مشى معها فرات نقطة ماء في اذا مشى وحده فرأى من شممت
الطريق فشمرت عن ساقها عن ساقها عند رؤيتها نقطة ماء
لتبدو حماها . في الطريق الخ .

اذا سار معها في يوم ذي ريح اذا سار وحده في يوم ذي ريح
وعمدت الى كشف الثوب عن وابصر من عمدت الى كشف الثوب
صدرها وعجزها . عن صدرها .

اذا جعلت دابها ان توقع منديلها اذا سار وحده فرأى من تكب
او تربط شرارك لمليها ثم تكب لتربط شرارك لمليها او تلتقط
فتبدي عجزتها . منديلها فتبدي عجزتها .

إذا جعلت شيئاً في فها فلوكة وهي ماشية
ماشية توهم من يعجبها من الفتیان
انها تشير بقبلة وإذا غمزت أحدا
ودمرت ولزت .

إذا صادفت رجلاً من معارفها في
الطريق فطفقت تماثية على طول
غيابه عنها ثم أمسكت يده وغمزتها
غمزاً شديداً .

إذا لقيت امرأة في الطريق عليها
ديباج نفيس فجعلت تسألها عن
سعره وعن يمينه .

إذا صادفت أحداً في الطريق
فاشارت إليه ان اتبعنا فاخذ يمشي
عن يمينها فحولت وجهها عن زوجها
وجعلت جل الكلام مع الزبون .
إذا رجعا الى البيت وصرحت له
او عرضت بشراء الديباج ولم يكن
عنده دراهم تكفي .

إذا قالت له وهما على المائدة
تفصصة، اأحمل فلانة الذي ماشانا
وما الطعمه وابره واتره واطره واحره
وادره .

إذا بات تلك الليلة وهو نوب موجه
الرأس حتى إذا اغفى قليلاً أحس

إذا ابصر من تلوك شيئاً وهي ماشية
وحسب ذلك إشارة اليه بقبلة ثم
غدت تغمز وترمز وتلمز وتابز وتنفز
وتنفز .

إذا رأى امرأة ماتت رجلاً على طول
غيابه عنها ثم أخذت يده وغمزتها
غمزاً شديداً حتى أحمر الفامز واصفر
المغموز او بالعكس .

إذا لمي امرأتين تمس أحدهما
الأخرى وتلك الموسسة تشير بيدها
اللطيفة الى مكان .

إذا وجد رجلاً بين امرأتين او
امراً بين رجلين ففي الحالة الأولى
طلباً للمرازمة وفي الثانية ثقة بالكفاية
لان طعام اثنين يشبع ثلاثة .

إذا رجع الى البيت ورأى ان عنده
مالاً وليس من تلبس الديباج
وتجلس الى جانبه .

إذا جلس للطعام وحده وجعل يفكر
ويعول في نفسه ما أجمل فلانة
التي رايتها تمشي مع فلان وما
الطفاها واترها واطرها وادرها .

إذا بات تلك الليلة وهو مستريح
ناشط ثم أحس بحركة منه فد

بمركبة منها في جنبه فقصي دينه يده فجأت على الحائط أو على مسار
منكارها . أو وتد فدميت .

إذا سكن منزلا وكان جاره الأدنى إذا سكن منزلا وكانت جارته فتاة
منه فتي جميلا فجعل يتردد عليه جميلة ولم يمكن له أن يموت إليها
بعلة الجارية بوسيلة الجارية

إذا مرض ولزم فراشه وهو يشكو إذا رأى جاره مريضا في الفراش
وبين فلزمت هي الشباك وهي يشكو وبين زوجته بجنية نحن
نمكو ونحن . ونحن .

إذا جاء وقت الصيف ففتر وفدر إذا جاء وقت الشتاء فاشتد واستد
وجفر وحصر واسترخت عروقه فآثر وامتد واحد ونبضت عروقه فآثران
أن يبيت وحده . يبيت مع من تنفخ في وجهه

إذا عن له سفر لا بد منه ولم يمكن إذا رأى جاره قد سافر وترك زوجته
له مصاحبة زوجته . خبئة طلمة راغبة ثاغية .

إذا غاب عن زوجته ما غابت هي إذا غاب رجل عن زوجته أو غابت
عنه فجعلت تكتب له ما تغيره هي عنه فجعلت تكتب له ما
تصيره به وتسليه وتمنيه . به وتكيدته وقهره .

إذا قرأ في الكتب أن النساء كلهن إذا سمع عن امرأة أنها لم تكن
خائنات وإن عقولهن في زوجها وإنها ردت في حبه هدايا
فروجهن . عشاق كثيرين .

إذا ربه الصفف فلم تقدر على كفاية إذا رأى امرأة جميلة بمأشى ولدا
عائلته ولم تكن امراته جميلة لها صغيرا زيماً فيقع في الأرض فتتمضه
لتنفعه . بيدها فيبكي قليلا حتى يحمر خداه .

إذا جاء من محترفه وقابلته امراته إذا رأى جاره قد آب من محترفه

بالصخب والمشاوزة والتتار فسمع له وزوجته رتلا وزجلا ومسا
والضجيج والجوار . وركزا ومباغمة ثم رثا .

إذا غاب عن يثته ورجع فوجد فراشه إذا رجع الى يثته فائز ابوطر ووجد فرشه
مشوشا وشعر امراته مشعنا بهدان موضوعا وليس من تملأه شعجا والحام
كانت اصلحتهما قبل خروجه . رأى في جملة ذخائره خصلة شعر .
إذا رآها تسار الخادم أو الخادمة إذا رأى امرأة لانسار الخادم ولا
ونالس بهما وتستاهل معهما الخادمة ولا تبسم لهما ولا تخلو
وتحسن اليهما . باحد منهما .

إذا رآها تقوقف في المشي كلما إذا رأى امرأة تأنى زوجها وطرفها
مرها جميل بدعوى ضيق لعلها اليه ولا يزعجها من يمر بها كأنها
أو غيره . ما كان .

إذا اضطجعت حتى ينظرها من إذا رأى امرأة قد اضطرت الى
هو اعلى منها أو اسفل واشوق ما الاضطجاع وابت ذلك حياء وحشمة
تكون المرأة ما اذا اضطجعت سواء كان ذلك في حضور زوجها
على جنبها . أو في غيابه .

إذا كنت ذات هوى وضلع مع إذا كانت المرأة غير ذات ميل
جيل بخصوص ولا تزال تلهج وحنن مع احد وعندها ان زوجها
بذكره . يغنيها عن غيره .

إذا غاب عن يثته ثم رجع فلم يجد إذا رأى جاره كلما رجع الى منزله
امراته أو اذا قرع لباب فلم تفتح وجد امراته متبلة على الشغل ولا يكاد
له في الحال . يطرق الباب الا ويفتح له .

إذا سمعت الات الطرب فعدت إذا سمع امرأة تنول وقد سمعت
تترنح وتترقص وقول آه الات الطرب ان صوت ابها الصغير
أوه . اشجى منها .

إذا كنت تسهب مع الفتیان فی اذا رأى امرأة تكلم الحاضرين كلام
الكلام وتضحك معهم حتى تقول بحسب مقامه ولا يسمع منها طيخ
طيخ طيخ وغيثها اذا الشماز لثان طيخ ولا يدو فی سحتها احمرار
ووجنتها محمرتان . ولا اصفرار .

إذا كتبت على قميصها حروفاً انكرها اذا سمع ان امرأة تكتب على قميصها
أو رأى فی شفتيها أثر المض اسم زوجها ولم يرفى شفتيها أو خديها
والكلام . أُرما قط

إذا سمعها تذكر اسماء رجال في المنام اذا بلغه ان جاره يكاعم امرأته
أو اذا نحالت فذكرت ما كان ويشاعرها فلا تعلم له ولا يعلم
يعجبه ويرضيه . لها .

إذا رآها تكره ولها وتلهى عنه وعن اذا رأى امرأة تحب ولها وتحمله
امور البيت بزيتها وتبرجها . ولا تلهى عنه ولا عن بيتها .
إذا قعدت بالشباك لتخيط شيئاً اذا رأى امرأة تخيط زوجها أو ولدها
فجعلت تدرز درزة وتنظر منه نظرة شيئاً من غير أن تتخلل الدرزات
حتى جاء عملها فاسد أفاضطرت الى نظرات وزفرات جاء عملها محكما
فتضه واصلاحه . من أول وهلة .

إذا وضعت القدر على النار لطيخ اذا رأى امرأة تضع القدر على النار
شيئاً ثم شرعت في الفناء حتى نهرس وتلهى عنها فيأتي الطعام
فنسيت القدر والطبيخ قدما مشيا معينا على الباء
فتشيط . والرقاد .

إذا تمنيت أن تكون في الموضع اذا كانت تتعمد عن اللطابة ولا
التي يكثر فيها تردد الرجال كفتندق تشتهي أن تدخل في زحام ليقصرها
وخان ونحوهما . واحد ويضمزها آخر .

إذا كانت تصرح أو تعرض لزوجها اذا كانت المرأة تقول أمام زوجها

بلغها لجنابه . فلم يشعر بعد إيلام الا وربان سفينة حربية بطرق بابيه .
فلما دخل واستقر به المجلس قال للقاريق قد بلغت قصبتك لجناب
سيدنا الاكرم . وقد أمرني ان احملك اليه في البارجة . فلما سمع ذلك
استبشر بالفرج من حرفته وقال لعمري ما كنت أحسب ان الدهر ترك
للسعر سوقا ينفق فيه . ولكن اذا أراد الله بعبد خيراً لم يعفه عنه الشعر
ولا غيره . الا فهزقي يا قارية الهزاق . واسلني فايضري اليوم اسلاق .
وتسجي ما اسطعت أن تنسجي . وضرجي وضمجي ودبجي . هذا يوم
يمبق فيه المكتفن . ويشبق فيه من وهن . ويشمق منه ذو الدن .
ويغاز بالدن . هذا يوم تستحسن فيه الربوخ . ويلمع فيه من به
ملوخ . وتثم الجلهوب والسلمق . ونجب الشريم ثم العفلق . هلمى
فانخذى مذي اليوم ظلياً . قاي أرى في الزند ايرا . فقال الربان وقد
استجم عليه الكلام ما هذه اللغة التي تحكمون بها لعمري الله ما فهمت
شيئاً مما قلتم . أهذا اللسان تحمل في رأسك الى تونس . وبهذه الالفاظ
تخاطب سيدنا وأهل الفضل من رجال دولته . قال لا وانما هذه لغة
اصطلحنا عليها فلا تستعملها الا نادرا . فقال الربان ينبغي ان تاهب
الى السفر ولا ان تستصحب أيضاً عائلتك اذا شئت . فان سيدنا أكرم
الناس لا يسوءه ذلك . فتاهب القاريق هو وعائلته وركبوا في السفينة
وبعد مسير اثني عشر يوماً والريح مخالفة كما جرت العادة بذلك بلغوا حلق
الواد . فامر المولى المشار اليه بنزولهم في دار أمير البحر . وهنا ينبغي أن
نلاحظ مزية الكرم الي خص الله تعالى بها جيل العرب دون سائر
الاجيال . وذلك ان استدعاء المولى الموما اليه لم يكن لجميع من دب
ودرج بمنزل القاريق بل كان خاصا به وحده . الا أنه لما بلغ مسامحه
الكريمة قدوم مادحه بأهله لم يستأ من ذلك ولم يصل ما أقل أدب هذا المدعو
وما أصفق وجهه لقدومه علينا مزوايا . ولم يقل لربانه قد خالفت القوانين

السياسية والاوامر الملوكية فلتنزعن عن كتفك هدايا منصبك حتى تكون
 عيرة لمن اعتبر . بل بقي الربان متشرقا بهدايه . والقاريق متمتعا بأهدابه .
 وبوى . أكرم متبوا في دار أمير البحر واجرى عليه الرزق الكريم . واخير
 العميم . ولو ان أحد أعيان الإذنه دعاء شخشا وأتاه ذلك الشخص ومعه
 غير نفسه لجبهه عند اللقاء بل لم يكن ليلاها قط . لا بل لتساوئن لما كن يدعون
 القاريقية كن يتلن لها انك أنت المدعوة فقط . اشارة الى عدم ازواجها بخادماتها
 وطفلها . وليت شعري اين من تكرم من ملوكهم بارسال بارجة لاستحضار
 شاعر ولغمه اياه بالمال والهدايا النفيسة . فلممرى ان مادم ملوكهم لا
 جائزة له من عندهم غير تسفيهه وتنقيده . مع انهم اشد الخلق حرصا على
 ان يشكروهم الناس ويمدحهم . ولكمهم يفتنون من ان يمدحهم شاعر
 يريد نواهم . فلمن هذا المال الذي يدخرونه . ولاية داهية من الدواهي
 يعتدونه . وهم الطاعمون الكاسون . الخاسون اللاسون . ام يحشون ان
 لم بهم ضفف او قشف . ام يحسبون ان صلة الشاعر من السرف . ولهذا
 اى لكون الكرم مرة خاصة بالعرب لم ينبغ في امة من الامم شعراء
 مجيدون مفلعون كشمراءم على اختلاف الامكنة والازمنة . وذلك من
 زمن الجاهلية الى انتراض الخلفاء والدولة العربية . فان اليونانين يفتخرون
 بشاعر واحد وهو اوميرس والرومانين بفرجيل والاطليانيين بطاسو
 وانمساويين بشار والقرنيسيس براسين وهولير والانكليز بشكسبير وملطون
 ويرون . فأما شعراء العرب الميززون على جميع هؤلاء فأكثر من ان يعدوا .
 بل ربما كان ينبغ في عهد واحد في زمن الخلفاء ما لنا شاعر كلهم بارع قائق .
 وذلك لان اللهى كما قيل تفتح الله . على انه لا مناسبة بين الشعر العربي
 وشعرهم . لانهم لا يلتزمون فيه الروى والقافية وليس عندهم قصيدة
 واحدة على قافية واحدة ولا محسنات بدئية مع كثرة الضرورات التى يحشون
 بها كلامهم . فنظمهم في الحقيقة اقل كلفة من ثرنا المسجع . وما احد من

شعراء الافرنج استحق ان يكون نديما للملك . فناية ما يصلون اليه من السعادة والحظوة عند ملوكهم انما هو ان يرخص لهم في انشاد شعرهم في بعض الملاهي . فأي هوان يلحق جنتاب الملك العظيم من المخاذه الشاعر تديما وكليما . ام يقال ان شعراء الافرنج كثيرون بحيث لا يمكن للملك ان يختارا واحد منهم على غيره . اروي اين هم هؤلاء السكثيرون على خزيمه السعيدة . كم في بلاد الانكليز الان من نثر . وكم في بلاد فرنسا من ناظم . وهما ينبغي ايضا ان اضيف ملاحظة اخرى فاقول . انه قلما ينبغ شاعر عربي او دجمي وبمعجب الناس جميعا . فان من الشعراء من يحب الكلام الجزل الفخم دون ابتكار المعنى . وبعضهم يعنى بالمعاني دون الالفاظ . وبعضهم يصحى اللفظ الرقيق والعبارات المنسجمة . وبعضهم الغزل وغير ذلك . ولا تكاد تجمع هذه المزايا كلها في شاعر واحد او تجتمع عليها اخلاق الناس كلهم . فان من كان من بني نظري ذب الربا شحا لحما مخضعا متعصدا زر النساء وخليهن وشيعهن ونسأهن وحدثن وطالحن ولبهن وحدثن وعلهن ورونهن وحرقتوصهن (١) فاقحا ايهن حيث سرن . وكالزا لمن ايان برزن . لايهمه الحاسة ولا منازلة الاقران . فعنده ان قول امره القديس

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق ونحني شقها لم تحول
أحسن من قول عنزة

فطمنته بالرمح ثم علوته . بعند صافي الجديدة مخذم
ومن يكن عروا او عزها او حصورا أو عتولا مقطعا أو متأبدا أو عنكشا
عتيلا أو صيقا صمككا كيكا ليس به حمضة الى العبرة العجوة . والعياذ
بالله من ذلك . صرف ذهه الى الزهديات والحكيات . انتهى

(١) الحرقوص بالضم دويبة كاليرغوث حمتها حكمة الزنبور أو القراد
تلتصق بالناس او اصغر من الجمل تنب الاساقى وتدخل في فروج الجوارى .

ثم ان الفاريابي انتقل الى المدينة وهناك تعرف بمجموعة من أهل الفضل والادب . منهم من أدبه ومنهم من أترفه . وهناك حظي بتقبيل يد المولى المعظم ونال منه الصلوات الوافرة . وسأله وزير الدولة هل تعرف اللغة الفونساوية . قال لا ياسيدي ما عنتيت بها . فاني ما كدت أعلم لسان الانكليز حتى نسيت من لغتي قدر ما تعلمته منه . فقد قدر على رأسي أن يسع قدرا معلوما من العلم متى زاد من جهة نقص من أخرى . فلما اخبر زوجته بذلك قالت له . ألم أقل لك غير مرة عد عن الغزل بالنساء وتعلم هذه اللغة المفيدة وما كنت لترعوى عن هواك . ماذا تريد من الغزل وعندك زافنة . قال فقلت نعم ورافنة . ثم قالت ماذا يفيدك وصف العين بالخور . ولست منهن تقضي الدهر من وطر . اليس وراءك منى رقيب قريب . قلت بلى والله اني ما خلوت قط بامرأة في الحظ إلا ورأيتك وراءها حتى كثيراً ما شاهدتك تمزقين ثوبها وتنتفين شعرها ثم تتبوا بن مكاسها وترسلينها فارغة . فقالت الحمد لله على أن التي رعبني في قلبك في اليقظة والنام . قلت قد بدأ لي أن أنتقل من التغزل بالنساء الى هجوهن فمسي أن أنتقل بذلك الى حال أحسن . قالت افعل ما بدا لك ولكن اياك من ان تدخلني في الجملة . ولكن قف قف لا تذكر النساء لاني انسيب ولا في المعجاء . فانك اول ما تذكر اسمهن يدور رأسك وينبض فيك العرق العديم . كلا ثم كلا . قلت ولكن في مدح سيدنا الامير قد ذكرت اسم امرأة . فقالت وقد اتقنت عينها من الغيظ من هذه الفاعلة الصابغة . قلت هو اسم عربي . قالت آه هو من ضلالك القديم . ولو كان اسماً عجمياً لامت الآن واحرقت ديوانك هذا الذي هو علي اشد من الضرة لانك تصرف فيه نصف الليالي . فقلت لكن هذا النصف ليس بمانع من كله . قالت لكن ذاك الكل حق لي وضعتني مثله . قلت صدقت ما خلق الليل الا للنساء وما خلفن هن الا الليل . قالت سامت بالاولى واسلم بالثانية . فان النساء خلفن للنهار

ايضا . قلت نعم ولكل ساعة منه وليس للرجل هم في الدنيا غير امراته .
 قالت الاولى ان تقول اهتمام . قلت في كل اهتمام هم . قالت هذا عند الرجال
 من فشلهم وليس كذلك عند النساء . قالت هو من خفة عقولهن وقلة
 نهمن فان اللذة تذهلن عن الدين والدنيا معا . قالت بل هن يجمعن بين
 الثلاثة في مكان واحد وآن واحد . واما أنتم فتى كلتم بواحدة منها اغفلتم
 الاخرى . وهذه من المزايا . التي مرانا بها الباري تعالى عليكم . الا ترى
 ان المرأة اذا سمعت مثلاً خطيباً جميلاً يخطب في الناس ويزهدهم في الدنيا
 تلهذت بكلامه وشغفت حباً بحمالة وبكت زهداً في العالم . قلت بودي لو
 كانت النساء يخطبن على المنابر كالرجال . قالت اذا لا يكينهم دما . ولكن
 هيئات فان الرجال من أثرهم استبدوا بجميع الامور المعاشية والمعادية
 ومرتبات المزايا والجاه . وحرّموا النساء من أن يشاركنهم فيها . فما كان
 أبهج الكون وأعمره لو كانت النساء تحولى هذه الرتب وكما ان الدنيا مؤنثة
 وكذا السماء والارض والجنة والحياة والروح والنفس والنبوة والرسالة
 والسعادة والحظوة والغبطة والعزة والنعمة والرفاهية والابهة والعظمة
 والخطابة والفصاحة والبلاغة والسباحة والشجاعة والفضيلة والبروة والحفيظة
 والملة والشريعة والايالة والولاية والزعامة والرئاسة والسياسة والتفابة
 والكتابة والعرافة والامارة والخلافة والوزارة والمملكة والسلطنة . واخص
 ذلك المحبة واللاذة والشهوة . فما كان أجدرها أن تشرف بالنساء . قلت قد
 نسبت العفة والحصانة . قالت لم يخطر لي ببال والا لذكرتها . قلت ولكن
 البعالم مذكر . قالت أين أنت من المبالغة . قلت والمكهمكة . قالت وما
 المكهمكة . قلت مصاعف هك هك أي هني هني أي طحز طحز أي فعل
 فعل . قالت هي أحسن مما تقدم . قلت فقولي اذا اخيراً والا فهو كفر
 وبجح . قالت على النساء لا حرج فان منهن الفرج . قلت نعم الفرج اذا
 أبصرن ذا فرج . قالت والارج . قلت والمرج . قالت وهن أحق بذى

برج . قلت وبعن نرج . قالت الجمع بينهما بلج . قلت والثاني عند تعذر
الاول هو الافلج . قالت وبه اللسان ألمج . ثم عزا على الرجوع فسفرهم
المولى المشار اليه في سفينة النار



الفصل التاسع

في الهيئة والاشكال

وبعد ان وصل القاريق الى منزله جاءه بهض معارفه وسأله عن سنده .
فاسر اليه وعينه ناظرة الى باب غرفة زوجته ان نساء اليهود في تونس ما
زلن حسانا . وانه ان يكون قد انزل بهذا الجيل مسخ كما تزعم النصارى
فانه انما نزل بالرجال فقط . فحالت امراته من ورآ الباب قد سمعت
ما تقول بل المسخ وقع على النساء . قال حيث قد سمعت نجوا ولا
يخفى عليك منى خافية فضمي نفسك اليها لتخوض في هذا الحديث
المستحب . قالت اجل انه ما يخفى عن اذني هممة . ولا عن عيني
سمسة . ثم انها تصدرت في المجلس وقالت . قد اعجبني من زى الرجل
في تونس ان سراويلهم قصيرة بحيث تظهر سيقانهم . قال قلت بل زى
النساء اعجب واسوق . فان الرجال قد يكسون سيقانهم من الجوارب
ما يغطيها ومع ذلك لسراويل تخفى خصورهم وما يليها . فاما النساء
فسوقهن نادية ولا شيء يستر حمائهن . فترى المرأة تمشي في أوان الحر
وثوبها يشف عما تحته من مكعب ومقعب . ومقعب ومقوب . ومكعب
ومكعب . فقالت بودى لو كان زى النساء كههيئة اجسامهن . قلت هذا

يكون قاحشا من وجيعين . لان المتزنية به ان كانت ركراكة عندلة لما كانت فدة للنساء وعطلت عباد الله عن اعمالهم . وان كانت دروحة او رسحاء كانت وباء على الناس واحجرتهم في بيوتهم تطيرا منها . قالت ما سبب كون الرجال في هذا البلد يتزنون بزي كهيفة اجسامهم ولا لوم عليهم ولا محذور من رؤيتهم . افكل ما تقمله الرجال يسوغ وما تقمله النساء يغص به . لعمري ان هذا الزى احسن من زى رجال بلادنا . فانك ترى من له سراويل منهم يمشي ويفجج كالشاة للحلب . وكثيرا ما تلفظ عليه من قدام ومن خلف فتعوقه عن المشي فضلا عن الجري . ولو انه كان مثلا في محترقه وقال له قائل قد زارك اليوم في معرك فتى غساني فهد . ولما لم يجدهك لبث ينتظرك وما هو الآن هناك . وقد احتفلات به زوجتك وهشت اليه وبشت وهي التي تبطلته وأمرت الخادمة بان تمرض أو تمارض حتى تنفى عنك الشبهة . اذ لو بعثها اليك وخلالها المكان لرابك أمرها واعتقدت ان زيارته لها اما كانت عن موعد وانها هي المقصود بهذه الزيارة لا التشوق الى رؤية سحتك . وغير ذلك من الكلام الذي يفور به الدم وينتخ منه الحلاق . فكيف يمكن له والحاله هذه أن يحفد الى منزله وبين فخذه ما يذهب به هنا وهناك . ثم ضحكت وقالت نعم ورى منهم من له جبة يمشي ويكذس الارض اذ يالها فيلصق بها كل ما في الارض من النجاسة والعذر . حتى اذا وافى بيته ملاء بالرائحة الخبيثة فعلق بزوجه منها ما يرد الطرف عنها وان كانت عبقة . لأن الرائحة الخبيثة تغلب على الرائحة الطيبة كما يقال . وفضلا عن ذلك فان جبة واحدة يعمل منها كثير من هذه التي تلبسها الافرنج الى خصورهم . وليس للرجل اذا لبسها من هيئة ولاشارة فانها تخفى قوامه كله فلا يرى له خصر ولا غيره . وما خلق الله الانسان على هذه الصورة الا وأراد أن تكون ظاهرة كما هي . قلت قد رأيت الافرنج في بلادهم صيفا وشتا فاذا هم يسترون أدبارهم بهذه الجلب المزنة . ولا

يمشي أحد منهم في الخارج ظاهر الدبر كما يمشي هؤلاء القوم القليلو الحياة في هذه الجزيرة . قالت والبطون والافخاذ . قلت ظاهرة . قالت قدشفع هذا في ذلك فلما سترهما معاً فشنيع . لعمري ان الناس لم يهتدوا الى الآن الى زي حسن يوافق هيئة الجسم ويلتئم للعمل وبه شارة . فان هذه البرنيطة لا تمسجني وليست ملائمة للوجه لا في النساء ولا في الرجل . لانها أشبه بالفعة أو الزنبيل أو القرمالة أو السلة أو العيبة أو العكم أو المرجونة أو الجواق أو الحربة أو اللبيد أو المرجة أو الففر أو الجف أو الفعة أو الجملة أو القشع أو المدارة أو القلع أو الكنف أو القنيم أو الحرف أو القنع أو الزكية أو الجواه أو القوصرة أو القود أو التليسة أو الوفيعه أو الجلف أو الخصيفة أو الدوخلة أو السفط أو الحفص أو الميضة او الصنوت . وهذه العائم دونها في القبح . وهذه الحبر التي تلبسها نساء مصر لا حسن فيها فضلاً عن غلاظتها . وأقبح من ذلك كله هذا الحزام الذي تتحزم به الرجال فانه يملأ الصدر والصدر ويمنع الطعام عن الحضم . وأقبح منه هذا السربط الذي يربطون به سراويلاتهم من تحت ركبهم فانه يوقف الدم عن سريانه في الارجل . وليس في زي نساء الافرنج حسن الا كونه ملائماً للمرافد . وقد طامات مشغولة البال بهذا وحاولت أن أخترع زياً يكون فيه حسن وتشويق وخفة وطلاوة وجلالة مع موافقة هيئة الجسم ما أمكن فلم يفتح الله علي الى الآن . وعسى أن يتجه لي ذلك عن قريب فاكون معدودة من حملة المستبطين في هذا العصر . قلت وهل لم يخطر ببالك الاقتصاد قط في استنباطك . قالت لا فان خبر المال ما أتفق على المرأة . قلت بل على هذه الحراة وأشرت الى سهوة الكتب . قالت أو تهاق الكتاب في ليك وتشاعره . قلت ان الرجل حين يشاعر زوجته يلا لا تكون متزينة باللباس والحلي بل تكون عريانة عند قوم . ورجا أو متفضلة أو هلا عند آخرين . فيصدق عليها ما قيل شعر

يتفخل الانسان جل بهاره حتى يفوز بغادة في ليله
 فاذا استقرا في الفراش بدت له جهواه مثل التيس تحت ذيله
 قالت بل في تريح المرأة وزينتها نهارة لشويق وتيسج لزوجها ليلا .
 قلت نعم ولجارها أيضاً . قالت بل ولنفسها كذلك . قلت ما فهمت هذا
 المعنى البديع هل المرأة اذا نظرت الى زينتها تكرع . قالت لا شك فان
 الزينة حسن وكل حسن قائم بذكر بالحسن . حتى لو نظرت جواداً مطمها
 أو متاعاً نفيساً أو شيئاً آخر من زينة السماوات والارض لكان أول ما
 يخطر ببالها شخصها متصفاً بالجمال . قلت فهو اذا تصور مطلق غير معين .
 قالت ان كان الاشوق في العيان . فهو الاسبق الى الاذهان . والا قاي
 كائن كان . قلت وعلى فرض حضور الزوج وشرط كونه عليه مسحة من
 الجمال . فهل له خطوط بالبال . قالت اذا وفق الى التعلق والتعريب فقد
 يخطر ولكن لا بالصفة العينية بل بالصفة المطلقة . قلت قد لحت الى هذا
 المعنى سابقاً وفهمته حق فهمه . ولكن اسألك سؤال متحر غير ذي
 ضلع ولا صفا . هلا يجب على المرأة أن تدم زوجها في الذكر والتصور
 من حيث ان له الزينة والفقية . وحاله كونه شيخها وأباها وخليطها ونهاها
 وكميمها وكفيعها وضجيعها وعقيدها وعبيدها واكيلها وشريها وجليسها
 وسميحها وخليفها وعشيرها واليفها ونحيها وضمينها ووليها وكفيلها وكليمها
 وعنيقها وندبها وخليطها وعميلها وشريكها وخليطها . قالت نعم ورفيقها
 وسبيبها وشقيها وعقيها وغضيبها وكليها ولبيها ووثيقها وفحيصها
 وخصمها ولزيمها وزعيمها ونبيزها ولقيسها وفقيسها وققيسها وجاسوسها
 وعاسوسها وجاروسها وناقوسها وقانوسها وكابوسها وناطورها وناقورها .
 قلت قد قال مولانا صاحب القاموس دل المرأة ودلالها تدلها على زوجها
 بربه جرأة عليه في تنج وتشكل كأنها تحالعه وما بها خلاف . وقد أيضاً
 تبملت المرأة اطاعت بعلمها أو ترينت له . وفي موضع آخر تقيأت تعرضت
 لعلها والقت نفسها عليه (انتهى)

فهذا دليل على ان حركات المرأة كلها ينبغي أن يكون مقصوداً بها
 الزوج لا غير . قالت لا غرو أن يكون صاحبك قد قيد هذه الحركات
 بالزواج تفردا بها من عنده . أو انه تابع بعض أهل اللغة المشفقين على
 ذلك . فان الرجال دأبهم ان يدعوا ان المرأة لم تخلق الا لأرضاء زوجها
 وتمليه وتعليقه . وان اللغة اما وضعوها استبداداً منهم على النساء واقتنائاً
 كما هو دأبهم في غير ذلك . مع ان اللغة اثنى ولو كانت من وضع النساء
 وهو الاولى اذ كل انتاج ووضع لا بد له من ماهية اشوية لكن وضع
 الفاظ تدل على من لا يفكر في غير امراته . زعلى قصر طرف الرجل
 عن النظر الى سواها . وعلى مرضه لمرضها وزحيره لزحيرها . وعلى الباسه
 اياها وضوحها من ثيابها . وعلى تمشيطه شعرها واحراز مرأته للنظر اليها
 اذا غاب عنها ساعة ما . وعلى بذل جميع ما تحت يده لرضاها . وعلى
 من يرى زوجته أحسن النساء . ومن يزد حبه لها بازدياد رؤيته لغيرها .
 أو على من يغمض عينيه اذا تعرضت له اخرى أو يغشى عليه أو يكب
 على وجهه أو يأخذه الدوار أو الهيمضة . وعلى من يتخذ صورتها فيم بها
 حيطانه وكتبه ومتاعه . فتكون مرة قائمة ومرة مضطجعة ومرة مستلقية
 واخرى مكبة . وبعد فقد تركنا لكم اللغة تنصرفون فيها كيفما شتم فلم
 لا تتركوا لنا خوطراناً وأفكارنا وهي ليست من الحركة ولا السكون .
 فأما دعواك بالمرية والعفة فاني اخبرك خبر من لا يجمع عليك رثاء أو
 حياء . انه لا مزية للرجل على المرأة في شيء . اذ ليس من قية للرجل
 الا للمرأة مثلاً . فأما كفالاته اياها فينبغي أن أقول لك هنا دقيقة قل
 من تنبه لها . وهي انه قد يجتمع مثلاً شخصان في شركة أو دعوة أو
 زواج ويكون قد تفرق في بال أحدهما ان له منة على صاحبه . وذلك
 المعلنون عليه يعتقد باطناً وظاهراً انه مظلوم . مثال الزواج ما اذا كانت
 البنت قبل زواجها تهوى شاباً ولم يمكنها أن تزوح به فزوجت آخر .

قرأت من أفعاله وأطواره ما أنكرته . فيخطر ببالها ذلك الذي قاتها فتقول في نفسها لعله كان مستثنى من هذه الاخلاق . فلو انى تزوجت به لكنت الآن في أهنأ عيش . وزجها يظن اذ ذاك انه أسدى إليها منة عظيمة بكونه تزوجها بعد أن قاتها خليلها الاول . فكان ينبغي للرجال والنساء أن يعمنوا النظر في أحوال الزواج قبل أن يرتبوا فيه . وعلى الرجل أن لا يزوج من كانت تهوى آخر قبله . وعلى المرأة أن لا تزوج بمن كان يعاف الزواج خوف الانفاق والإملاق . أو من كان يهوى أخرى وهو عرب . ومثال الشركة ما اذا كان احد الشريكين هو الذي قدم رأس المال من عنده والى عبء المصلحة على رفيقه . فكل منهما يحسب انه ذومنة على شريكه . ومثال الدعوة ما اذا دعاك أحد الى الفداء في المصر وكانت عادتك أن تتفقد في الظاهر . أو اذا قدم لك من الطعام ما تعافه . فقد ركزى طبع كل انسان أن يحسب ما يستحسنه هو حسنا عند غيره . أو اذا تكرم عليك رقت الغداء بفديرة وكسيرة وجريعة غير عالم ان المأدوب يكبره صدده عند الأدب وتتسع أمعاؤه . أو اذا دعاك الى منزله وكان بعيداً عن المدينة فلزمك أن تكثري مركبا بما يساوي غداثين وعشائين عنده . أو اذا كنت مثلاً عند أحد أكابر الأفرنج لمصلحة له وعلم انه قد مضى عليك عدة ساعات من غير أكل فأمر خادمه بان يقدم لك لينة من الخبز ومن هذا الجبن الاخفى . وبك اذ ذاك قرم الى أكل دماغه . فأيكما والحالة هذه الممتن والممتن عليه . أو أن يكون أحد في خدمة أمير فالتحذوم يعتقد أن خادمه ممنون له لكونه يأخذ ماله . والتحامد يرى ان مخدومه هو الممنون لكونه يأخذ منه شبايه وصحته . أو أن يكون احد قد زار صديقاً له ليسامره وبالمزورهم وقلق . فكل من الزائر والمزور يحسب انه متفضل على صاحبه وقس على ذلك المعلم والمتعلم والمادح والممدوح والمغنى والمغنى له . فن ثم لا ينبغي للرجل أن يحسب أن مجرد اطعامه المرأة

والباسه ايها منة منه عليها . فان حقوق المرأة أكثر ان من تذكر . قلت قد
لحنت ذلك على طوله وعرضه فقولى لى أي الرجال أحب الى النساء .
قالت ان أقل لك تعربد . قلت قولى لا بأس فأنما هو بساط حديث
نشر فلا يطوى حتى نصل الى آخره . قالت يوم النشر اذاً . فاعلم ان
الكاعب من النساء تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حسناً . والمعصر
تحب الشبان بالشرط المذكور . وقد تانس بالكهل اعتقاد انه يكون بها
أرفق وأعشق . ولكن ذلك لا يسمى محبة لانه يؤول الى نفع نفسها . ومن
شرط المحبة أن تكون مجردة عن الاستنفاع . ولكن هيهات فان كل عجب
اذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به مله بل ربما كرهه
فعلى هذا فالمحبة عندي لفظ يرادفه الفائدة . فقول القائل انا احب فلانة
حقيقة معناه انا استفيد منها . فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين
ومن جاوزهما في السن قليلا بالشرط المذكور . واما النصف فتحب
الثلاثة والكهل ايضا بذلك الشرط . واما المجوز فتحب الجميع . قلت ما
قولك في الشوارب . قالت هي زينة القم كما ان الحواجب هي زينة العيون .
قلت وفي اللحى . قالت على الشيوخ . قلت وفي المراضين . قالت بخ
بخ هما زينة الناظر والمنظور اليه . قلت اى حسن فيهما وخصوصا مع
حلق الشاربين . قالت هما بمنزلة الاكمام للزهر . او الورق للفصن . او
القطيفة للثوب . او السياج للحديقة . او الهالة للقمر . وبينما هما في الكلام
واذا بطارق يطرق الباب . ففتح له واذا برجل معه كتاب من اللجنة
المذكورة سابقاً يتضمن استدعاء القاريق واهله اليهم . فلما طالع زوجته
بذلك كادت تطير فرحاً وسروراً . وقالت ما ابرك صباح هذا اليوم وما
ايمن سمسه . ثم قامت الى الصندوق قاوت فيه لوازم السفر ما عدا
القاموس . فقال لها القاريق رويدك فان دون هذا السفرامورا كثيرة .
فامتنرت وقالت اذكرها لى جملة حتى لى أبتمسي جلها . قال اطمئنى

واصبرى فانك قد شوشت على بكلامك الاخير . واعوذ بالله من ان يكون سببا في فساد ترجمة الكتاب . فتركته واشتغلت بامرأها . وانا كذلك اتركها الى وسواسه في المراضين اذا ليس على ان اشاركه فيه .

الفصل العاشر

في سفر وتفسير

من جملة ما لزم لهذا السفر ما عدا القاموس كان هذا الشرط . وهو ان يغيب الفاريق عن الجزيرة عامين واذا رجع يوظف في وظيفته الاولى . فمن ثم كتب عرضا للحاكم واقام ينتظر الجواب . وبعد ايام ورد الجواب بقبول هذا الشرط . فوجد كل شيء ناجزا للسفر لأن زوجته لم تكن في تلك المدة نهمل شيئا . فلم يبق عليهما الا تشريف الجواز بحتم القناصل واداء الرامة الختمية الختمية . الا انه بقى غير مختوم عليه من قنصل ليكوره . فلما بلغوا مرساها اراد الفاريق ان يدخل البلد فاعترضه صاحب ديوان المكس . فقال له انا اعطيك هنا ما كان يحق ان اعطيه للقنصل في الجزيرة . قال لا بل تسطي هنا ضممين قاني وعزم على الرجوع الى السفينة . فرآه وزوجته وجل يدير زورقا فلما علم بقضيتها قال لها انا ادخل بكما البلد بنصف ما طلب منك هذا المكس الحرامى . فركبا في زورقه وعرج بهما من مكان خفى حتى دخلا البلد . ثم رجعا الى السفينة فسارت بهما الى جينوى ثم الى مرسلية ثم سافرا الى باريس . وفيها اجتمع بمسيودلا مرتين ١٤ — جزء ثاني

الشاعر المشهور في اللغة الفرنسية . واقاما فيها إما تحوفت من الكيس جانبيا . (فائدة اذا كنت في بلاد فرنسا فلا تنزل خاناً للأنكيز واذا كنت في بلاد هؤلاء فلا تنزل خاناً لاولئك)

ثم سافرا الى لندن المحلوم بها . فلما رأت المدينة وما فيها من التحف العجيبة . والرزائب القريبة . ومن الانوار المزهرة . والحوانيت النضرة . قالت ايه ايه لقد قصرت الاحلام عن اليةظة . نعم الدارهي مقامها . وحبنا العيش فيها دوما . غير اني رايت من نساءها امرا بدعا . قال فقلت الحمد لله على انك بدأت بالنساء فهو من جسد طالع الكتاب الذي يراد ترجمته . ولكن أي بدع هو . قالت كنت اسمعك نحكي عن بمض الائمة ان عقول النساء في فروجهن . وقد أرى نساء هذه الدنيا الصغرى عهولهن في ادبارهن . قلت فسرى فاني لم افهم ما اردت . قالت اذا كانت المرأة توقع نفسها بين تهاز الصنعة والقطرة مع الاستمطار . اى انها تفخم شيئاً بالصنعة ونحو في الخلقة غير عظيم المقدار . وتهيج الناس على اكباره والفضل كله للجار . أي اذا كانت تقول بلسان الحال ان لدي عنصر عصار كلاء عصار . لا يجدي معه الاعتصار . وطبلا فيه زماره لكل زمار . وصفارة في حالي الشبع والصفار . ودنا مقمارا . يحتاج الى صهام اذ قد مليء الى الاصهار . وزوراء تستدعي بالزيارة . واخرنا جريا بالدسار . وجحرا اودحلا ينبحر فيه الخاذر أي انبحار . وحشة ذات اكوار واوكار . ووربا ياي اليه من ليس له وجار . ووأة موبئة في الليل والنهار . وقررة ذات تنقيز وتقر على ابتدار . وصرة فرث ذات صرير وصرار . وانفوعة اشتملت على صاة ولا سيما عند الاهجار . وعزلا لوانحل وكأوها لمننت بالدمار . ووطبا لو فش لا كفهر منه الجواي اكفهرار . وكيرا يطاير من نفخه الشرار . وهيئا اذا هبت في الصيف قال الناس القرار القرار . أي اذا كانت خلقت وما تاربها احد فاتخذت لها تربا ورأها . ليفني غناها . أي اذا جعلت

دأبها كله في تسنيم المسطح . وتقييب المفلطح . أي إذا استحكمت الناظرين إليها . وأشارت إليهم أن عندي قعيذة أو نصيده يقعد عليها . أي إذا رمزت إليهم أن الركاز . تحت الجراز . أي إذا استحكمت المصادغ ثم جعلت تمشي وتنظر إلى حقيبتها وتمجب منها وتزهي بها وتنافس فيها وتحرص عليها وترتاح لها وتشوق إليها . فوجدت أخرى تفخريها في ذلك ثم وجدت هذه أيضا من غلبتها في الاستحقاق فاجدر أن يقال أن غنولهن في الحقائق . هذا معنى ما قالته والجراز عيرت عنه بالفرع . والترب بالردف والحقبة بالعدل . ولقطة أي في الاصل . قلت هذه عادة من فلا تشاخي في العادات فإن لنسائنا أيضاً عادات كثيرة مكرهة في هذه البلاد . وذلك كاللكحيل والترزجيج والتخضيب والصحنة والبرمة والتمغ والتسير والتوقيف والاغماس والتزقن والترن والتقفز والتطريف والوشم والتنور والامتناس والجمش والتحفف واللمص والحلت والاستعانة والتفريب والضياق والقرم والالهاط والاستطابة والتصنيع والتسمين وعقص الشعر وتقليم الاظفار وتدريجها . وكشف الصدر وتحريك الحصرلن قرصت أو قرزت أو مرصت أو مرزت أو غزت . وألحقي به أيضاً المقر ويضة المقر والاختفاض والاهتجان وغير ذلك . قال فما كدت أم كلامي هذا الوجه حتى استشاطت واحرنفت . ثم قالت لقد أبسلك إلى التهلكة مقولك . وفضحك عندي وعند الناس فضولك . من أين علمت انهن لا يفنجن . اذا خلجن . ولا رقصن . اذا قرصن . ولا يستعملن الضياق والقرم . اذا كان الفلمم ذا لهم . أو اذا كان قوياً . ذا بقيقة مقبياً . أو اذا كان المغلق . يسمع له جلنبلق . والحنق . أحب إلى الحق . لولا انك جربت منهم ذلك . قلت هذا أمر شائع مستفيض به مشهور منزه به ذو دالة وبثلة وتشير لا يغنى على أحد . فهو كقول القائل السماء فوقنا والارض تحتنا وهو عند النحلة ليس بكلام أفتضبين مما لا يصح أن يسمى كلاماً . قالت مالي ولللكلام انما غضبي

عن الفعل . انك عندي قوال . وعند غيري فعال . ما هذه صفة المروجين
ما هذا شأن الحصنين . يا للمعجب أنت لا تستحي أن تطلب . واما أستحي
أن اطلب . ألا ليت قاضيا يقضي بين الرجل وامرأته حتى يبين للناس كافة
من الظالم والمظلوم منا . قلت فقولي اذا ليت قاضية . لأن القاضي من
حيث كونه والحمد لله ذكراً يحكم للرجل على المرأة . قالت بل الأمر بمكس
ذلك فان القاضي لا يرى الحق الا للمرأة على الرجل ولا سيما اذا جأشت
اليه وأجهشت وكذا كل رجل الا امرأة نفسه . قلت لله درك من امرأة
خبيرة بامور الرجال ومن رجل خبير بأحوال النساء . اتني على مذهب سيدنا
القاضي . فاني حين كنت أحضر خصام رجل وامرأة وأرى الرجل متتوف
اتحبة مخرق الجيب ما كنت لأنظر الى المرأة نظر المبري . ولا سيما اذا
اجهشت فكنت أود لو أفديها بروحي . ولكن رويدك لا تزبيري ولا
تزغري . ولا تحذيري ولا تحفظري . ولا تحذيري ولا قدحري . اني
لم يق لي الآن الا النظر قاما التفتدية فلا حكم لي اليوم على نفسي . ولكن
أخبرني ما هذه الخصلة الفرزية فيكن معاشر النساء . انكن تبكين
وتضحكن ايان شئ من أي شيء كان . ونحن معاشر الرجال لا نبكي الا
منكن ولا نضحك الا لכן ومن أجلكن . قالت سبب ذلك هو كون
النساء أرق طبعاً . وأكرم خلقاً . وأدق فها وألطف تحيلاً . وأراف قلباً
وأحنى قوادة . وألين جانباً وأسرع سمماً ونظراً . وأنفذ فكراً وأعجل
تأثراً . وأخف يداً وأعلق بالدين والدنيا . وأقبل للتلقين وأبدر الى الرئيس .
والقف للعلق النفيس . قلت مهلاً مهلاً . قالت وأروق بالاً . قلت وبعللاً .
قالت وأبلغ حيلاً . قلت وتمايلاً . قالت وأوفى صلة . قلت وغربة .
قالت وأعجل الطافاً . قلت وإيقافاً . قالت وأكثر رفقاً . قلت وشبهاً .
قالت وأوفر كرماً . قلت وغلاماً . قالت واطول حياً . قلت وقبلاً . قالت
وأبى وجداً . قلت وزرداً وعصداً . قالت وأشهى عتاباً . قلت وقرباً .

قالت وأبدع شمظا . قلت ولظا . قالت وارحم منطقاً . قلت وحمقا .
قالت وأسبق شعورا . قلت وأحلى لحدنا . قلت ورننا . قالت وأغرب
رتلا . قلت وعفلا . ثم قلت قد كان حديثك أولا في الحقائق بما يناسب
بصيرايوب . وينزي الشمود والمتجوف والمتجوب . والآن أخذت في
تفضيل النساء على عاداتك وفي أعداد محاسنهن وسامتهن الى كشف المعطى
منهن . فهل تريدن أن أقدم على صاحبنا مجنونا أو نالم فتنفس ترجمة
الكتاب . قالت ان كنت تحين هـا فلا يكون لك في البيت قرصة كما في
الشام . فان المجانين الذين هم في بيوتهم هناك أكثر من الذين هم في أديار
الرهبان . قلت لعل ذلك هو الذي أغراك بهذا التشويق المعذب . فكفى
عن هذا الحديث الملهب المحرب . بحق من أعطاك هذا اللسان الذئب .
وتأهبي للأشخاص الى من يكون عنده شغلي . قالت أليس هو بلندن .
قلت لا بل هو في الريف . قالت ويلي على الريف وعلى الفلاحين . من
يطبق السفر من هذه المدينة ليسكن بين الهمج . فان الفلاحين . في جميع
البلاد سواء . قلت ثم ننقل من هنالك الى مدينة غاصة بالرجال . قالت
فيها رجال بلا نساء . قلت بل فيها نساء وانما هن قليلات بالنسبة الى كثرة
الرجال . قالت ان القليل من النساء كثير . ثم انما سافرا في غد ذلك اليوم
واذ كانا سائرين في درب الحديد ذكر المنبه اسم القرية التي كانا يقصدانها
فلم ينتبه القاريق لاشتغال باله بتلك المساجلة . حتى اذا سار طويلا ورسال
احد السكوت عن رحلته قال له قد فاتك . فخرج ح وهو آسف على
غفلته عن تذكير المنبه . وما بلغوا القرية الا بعد مشي مسافة طويلة وتعجب كثير .
(تنبيه) دروب الحديد في بلاد الانكليز مثل خطوط الكف
يسير فيها المسافر الى أى موضع شاطولا وعرضا شرقا وغربا

الفصل الحادي عشر

في ترجمه ونصيحه

ثم لبثا في تلك القرية وشرعت الفارياقية في تعلم لسان القوم . فقال لها زوجها ذات يوم اني اريد ان انصح لك في امر يختص بتعلم هذه اللغة الجميلة . قالت هات ما عندك فهي لعمري اول نصيحة خرجت من فمك الى مسمعي . قال ومن قلبي ايضا . قالت قل . قال من شأن المبتدئين بعلم اللغات الاجنبية ان يتعلموا باديء بدء ما يؤول الى جسم الانسان من المروق والعضلات والربلات الى اخره . قالت قد لحنت ما تمنيه فا هذه بنصيحة . قال فقلت سبحان الله خلق الانسان من عجل . انما اريد ان اقول لك ان من شاء ان يتعلم هذه اللغة ينبغي له اولاً ان يبتدىء باسماء من في السماوات لابن على الارض . فان القوم يتظاهرون بالتقوى والصلاح . حتى ان البغي منهم تجار وهي مستلقة بالدعاء مرة وبالرفق اخرى . قالت وقد قلقت او هنا بغايا . قلت لا فان اهل القرى الصغيرة في هذه البلاد يتزوجون كسائر الناس ولا يمكنهم السفاح . ولكن المراد ان اقول انهم جميعا يبدون النورع . فلا ينبغي الآن والحالة هذه ان تسالي عن اسماء الربلات . وستعرفين ذلك كله بعد قليل . بل لا ريب عندي في انك تعرفينه دون معرف وتحفظينه دون محفظ وذلك بطريق الانتحار او الالهام . فان لفك وحدة ذهنك وقوة قريحك يسهل عليك كل امر عسير . قالت لعمري لو كان مثل هذا الكلام نصيحة لكانت الحكمة ارحص ما يكون . اما شدة الله كم بلغت من السنين . قلت ما هذا الاستفهام عقب هذا الكلام . قالت أي

فضل هذا الذي نحن فيه . قلت فصل الخريف . قالت فاذنب اذاً على
الفصل . قلت انزعيني قد خرفت . قالت والا هذا القول الذي
زحرت به وتحسبه نصيحة . قلت فافعلي ما بذاك فليد وعظت من لم
يجعظ وزجرت من لم يزجر . ثم لما مضت ايلم جاءت ذات غداة تمول
للفاريق . الا ما احسن هذه اللغة موقفا في السمع والخطا وما اخفها
على اللسان . فلقد حفظت اليوم منها بيتي شعر من دون تكلف غير اني
لم افهم معناه . فهل لك ان توقفي عليه . قال اهلا بك اليه ان شئت
الان قابرق حتى امطر . قالت أي لفة انت ما عنيت الا المعنى قال فقلت
وما المعنى الا ما عنيت فاني اعلم عين اليقين انك لم تضمري غيره . ولكن
الشديني ما حفظت فعالت

Up up up thou art vaned,
She is weary and terrified,
Do her justice she is hunted
By her husband, she has fainted

اب اب اب ظا و آرت وانت شي ازويري اند طرماند
ذوهر جستس شي ازهند بي هرزبند شي هزفاند
فقلت ان الشاعر هنا يشكو من شطط امرأة عليه . ولكن لست
أدري أية امرأة هي فيقول ما معناه

تبغي لكاعى سد سميا مما اذ يفتح الثاني لسد الاول
كلاذن ان حكتهيج اختها وتظل هائجة اذا لم تفعل
فتممر وجهها غيظا وقالت ما هو الا تمول منك . فانكم معاشر الرجال
أبدا لهجون بالسد . فقلت كما انكن معاشر النساء أبدا لهجات بالفتح .
قالت ان القوم لا يقولون هذا الكلام وليس في اشعارهم هجر وفحش كما في
أشعار العرب . قلت ليست اجسامنا واجسامهم سواء . قالت الكلام
هنا على الكلام لا على الاجسام . قلت من اين يأتي الفحش الا من
الاجسام . فحيثما وجد الجسم وجد منه الفعل . وحيثما وجد الفعل وجد

عنه القول . هدايرن سويقت مع انه كان في درجة هي دون درجة الاسقف
فقد الف مقالة طويلة في الاست . وكذا استرن فانه كان قسيما والف
في المجون . قاما جون كيلاند فالف كتابا في اخبار فاجرة اسمها في هل
جاء فيه من القحش والمجون بما فاق به ابن حجاج وابن أبي عتيق
وابن صريع الدلاء ومؤلف كتاب الف ليلة وليلة . فما ذكره عن فحش
اهل لندن ان زمرة من اعيانها كانوا قد انشأوا ما خوراً جمعوا فيه عدة
زواني . وكان بعضهم يفجر ببعضهم برأى من الباقي متاوبة . واول من
نهج طريقة المجون فيما اظن كان ريلي الفرنساوي المشهور وهو أيضاً من
اهل الكنيسة . قالت لم هل لي آثما انهم متلبسون بالورع والتقوى . قلت
بلى ولم ازل اقول غير ان هذا التلبس قد جرى عندهم مجرى العادة . فان
الملبس عليه يعلم ما انطوى عليه اللبس . ليت شعري لو ان احدا لبس
مثلا عشرة ابواب ليوم الناس ان ليس له قبل ولا دبر اف يخفى علم ذلك عن
الناظر . قالت لا قاذأ هم مدهنون بالدهان . قلت نعم هذا النوع ينمى في
هذه الاض كثيرا . فتاوتت وقالت ويلي على المداهنين . كيف اطيع
عشرتهم وانا كسائر اهل البلاد المشرقية منبسطة النفس واللسان . لا اكتم ما في
صدري عن عشيري . قلت اياك وذلك . وانما ينبغي لك التكم والتحرز
دائماً . وياك أيضاً والاهزاق فان ضحك القوم امهات وغت واهلاس
واهتاف وارناء واتداع وارناك وزقزقة وهرقة وانتاغ وهنبصة . والا
فكوني من التاغيات . قالت كيف نامري أن اكون من الطاغيات . وأنت
لا تزال تشكو من النساء طرا حتى من العادلات . قلت بل المراد ان تقالي
الضحك يقال تمت الجارية — فاجدرتني وقالت يكفى يكفى ما اريد ان
مذكر لي الجارية ولا الجارة . قلت نعم واكلمهم نأج وتدلر وتوجس وممس
ومدش وتبرض وهرمة ومطع وتذوق وتطمم وتغضم . وشربهم غثرة
ولماظ وتزشف وتزحن وتزخ وتزنج وتزنج وتزنج وتزنج وتزنج وتزنج

ونعصص . ومتى تكلمت يجب ان تنضى طرفك وتحققى صوتك وتبدي
غاية ما يكون من التزذذ والتوقر . والتعزز والتحذر . والتظرف والتكيس .
والتلطف والتنطس . والتأدب والتضع . والتعرف والتخضع . والتخفر
والتعزز . والتعوز والتعزز . والتزه والتقرش . والتمتع والتجش . والتنسك
والتنقع . والتاوه والتنقع . والتحوب والتذمم . والتخرج والذائم . والتحنث
والتحشم . والتدلس والتكتم . والتحنث والتائق . والتودد والملقى .
والتحصب والتعري . والتوقى والتحنى . والتوخى والتحنى . والتبرى
والتذكى . والتحذلق والتحصى . والتوقف والتحمى . والتصلف
والتكلف . والتأسف والتلف . والتحشف والتحنف . والتعنف
والتأنف . والتخيف والتخوف . والتنطف والتنظف . فقالت
ويك ويك ما هذا الملك اتيت بي الى هذه البلاد لتسبكني وتصبوغ
منى امرأة اخرى . قلت فديتك فاسمعي ولا يكن كلامك في
هذا الفصل من السنة الاخفا سا أي قليلا . وفي الفصل القابل يزيدن
عشرين في المئة . وان حدثك رجل أو امرأة وجب عليك ان تستحسنى
الحدث وتجبذيه عند ختام كل جملة . وتومنى له وتهيمنى أى تقولى له
آمين آمين بسلا بسلا . وتنميه أى تقولى نعم نعم . وتبجليه أى تقولى
بجل بجل . وتبجليه أى تقولى أجل أجل . وتبسليله أى تقولى بسل
بسل . ولا ينبغى لك فى يوم الاحد أن تطبخى شيئا وانما كل مما فضل من
يوم السبت باردا كما تفعل اليهود . لان الطعام السخن يسخن الدم ويروج
الحراة . ولان سيدنا موسى رجم رجلا وجد مجمع خطيا فى السبت .
لا ينبغى لك الحركة فى يوم الاحد اية حركة كانت الحنت ذلك . قالت
لحت . قلت ولا ترفعي فيه الستائر عن الشبايك لئلا يراك الناس فيكون
لك باعنا أيضا على الحركة . الحنت هذا أيضا . قالت قد لحتك وزككتك .
فهتمت ولمتته . وعلمته ودريته . وأدركته ووعيته . ولكن ما سببه وهذا

اليوم عندنا يوم الفرح والسرور . والتزاور والحبور . قلت انهم يموتون فيه
لكون سيدنا عيسى أنشرفه من الموت . ثم ان عليك أن لا تقتدى من ذكر
يوم السبت أي الاحد . فان المسمى قد يتغير بتغيير اسمه . وذلك بان تقولي
مثلا ما كان أشرف السبت الماضي وما أجله . من لى بالسبت انما بل حتى
أخلو فيه مع ربى . ياليت كل يوم فيه ساعة من ساعات السبت . الا أن
يوم السبت ليوم عظيم . مهيب كريم . جليل وصيم . كيف كان الناس
يعبشون ولا سبت لهم . كم من سبت في السنة . وكم في ساعات السبت
من دقائق . وكم في دقائق السبت من ثواني . الا ما ابهى شمس السبت
وقمره . وغلسه وسحره . وازهاره واطيابه . وحره وازمهراره . واذا
انكرت فعلته من فعلاتهم فاياك وأن تذكريها لهم . واطرئي ما أمكن على عاداتهم
وأطوارهم ومعالهم ومشاعرهم وما آكلهم ومشاربهم وما دهبهم وملابسهم .
وعلى طول أظفارهم وأظفارهن وعلى عظم مرافدهن وعلى تفصيل سواقهن .
وعلى المنقش من شعرهن أعنى على قذلهن . وعلى كشف أديارهم للاصطلاء .
وكما رأيت شيئا في بيوتهم من اثاث وغيره فاستحسنه وأسجني به فقولي
وانت مدهوشة . آه ما أحسن هذا . آه ما أجل ذلك . آه ما ابهى هؤلاء .
آه ما أملح تلك . الا ما اذكي مراحضكم . وأسذى بواليعكم . وأتقى مرافقكم .
وآتق مئاعكم . وأنظف اعتابكم ووصدكم . وأبهج نفقكم وسربكم . فهذه
هى الذريعة التى يتذرع بها القراء هنا لاستجلاب مودتهم وكسب رضاهم .
واعرف كثيرين قد استعملوها ونجحوا بها . ثم ينبغى لك اذا ادعيت الى وليمة
عند احد اكبرهم ان تأكلى هنا من قبل ان تذهبي . فان المدعوين لا يأكلون
عند آدبهم حتى يشبعوا ولكن يشبعون حتى يأكلوا . وكما ان ادب الآدب
عندنا ان نغضب ضيفه على الأكل ويحلفه برأسه ولحيته وشواربه أن
يأكل فخذ دجاجة أو ست كيببات أو يلعمه اياها فى فمه . كذلك كان
أدب الآدب عندهم أن يراعى حركات فم الأكل ويديه ليعلم هل هو سرطم

أوذولقف وققف . وكلما تحرك قم أويد على المائدة — قال فاجدرني
وقالت وخصر . قلت وكفل بل أي عضو كان . وجب عليك أن تقولي
لذي المضو المتحرك أنت مشكور على ذلك . أنت ممدوح . أنت محمود .
أنت مفضل . أنت محسن . أنت بر . أنت ذومنة وما أشبه ذلك مما يؤذن
بضمة المأدوب ولده وحماره وهوانه وذله وخساسته وهطرتة وكفره (١)
وتسكسه . في مقابلة رفعة الأدب وعظمته وجلاله وإبهته وشرفه وكرمه
وبذخه وعزته . والحذر الحذر من أن عدي يدك الى زجاجة الخمر أو الى
جفنة الطعام فتأخذني منهما ما شئت . فان ذلك يكون انتهاكا لحرمة
المائدة والمجلس والقرية بل وللمملكة بأسرها . وإنما ينبغي أن تنتظري من
كرم الأدب أن يوعز اليك في ذلك . واذا قدم لك بضيمة من أرنب فقد
خفق مذ شمر وعلق في الهواء حتى أنتن فأنني على الأرض التي نشأ فيها
جنس هذا الحيوان النفيس وعلى خانقه وطائفه واذا رأيت شيئا ذا وقار
وهيبة يخدم عجوزه فلا تذكر في ذلك كما أنكره بعض الشعراء المفكرين بقوله

ورب عجوز تحاكى السطالي تشير وتنهى وتأمّر أمرا
بقائلها شيخها بام شال ويسمى لخدمتها مستمرا
وتقمّد تحكي كلاما سهيفا ومستمعوها يقولون سحرا
تقول بداري كلب وهر وللهر ذعر اذا الكلب هرا
ويرقبني الهر ان كنت أكل عمنى لئني ويسرى ليسرى
وبني ليزى تؤاسيه مما لديها فتها يلانم حجرا
وقد كان عندي من قبل جرو تلون بطنا وصدرا وظهرا
وكنّت عليه لى عاية الحر ص أسقيه ملء كؤوسى درا
جاءت عريزة قوم الينا فرامته دني والعين شكرى
وكان ينسام على فخذي ويلحس رفقى اذا ما اسبطرا

(١) الهطارة تذلل الفقير للثني . والكفر تعظيم الفارسى ملكه

وكان فلان أتاني عام كسنا بجري فأعاش شهرا
وتسأل ان تنس تاريخ ذاك النهار المعظم زيدا وعمرا
الى أن قال .

فاما النساء فما اختصصن به أكل ما أشبه التين محرا
ويأكلن والراح منهن بالجلد مستترات ويمضغن سرا
وتسمع للشاي قرقرة من معاهن تحكى هنا قرقرا
وتأخذ في صحنها بالمشكة قدار من اللحم يشبه ظفرا
فتعلك برهة من زمان ليمرأ من بعد أن يهرا
وزوج المضيف يقول لهخذ عزبي مما امامك ودرا
فيشكرها ويقول لقد كثر الفضل منك علي ودرا
وتجلس قسم كل الضيوف فتعطيك من ذاك زوا فتزرا
وفي كل زرتال تطلاطي رأسك رغما وتشكرشكرا
وانيك لوان قالت لك اختر نصيبك مما هنا ونحرا
كان لم يجزيين ذينك جمع كانك نا كح أخين ترى

فقلت هذا تكليف فوق الطاقة فما انا بالناقة عديم شيا ولو كان
الى والسلاوى . قلت ومع ذلك فهم ذوو محامد شهيرة . وفضائل كثيرة
ليست في غيرهم من الافرنج . منها احراز الوعد وصدق الوفاء في الحضرة
والغيبية . وتوفية اجر من يعمل لهم ومراعاة حرمته اي اكرامه لانهم
يعفون عن زوجه . قالت لا تكلف التفسير فما ذلك بشذوذ عن القاعدة
قلت ومنها انهم قليلو الكلام كثيرو العمل . حسنو المعاملة للامور بالتؤيب
والسياسة . والرشد والسياسة . ومن يات الى بلادهم فلا يسأل عن
جواز ولا اجازة . ولا يهمه ان كان جاره قاضي القضاة او وزير الوزراء
او شرطيا او جلوازا . ولا يخاف ان يسكن دارا او يدخل مثابة فيها بعض
الشرطة فيرهقوه بكلام ونحوه مما يكون سببا في سجنه او غرامته . فكل

الناس في الحقوق البشرية عندهم متساوون . هذا وانهم يحبون الغريب
 ما خلا ارباشهم . ويشفقون على الفقير وينيثون المحتاج . ويكرمون ذوي
 السيادة والمجد ويعرفون قدر ذوي العلم . ويمينون على ادراك العلوم
 والمعارف في البلاد الاجنبية . وعندهم جمعيات منمقدة لاجراء كل نفع
 وخير . وازالة كل شر وضير . وكثير من الاطباء هنا يداوون المرضى مجاناً
 ما عدا المستشفيات المبنوثة في كل قطر وصقع من بلادهم . ومن ينزل تزلوا
 لديهم او يستأجر غرفة في منازلهم فان صاحبة المنزل تؤانسه وترفق به
 ونحفه وترفه وتعرضه . وتدعوه الى مسامرتها وبجالستها من غير ان يستاء
 زوجها لذلك . واذا اتفق وقتئذ ان زارها بمضى معارفها تعرفهم به وتنوه
 باسمه . واه اذا قدم الى بلادهم احد بكتاب توصية احتفل به الموصي
 ودعاه الى منزله وجعل اسمه نبها عند اخوانه ومعارفه . ولا يدع شياً
 في وسعه الا ويؤنله لراحته ورفاهيته ونخله له الود والنصح حاضراً وغائباً .
 فرقة وصاة بيد صاحبها تفيزه عندهم باب وام واهل واخوان . وفي
 الجملة فان كفة محامدم ترجح كفة مذامهم . وليس الكامل الا الله وحده
 سبحانه وتعالى . وليس شيء من هذه المزايا الحميدة موجودا في غيرهم من
 الافرنج لان غيرهم محاحون ملثيون مراوغون . ذوو ايادي مقلولة والسنة
 مطلقة . فهم ليسوا كاصحابنا في الرشد والاستقامة ولا مثانا في الالس
 والكرم . قالت قد فهمت هذا كله فينبغي ان نعود الى تفسير البيتين
 بشرط ان لا تأتي بشيء من عندك فاني اعرف زيديك في الكلام . قلت كانك
 تقولين اني ذو فضول غير فعول كما ذكرت ذلك غير مرة . قالت اذا كنت
 قد الفتته فما يضرك الان والا فدها فلتة . قلت دونك تفسيرهما من
 دون تزيب

قم عجل اقم سؤلى عندك واباغ اربا منها جهديك
 فلقد ضجرت ولها بمل يبغى ان يمسها بمرديك

فما لت انت قلت ان الشاعر يشكو من امرأة وما هو يشكو من نفسه .
وليس المرأة بملومة على ضجرها في مثل هذا الحال . قلت لمثلك تلقى
مقاليد الشرح . قالت ومنه يرجى تخفيف الريح .

الفصل الثانى عشر

في خواطر فلسفية

ثم لما مضت مدة على العارياقية في بلاد الملاحين حيث لا انس
للفريب ولا حظ غير خضرة الارض عيل صبرها وضاق صدرها وعرتها
السامة والقلق . فمالت لزوجها ذات يوم . ياللعجب من هذه الدنيا ومن
احوالها . واعجب ما فيها هذا الحيوان الناطق الماشي على ظهرها . كيف
نمر عليه اليالي والايام والاماني نمره . والامال تشغله وتمله . وكلما جرى
وراءها ليدركها تدمته وبعدت عنه كظله . وكل يوم يحسب انه في يومه
اعقل منه في امسه . وان غده يكون خيرا من يومه . قد كنت احسب
ونحن في الجزيرة ان الانكليز احسن الناس حالا . وانهم بالا . فلما قدمنا
بلادهم وعاشرناهم اذا فلاحوهم اسمى خلق الله . انظر الى اهل هذه القرى
التي حولنا وامعن النظر فيهم تجدهم لا فرق بينهم وبين الهمج . يذهب
الفلاح منهم في الغداة الى الكد والتعب ثم ياتي بيته مساء فلا يرى احدا
من خلق الله ولا يراء احد . فيرقد في العشاء ثم يبكر لما كان فيه وهم
جرا . فهو كآلة التي تدور مدارا محمنا فلا في دوراتها لها حظ وفوز ولا
في وقتها راحة . فاذا جاء يوم الاحد وهو يوم الفرح والبهو في جميع الاقطار

لم يكن له حظ سوى الذهاب الى الكنيسة . فيمكث فيها ساعتين كالضم
يتأهب ساعة ويرقد اخرى ثم يعود الى بيته . فليس عندهم اثابة ولا
موضع للسمر والطرب . وليست أيضاً عيشة المتمولين في الريف بانهم من
عيشة الفلاحين اذ لا يعرفون من المطاعم غير الشواء وهذا القلقاس . ولكن
ديهاات ابن المتمولون في القرى . فانك لا ترى فيها مترا الا القسيس وخولي
الارض وهو الذي يضمن المزارع والحقول من مالها . وهما أيضاً بمثابة
الملاحين . ومع ذلك فاذا دخلت قصور الملوك وطفت في اسواق المدن
وعينت ما فيها من الصنائع البديعة والتحف المجيبة والا لآت الظرفية
والمرش القيس والثياب الفاخرة والاواني المحكمة ولا سيما مدينة لندن .
علمت ان صناعها هم المائمون بالدنيا وهم منها محرومون . فان دأب الصانع
كدأب الفلاح من جهة انه يشقى ويكد النهار كله ولا حظ له في الليل
سوى اغماض عييه . فكيف يزين هذا الصنف من الناس هذه الدنيا
ويهبجونها ويمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها . والمتفرجون فيها
لا يحسنون عمل شيء وربما لم يكونوا أيضاً يحسنون الكلام . واذا كان
الناس عباد الله في ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم
الواحد باختلاف ما فيه من الاعضاء الجليلة والحصىة فلم لا يجري العدل
بينهم كما يجري بين الاعضاء . فان الاسان اذا أكل شيئاً أو لبس شيئاً
فأعما يقول ذلك لأصلاح الجسم كله . أم يزعم المسترون اذا وسموا على
هؤلاء الضناك الصبايك . ونفسوا عنهم الكرب الذي يكابدونه من جهد
المعيشة ومن عدم ودرهم على تربية أولادهم انهم يحملونهم على اهمال
شغلهم وعلى تركهم الارض يورا فتعطل وتمحل فيه لكون جوعا . فما بال
ذي الدولة اذا يولي المبالغ الجسميمة والجوائز الجزيلة لمن يسده عملا
ورقيه مرتبة ولا يخاف أن يفسد عمله بكثرة ما يعطيه . لا بل ان الفقير
اذا كفاه واليه أوسيده المونة وهو شىء بالنسبة اليه هين فانه يؤدي

ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس . ويدعوه بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يبيت الليالي شاحجا يديه بالدعاء عليه . ليتقنه ان حبه ضائع عنده وان هزاله وضواء ذاهب في تسمين غيره . وفي حملته على البطر والعنواقتاء ما لا تلزم قنيتة من الخيول النظممة والمراكب النفيسة والاثاث المنضد . فيأكل الغنى لقمته والحالة هذه مغموسة بدعاء الفقير عليه . أم يحسبون ان الله تعالى اعما خلق الفقراء لخدمتهم فقط . لعمري ان حاجة النقي الى الفقير أشد من حاجة الفقير الى النقي . أم يأنفون من النظر من مقامهم الرفيع السامي الى ذوى الضعة وانحلول خشية أن يسرى اليهم من يؤسهم ما يسوهم . كمن ارتضى شرفا باذخا ومحتة هوة عظيمة فهو يأتي من أن يتطأطأ ويظفر اليها لثلا يلحقه من ذلك دوار أو غشيان فيهبط من شرفه . ليت شمري هل جرب الاغنياء حينما من الدهران يسعدوا الشقي بما لهم وينمشوه برفدم . ثم وجدوه مقابلا نعمتهم عليه بالكفران والبطالة وباهمال ما فرض عليه من قبل الله والطبيعة . واما هو محض وم دخل في رؤسهم مع الرحيق فخرج هذا ولم يخرج ذاك . الا فليمكنوه من أن يذوق لذة العيش ويرى الدنيا كما هي عليه شهراً واحداً في عمره في الاقل أو يوماً في العام حتى يموت راضيا قرير العين . واذا كانوا يحشون منه الفساد لكسله وتمطله فخوفهم من فساد نيته لفقره وعن كراهته اياهم أولى . لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة . الا ترى الى هؤلاء الألوف من البنات اللاتي يبحرين في اسواق لندن وجميع المدن العامرة باخلاق من الثياب . كيف يتهاقن على الزامج والغادى رجاء ان يتلن ما يتقوتن به ويتجملن به من الثياب . ولا سما هؤلاء النواشى اللاتي لم يبلغن بعد من العمر خمس عشرة سنة . فهذا لعمري الاهتجان بعينه . فكيف يعيبون علينا هذه العادة في بلادنا وهي مستعملة عندنا على وجه الحلال

وعندهم بالحرام . فلو كن مكفيات المؤونة لما فعلن ذلك . لان البنت في هذا الحد من السن لا تترك الى الرجال . ولا تضيق للبعال . ولا سيما في البلاد الباردة . ولسلم من كيدهن وتهاقن جشعا الى المال اناس كثيرون جلب عليهم نرهمم اليهن مضار كثيرة . وما عدا ذلك فان هؤلاء البنات الحسان لو كانت الدولة وأهل الكنيسة يعنون بتجهيزهن بما يعدرهن على الزواج الشرعى بعد تربيتهن وتهديبهن . لكن يلدن الاولاد الصباح فيزين الملكة بانثار ارحامهن كما تقول النوراة . بخلاف ما اذا بين على حالة السفاح فما يتولد منهن الا الخبائث والردائل . فهن كالشجرة الناضرة التي فضلا عن كونها لا تثمر ثلثي بالعم النافع لن تذوقها . وكم لعمرى من بنت حبلت أول مرة من مبادئ شوطها في ميدان العهر . ثم أسقطت جبينها خوف العهر . وان منهن لمن ولد في طرق المدينة في ليالي الشتاء الباردة لعدم مأوى لها . أو انها تبيت مع بنت أخرى على فراش واحد وهي عادة مستفيضة في لندن . وذلك لعدم قدرتها على أن تستعمل بفراش وكن خاص بها . فلا تأمن والحل لهذه من أن يلحمها أذى من ضجيعتها ليلا . نعم ان اولاد الزنا يأتون في الغالب شياظمة جبابرة كيفتاح الجماع الذي حل عليه روح الرب فانقذ اسرائيل من بني عمود . وكوليم القانع الذي فتح هذه البلاد أي بلاد الانكبخز . الا ان النفع الا كثرى مع الاقتصاد والاعتدال . أحق بالمراعاة والتعديم من النفع الاندرى مع الاسراف والارغال (١) اليس يعاب صاحب ارض اريضة يفادها بوراً ومتمرغا للوحوش . او صاحب اشجار ممترة يتركها دون سياج ولا ناطور عرضة لنهم كل متفك . نعم لا ينكر اوجود العنى والقمير في الدنيا لا بد منه كوجود الجميل والقسيح

(١) الارغال وضع الشيء في غير موضعه وهي لعمرى جديدة

بالاشتهار والاستعمال

ولولا ذلك لوقف الكون عن الحركة وتمطلت المصالح كما افاده المتكلمون.
 الا ان الكلام هنا في الفقر الذي لا يقال فيه انه عيش مؤدى الى الشر
 والبذر . لافى الفقر المدقع الذي يلقي الهموم والاحزان الدائمة في قلب
 صاحبه . فيفضى به مرة الى الانتحار ومرة الى الاغراق او الخنق كما شاء
 فعل ذلك في هذه البلاد . اليأس من العار على الرجال في هذه الارض
 ارض العلوم والصنائع والتمدن والتحضّر انهم لا يتزوجوا المرأة الا اذا كان
 عندها الجمال . واقبح من ذلك ان الكبراء هنا لا يتزوجون عن حب
 بل عن طمع في زيادة المال . فان من كان دخله مثلا مائة دينار في كل يوم
 يريد ان يتزوج من دخلها مائة دينار ايضا تماما . ولو كان تسعة تسعين .
 يصبح . ولذلك فكثيرا ما ترى شابا جديلا قد تزوج بفا شوها . وهيئات
 فان الرجال هنا اكثرهم مصاييف . أي لا يتزوجون الا اذا دخلوا في حية
 الكهول . فيمضون شبابهم في السفاح ومن حدّ الثلثين الى الاربعين في
 البحث عن عندها جدة وغنى . وتبغى الجميلة الفقيرة كاسدة وما عليهم من
 الاضافة من عار . مع ان مراعاة الولد في حق الزوجة من اعظم الاسباب
 الباعثة على الزواج على ماذهب اليه الربانيون . وان يكن توزيغ الولا
 يتم بمرة واحدة في مدة تسعة اشهر . اعنى ان اولاد النصف الشوها .
 لا يأتون صباحا اصحاء كاولاد الفتية الجميلة . وفضلا عن ذلك فان من
 تزوج وهو في سنّ ثلثين سنة مثلا امرأة في سنّ ثمانين سنة فمبلغ الخمسين
 وكانت امراته بعد لقوتها متلعج . كان له من ولده رقيب عليها . فلاى شي
 زيادة المال لمن اغناه الله بفضله . ومن يكن له في كل يوم مائة دينار فز
 الفرق بينه وبين من له خمسون او عشرون . فان من لم يكتف بهذا القدر
 لم يكفه ملء الارض ذهبا . هذا وان المرأة اذا كانت غنية فلا بد وار
 يتبع غناها عتاء . لانها تعتمد ح الولائم والمأدب والحافل وان تزور وار
 تزار . وان تتخذ لها من الخدام من تهرعنها بقراته وبضاخته . وكه

اختلج منها عضو تنازعت وتوحدت على السفر او الارافة . وهناك حالة
كون زوجها فائر الدماغ بالامور السياسية او البواعث المالية في مقره
تخلو بمن تخلو . وتلهو بمن تلهو . ويبد خادما من الدينار ما يعنى عينه
ويصم اذنه ويقطع لسانه . اليس هؤلاء الاغنياء يمنون بالامراض والادواء
كالفقراء ، اليس الموت يفاجمهم وهم في غمرة لذاتهم منهكون . وان
كثيرا منهم لسرفهم ورغبتهم ونهمهم وفسادهم واستهتارهم في الشهوات
يموت عن غير ولد ، او انه اذا رزق ولد يعيش ما عاش ضاويا نحيفا
شقية له وكندا على ابويه ، وقد قال احد مؤلفيهم ان من ترى من
اولاد الاعيان والامراء هنا تارا قويا فانما هو من العاح بعض الحشم ،
وزري اولاد الفلاحين صباحا اقوياء يلهمون الرطب واليابس ،
ولممرى لولم يكن لهم هذا الجزء من الله تعالى أى رؤية اولادهم
حولهم مفاين محبين لكانوا في عداد الموتى ، كيف بنى هذا
العالم على الفساد ، كيف يشقى فيه الف رجل بل العان ليسعد
رجل واحد ، وأي رجل ، فقد يكون له قلب ولا رحمة ، ويدان
ولا عمل ، ورأس ولا رشد ولا نية ، وكيف يقع هذا في هذه البلاد التي
ضربت بعدها الامثال . لا جرم ان فلاحى بلادنا اسعد من هؤلاء
الناس . بل التجار هنا اشقياء على غناهم وثروتهم . فان احدهم يقضى
النهار كله وهزيعاً من الليل واقفا على قدميه . وقد سالت واحدا مرة
فقلت له لم لا تقعد على كرسي وعندك كراسي كثيرة . فقال لي انها للذين
يشرفوننا بالزيارة ليشتروا من عندنا . فاذا قعدت مثلهم صرت منهم . فاما
في يوم الاحد فيلبثون خدرى الابدان والافكار . سدرى البصائر والابصار .
فاين هذا من التاجر عندنا يعقف احدى رجله على الاخرى بعض ساعات
على اريكته ، ثم اذا حان العصر كيب جبته وراءه وذهب الى بعض المنازل
وهو عيشى الخيلاء ، فان كان التمدن والعلم قد سبب هذا فالجهل اذا

سعادة ، غير ان الفلاحين هنا في غاية الجهل زيادة على يؤسهم ، ومن اين ياتيهم العلم وهم ملازمون للكد والترقح وليس عندهم مدارس ، قد كنت اظن انهم جميعا يحسنون القراءة والكتابة فاذا هم لا يحسنون النطق بلغتهم ، فاني افرا في الكتاب شيئا واسمعه منهم مخالفا لحيقة استعماله ، وناهيك ان اكثرهم لا يعرف اسم بلادنا ولا جنسنا ، وقد قيل لاحدهم مرة ان الملك امر بتسفير خيل في سفن لحرب العدو ، فقال اني اعجب كيف يقاتل الناس في البحر على الخيل ، وكافي بهم لجهلهم يحسبون ان سكان الارض باسرها دونهم ، أو يظنون ان الرجال في غير البلاد يبيعون نساءهم اويا كلونهن اكلا ، او انهم يتقوتون بالجذور والبقول ، ولو انهم عرفوا احوال الامم وخصائص البلدان لعلموا انه لو كان لهم من لذات العيش اضاف ما لنا مع شدة بردهم ومنكر هواهم ودكنة جوهم لما وفي ذلك لهم ، وان غناه الصنعة عندهم لا يقوم مقام غناء الطبيعة عندنا من طيب الهواء والماء وصفاء الجو وزكاء الارض وعذوها ومرائتها ولذة الطعام والمشروب والتزه في الرياض والحدائق . والا كل عند المياه الجارية تحت الاشجار الناضرة . والتردد على الحمامات والسهر في السمر واستماع آلات الطرب . يعرف ذلك منهم من زار بلادا وألف حفظنا ونعيمنا . غير ان الليب من استخرج من كل ضرفة . واعتبر بكل ما جرى عليه فاستفاد وارعوى . قد تعلمت الآن مما لقيت من الوحشة والتعسف في بلادهم كيف أعيش في بلادنا ان رجعت اليها سالمة . وكيف ان الطحظة والقرقرة والمارر والكركرة والسجلق والهرهرة والاعراب والكركدة والأهي والهرقة والانزاق والزغبة وطبيخ وطبيخ وعيط وعيط ونخ نخ وهاه هاه لأفرج لهم عن القلب من أوائى موضونة ومباني مرصونة . فخير البلاد ما لقيت هواها وألقيت فيها مخلصا لك وده . وكيف يكون خلوص الود من دون كشف السرائر ، وكيف تنكشف السرائر وتعلن الضمائر من دون اطلاق اللسان في ميدان الكلام

والقوم هنا يتكتمون ويرون ان في ذكر الانسان ما يحس به وما يحبه وما يكرهه طيشا وهوجا ، انما مثلي كمثل الثعلب الذي كان يلعب لطلبل تضربه أغصان شجرة هبونا عظيما ، فلما أأه وعالجه حتى شقه وجده فارغا ، لا جرم لا عدت املك خاطري سمي ، أو كراكب البحر وهو ظلي أن يرى الماء حوله ولا يمكنه أن يروي غليله منه ، اني أرى وجه الارض هنا أخضر ولكن لا شيء من هذه الخضرة يبيض الوجه عند الاكل اذ ما به من الطعم شيء ، لان كل ما يبت عندهم قائما بمصب الارض تنبته غصبا من افراط التدمير ، فلو كان أحد هنا من اللاطة لسألناه عن طعم بقولهم ما هو ، هذا ما عدا لمطعم الما كول وانشروب وغشهم وافسادهم ما من الله تعالى به عليهم مائتاً طيباً ، وباهيك ان الخبز الذي هو قوام هذا البدن لا طعم له ، فانهم يحمرونه برغوة نبات ويخلطونه بهذه البطاطة ثم يخفقونه بعد الاختبار خفقا ، فإذا يفيد العائل قوله اني كنت في بلاد الافرنج وهو لم يجد فيها الا الوحشة والنكد ، بل ذكر ذلك له فيما بعد غصة ، الى مصر الى الشام ، الى تونس ذا انعام ، فهناك تلمى من يزورك أو يزوره ، وهناك تلقى الشر دون تصانف والفضل دون توقف وتكلف ، الى آخر ما ذكرت لي من التأفف والتأفف . لا يطيب العيش للانسان الا اذا كان يتكلم بقلته . ليس العيش بطول الليالي ولا بكثرة الايام ولا بروية أرض خضراء ولا بمشاهدة أدوات وآلات . وانما هو باغتمام انس الأحباب . وعسرة ذوى الآداب . الذين تصفونهم السرائر في الحضرة والغياب . وتخلص لك مودتهم في الابتعاد والاقتراب ، انما الدنيا مفاكهة ، قال فقلت ومناكه ، قالت ومنذمه ، قلت ومشامه ، قالت وملازمه ، قلت ومطاعمه ، قالت وملازمه ، قلت وملازمه ، قالت ومطايبه ، قلت ومراضيه ، قالت ومخادنه ، قلت ومخاضنه ، قالت ومراءمه ، قلت ومفاغمه قالت وملاطقه ، قلت وملاغفه . قالت ومخالمة ، قلت ومعامه ، قالت ومخاضره ،

قلت ومخاصرة قالت ومباغمة ، قلت ومكاعمة ، قالت ومماشرة ، قلت ومشاعره ،
قالت ومؤالسه ، قلت وملامسه ، قالت ومسا جلله ، قلت ومبا علله ، قالت ومخالطه ،
قلت ومخارطه ، قالت ومطارحه ، قلت ومشارحه ، قالت ومجارزه ، قلت
ومراهزه ، قالت ومداعبه ، قلت ومزاعبه ، وهنا كان ختام الملاعبة ،

الفصل الثالث عش

في مقامة ممشية

حدث الحارس بن همام قال . كنت سمعت كثيراً عن النساء . حتى
كدت أمتنى بالنساء . فمن قائل ان المحسن أطيب عيشاً من العزب .
وأسلم عاقبة من المزاحمة على منهل دونه مذب . أو المكابدة للوب واللهب .
أو التمرض للتجبيه والمطرب . وانه كلما صدى قلبه من القرب . جلاه
بإتسامة من زوجه عن شنب . وارثافة بن رضاب كالضرب . وسماع
تامة تنفى عن آلات الطرب . ومدام ذات حبيب . فان مما خص الله
تعالى به المرأة من المزايا . وفضلها به من السجايا . ان صوتها الرخيم
لا يبرد عليه نكد . ولا يبدو معه هم وكمد . فاول ما تحرك شفيتها .
تسكن العلوب اليها . وعند مغازلة عينيها . تنهال السران على من هو
بين يديها . فيحنش (١) ويمحش . ويمحش وينتمش . ويدرك كل

(١) حنشب رقص ووثب وصمق وزاومشى ولشب وحدث وضحك .
(والمحش) شدة النكاح وشدة الأكل (والحنفيش) لزوم البيت الصغير .
(ودرقل) رقص وتفحج وتبختر ونحوه . دركل (وبجشل) رقص رقص
الزنج .

ويدرقل . ويسجل ويدوقل . ويحشل ويدربل . وحين تمشي في
 بيتها متبعدة . تقول لها الاقدار قديناك من مغناج مرحه . ان شئت رفعنا زوجك
 الى قرن الغزاة . لينعم بالك بأحسن حاله . وان شئت بهاءه عندك الليلة . لم تعينا في
 ذاك حويلة . وان شئت أن نزين له السفر . عاماً أو أكثر . الى طرح
 ذي أمن أو خطر ، فانت لدينا أكرم من نهي وأمر ، فاعليك الا قضيه
 لسان ، أو اشارة بنان ، وحسبنا بطرفة عين ، من بيان
 قال وان الزوج متعه الله باحصانه ، وهناه بنضرة بستانه ، وجنى نقاحه
 وربانه ، وزاده من آلائه واحسانه ، يعبت بحضرة زوجة بالذات
 كما شاء ، ان توخى مسامس وان اشتهى نشوة نشا ، وان شاء داعب
 ولاعب ، وان ابى الا الحمد فالجد طوع له كما احب ، وان له منها
 منزها (ولكن غير بعيد عن المساء) تغيب فيه الآراج ، وتطلع منه
 الافراح ، وبشائر النجاح ، وسرا ترف به الدنيا اليه بمرض بشر ،
 ومهدى كشر ، ان التوى عليه امر قومته بمهارتها ، وسددته بأشارتها ،
 وانها اذا تدعبت عليه وتقيأت ، وتبملت له وفيأت ، زاده الله نضرة
 ونعيا ، وزادك صبوا وجموما ، خيل له انه ملك الدنيا بمحذا فيرها ،
 وفاز بجميع لئانها وجبورها ، وانه قد قام مقام الماهل الاعظم . خليفة
 بارى الامم . فلوراي وقتئذ قاضي المضاة مارا على بقلته . حسبه من
 اتباعه وخدمته . ولوراي كافها أو وافها . لاتف من ان يكلمها مشافها .
 فبعت مكانه الى جناب الاول وصيفا والى حضرة الثاني وصيفة . وقال
 لهما ان لدي لكل فاتح قاهر ولاية شريفة . ولكل سائل شاكر وظيفة .
 ولو ان امرءا اغلظ له وحاشاه في الكلام . وسفه فبادره بالتصريح والملام .
 أو رأى واليعاذ بالله ان يمس له فذالا . ويسومه عليه ققدا واذلالا .
 فرع الى زوجته اعزها الله فتفت عنه كل كرب . وامته من كل رعب .
 وردب عليه حجره من حجرها . رصدا رته من صدرها . وقالت له
 لا تخش من كيد موغله . فانما يدفع كل استحصاف بمثله . فرجع الى ما كان

عليه من الاثثة والتمخار . والمز والذرار . حتى لو رأى قبلا أوردقا . لهاء
بنفسه عن أن ينظر اليهما نظر الاكفاء . فهو الرائع المقتق . المقرف المتملق .
الآكل وتلفاه من درر الثنايا ومرجان القم . ما يحيل اليه ان الكاخ خير
مطم . والمسيخ اهنا مفنم . وان الاجاج والزعاقي . اشهى من مدام
الاغتياقي . الا ولوانه بات معها على فرش حشوه شظايا . وماس منها زغبة
لكان له من اوطأ الحشايا . فكل ضر معها يستحيل الى فنع ونفع . وكل
شظف يقر بها فهو قصوف ورتع . ومن قائل لا بل عيش العزب اهنا .
وللذات اجنى . فان السيدات يحسبته في كل وقت ذاجموم . وعندهن
ان نبة واحدة منه تنفى جميع الموموم . اذ ليس له من تلزه كل ليلة للظال .
وتورقه هزيبا من الليل على مثل ذى الحال . ليتذكر دائما انه يحصن ذات
قرطقي وخلخال . فهو على هذا عجب عند البنات . محروص عليه من
السيدات المتزوجات . مشار اليه بالبنان من الارامل الها مجبات . وانه اذا
رجع الى منزله رجوع يده خفيفة . ورائفته نظيفة . فلا من تقول له هات .
او تنومه على ما فات . ولا من تستوحيه عن المستقبل . وتستغفبه في مصالح
المهيل . ولا من تزجره عند قيق (١) غيرها له وحلجه اليها بحف حنء
أو تنجذه قبل مفارقتها اياها اي نجف . أو تقول له زراف زراف . والا
فالا زراف . ولا من يبكى بين يديه . وهو عاجز عن كفالاته كما يمتق
عليه . فتراه ابد الدهر مياحا مفراحا . متعرضا للذساء متياحا . شرارحا
سداحا . رفيقا بالجمع منهن مساحا . وقد قيل في الامثال ان سائرة سير

(١) الميق صوت الدجاجة اذا دعت للسفاد (وحلج) الديك نشر
جناحيه ومشى الى انته السفاد (وحف وحف) زجر للديك والدجاج
واننجف منع التيس حتى لا يقدر على السفاد وذلك بان يشد جلد بين
بطنه وقضيبيه وذلك الجسد يسمى النجاف (رزف) ماء البئر نزحه كله
(وازهف) انى سرا . وعليه اجهزو بالشراغرى . والخير زاد فيه وكذب ونم،

المساج في كل فجاج . من لم يكن ذا زوجة كان ذا ازواج .
 قيل فمن ثم كانت خطوات العزب اوسع . وحركته اسرع . وكلامه
 انجع . وانأوه ارفع . ونعمته ارحم . ونهمته اضر . ونهزته اقوى
 ومزته اروى . وسنانه اذلق . وسهمه اخسق . ونشره أعبق . ووجه
 أعلق . وطعمته أطيب وأوفر . ومادته أسكب وأغزر . وقد نسوا أن
 تهبق حوضه في نهرسقى واحد هو عين السبب في تشكيزه ونزته .
 وتفتيرشرزه ولزته . الى غير ذلك مما لا يلىق أن تعابل به مومسة ولا
 حصان . ولا يوصف به دالف ولا تيمان . قال الهارس فلما تراجع
 المذهبان . وتكأنج المطلبان . قلت في نفسي من لنا اليوم بالفاريق .
 فيفتينا في هذا الامر الرباق . فانه أعلق بالنساء من اريية . وأعرف
 بأحوالهن من ذتي شيبية وشيمية . فلقد ذاق منهن الحلو والمر . ولفى من
 حبهن النفع والضر . فلو كان حاضراً لدينا . لجلاعتنا ما التبس علينا .
 فسرت الى بعض أصحابي ، لاطلعه على ما بي . فاكدت أترع الباب ،
 حتى هوى الي ربيده كتاب ، ثم قال بشرى ، فهذا كتاب من الفاريق
 بلفني أمس ويا نحو الا شمرا ، فتلففته من يده فاذا فيه ، أما بعد فان

القرطبان هو الذي يمر بالبلاذ بعمره
 وبها الحسان العيد يستنشين نفحة فلسه
 من كل ذات تدهكر شحاذ نابى ضره
 شداد رخو فعاره نعاشه من تهمه
 وبيا الفحول الهائجو ن الى تسدى عنسه
 رال اشتفاف جميع ما فى قمبه أو عسه
 ولربما نزوه بالاد ساف أقبح رجسه
 حتى يعود وما له آس لمعضل السه
 ان المليب من استشا ر منجذا فى لبسه

لا سيما شأن الزوا ج وحمل قاذح وقسه
 من شاقه نحويه ومذاق لذة رغبه
 فليعلمن في قصة كي يستبد مجلسه
 حيث السباح مفصص من يشرب للحسه
 ان العريب أضر من متهتك في جنسه
 اولا ففى حال المزو به وهو مالك رأسه
 صون لدرهمه وحر منه وراحة نفسه
 بل من تزوج يومه خير له من امسه
 اذ كان فى حال العز ب موحش من السه
 لكن بشرط تقونه عن رية في حدسه
 فالبضع ثم البضع لا تشاغلن عن قسه
 ما ان يضر ختام ما قد طاب نافع رسه
 لكنما يجب التحر زمن بواعث نحسه

قال الهارس فلما تصفحت الايات . وزكنت ما فيها من الاشارات .
 قلت لله دره ما افصله لامور النساء ناظما وبأثرا . وما احوجتنا الى استفتاءه
 فيهن غائبا وحاضرا . لكنه لم ينبس عن حاله الا فيما هو من مشكل الزواج .
 فكانه رأى كل امر دونه قائما صوانه الاعفاج . ثم انصرفت مثنيا عليه .
 وقد زاد تشوقى اليه .

(حاشية) صفا الهارس مع الفاريق فلذلك لم يعب عليه بعض ابياته
 فانها مضطربة العبارة . وليس من شأنى التدليس على القارىء فقد صار
 بيننا صعبة طويلة من اول هذا الكتاب . فليتنبه لذلك .



الفصل الرابع عشر

في رثاء ولد

قد غرس في طبع كل والد ان يحب ولده كلهم على كثرتهم وبرقتهم
وعيوبهم . وان يراهم أحسن الناس . وان يحسد كل من يفوقه في الحماد
والمكارم الا اياه وابنه . ومتى شاخ الرجل وضمف عن التمتع بلذات
الدنيا فحسبه ان يرى ابنه متمتعا بها . ولا لذة للمتزوج اعظم من ان يبیت
مع امرأته على فراش واحد وبينهما ولده صغير لا يؤرقه بكائه وصراخه
ولا يبله ببلبله . كما انه لاشيء اوجع لعله من ان يراه مريضاً غير قادر
على الشكوى بلسانه ليحلم ما ينبغي ان يداوى به . بل الاطباء انفسهم
يحارون في مداواة الاطفال وقتما يصيبون المرض . وكان الاولى ان
يعين لملاجهم اطباء اختصوا بمزاولة ذلك عهداً طويلاً . وان ينوه بمن
نفع منهم فيه في كل كلام مستطر ومطبوع . ويجب على الوالد اول ما يرى
ولده قد مرض ان يتمهده ويراعى احواله وما يطرأ عليه ويقيد ذلك في
كتاب ليخبر الطبيب به اخباراً مديناً . فربما اغنى ذلك عن كثير من الدواء
الذي يجازف به الاطباء احياناً لامتحان حال المريض . ومن اهم
ما يستنهض عناية الوالدين في حق ولدهما امر الطعام . لان الطفل لما
كان لا يدري حد الشبع الذي يقف عنده الراشد كان اكثر اسباب
مرضه من الاكل . فليس من الخنو والشفقة ان تطعم الام ولدها كل
ما يشتهي . وانما الاولى ان يلهي عنه باشيء من اللعب والصور المنقشة
والالات المزوقة مما اشبه ذلك . وما احلى الولد يطلب شيئاً من ابيه وقد
حمر الخجل وجتته او غرض الوجل طرفه . وما احبه وهو مطوق
عنق والده او والدته بيديه اللطيفتين ويقول اني اريد هذا الشيء .

لا كاه . ومن سوء التدبير ايضا ان يحرم ما يشتهي . ويكفى لاجل
 ما لا ضرر فيه . ولعمري ان من اغفل رضى ابنه حتى ابكاه واجرى
 دموعه لغير تاديب كان بمنزل عن الابوة . وينبغي ان يدرب الطفل على
 الخفيف من الطعام بعد ولادته بستة اشهر مع بقاء الارضاع قليلا . فان
 الطعام يغذيه ويقويه فضلا عن انه يحفظ صحة والدته . بل ربما منهاها
 طول ارضاعها ، بمرض تم يفده شديدا كما هو مذهب الافرنج وهم اكثر
 الناس ذرية . ولا ينبغي ان ترضعه وهي غضبي او مذعورة مضطربة او
 مريضة . ثم انه مادام الرجل عزبا او كان لم يرب ولدا قط لم يشعر
 حق الشعور بالحنو على اولاد غيره . بل لم يعدر والديه اللذين ريساه
 حتى يدرهما الا بعد ان يصير هو والدا مرييا . والامهات اللاتي يرضعن
 اولادهن يكن بالضرورة احن فوه انا عليهم من اللاتي يستأجرن لهم
 المراضع . ولا جرم ان من كان له ولد وقرأ قول الشاعر ، ورب ام وطفل
 حيل بينهما كما تفرق ارواح وابدان . لم يمالك ان يذرف الدمع لوعة ونحسرا .
 وكذا لو قرأ قصصا فيها جمع الابهاء بقتل اولادهم الصغار الا برءاء كقتل
 اطفال مدبن بامر موسى على ما ذكر في الفصل الحادى والثلاثين من سفر
 العدد سواء كان ابوا الطفل مؤمنين او كافرين . ومن لم يكن قد تحلى بصفة
 الابوة كالراهب وامثاله ودعاك يا بنى او يا ولدى فلا تنق بكلامه ولا تعول على
 دعا . لانه لا يعلم معزة البنوة الا من كان ذا ابوة . وكان الفارياق بمن
 اذاته الله حلوله البنين ثم تخرج مع ذلك مرارة التشكل . فقد كان له ولد
 بلغ ستين وكنه كان قد سبك في قالب الحسن والحال فجاء لم يده شيء
 مما تهر به العين . وكان على صغر سنه ينظر نظرا المعيز بين المؤنس والموحش
 ويالف من تعلق له ولو باشارة . فكان ابوه اذا رنا اليه ينسى في الحال
 جميع انجانه وموممه . ولكن لم يلبث ان يغشاه عارض من الكآبة اذ
 كان بوجس انه لا يدوم له على عين الدهر اللامة . ويرى نفسه انه غير

جدير بان يحمل تلك الظلمة الناضرة . وكان يحمله على ساعديه مسافة ساعة وهو يتأغيه ويغنى له . حتى انه الطفل بحيث لم يعد يشأ ان احلوا غيره يحمله او يلبيه او انه يأكل وحده على انفراد . الى ان قدر الله رب الموت والحياة ان اخذ الصبي سعال في تلك القرية . ولما كانت قرى الانكليز الصغيرة كغيرها من قرى البلاد من انه لا يوجد فيها اطباء مهرة وكان لا بد من مشاورة طبيب على اية صفة كان . استشار ابواه احد المتطبين هناك . ف اشار عليها بان تداركاه بالاستحمام بالماء الساخن الارأسه . فعملوا بوصيته اياما . ولم يزد الصبي الا سقاما . حتى كان اذا انزل في الماء بعدها يفضي عليه ويرى فوق قلبه لطخة حمراء كالدم على شكل الفخار . ثم اشتد به الداء حتى احتبس السعال في صدره وخفت صوته . وكان يعاوده مع ذلك الرعدة والهزة . وبقي في حالة الزرع ستة ايام بليا لها وهو يئن انينا ضعيفا وينظر الى والديه كالاشاكي لها مما يفاسيه . فاستحال الورد من خديه عبرا . وغارت عيناه التجلاوان . ولم يعد شيء من الغذاء والدواء يسوغ في حلمه الا تكلفا . وكان القاريق في خلال ذلك يذرف الدموع ويحار بالدعاء الى الله ويقول . رب اصرف هذا العذاب عن ابني الى ان كان ذلك يرضيك . اني لا مأرب لي في الحياة من بعده ولا طاقه لي على مشاهدته في هذا الزرع الاليم . قامتي قبله ولو بساعة حتى لا اراه يجود بنفسه . آه عظمة ساعة . وان كان لا بد من نفوذ قضائك به فتدونه الان . ولعل انتقاريق هو اول والد دعا على ابنه بالموت عن تنفق وحنو . فان رؤية الطفل يفرغ ستة ايام مما لا يطاق . وبعد ان توفي الولد . وابقى في قلوب والديه الحسرة والكمد . استوحشا من مقامها اذ كان كل شيء فيه يذكرها فقدته وبزود في لوعتهما . ففصلا منه الى لدرة على حين غفلة وقد وضعاه في صندوق فلما دفناه واستقرا في منزل قل ابوه يرثيه

الدمع بعدك ما ذكرتك جار والذكر ما واراك ترب وار

ياراحلا عن مهجة فادرتها تصلى من الحشرات كل اوار
 خطأ وهمت قاین بمدك مهجتي ما في حشاي سوى لهيب النار
 ربما اقل الجسم منى فادحا فكانه وقر من الاوقار
 ما كن ضر الدهر لو ابقاك لى عينا على الآثار والاذكار
 ما بعد فقدك رائى اوراقى شىء من الظلمات والانوار
 سيات ان جن الظلام على او طلع الصباح وانت عنى سار
 يابس ذاك الليل اذ لم يبق لى من مطعم فيه الى الاسحار
 ارتقتى من قلبه ستا وفيه حرمت خمسى واستطبت شعارى
 ابى ما يجدي التصبر قولهم حكم المنية فى البرية جاد
 كلا ولا بى قربعدك من حى ما هذه الدنيا بدار قرار
 كم قد حملتك فوق راحى ادغدو ت ورحت نمت حرت خير عمار
 ولكم سهرت الليل من جرع فا أغنى بكأى عليك أواسمارى
 ولكم جأرت لبره دالك ضارعا ولغير نفع كان طول جوارى
 ولكم حضبتك فى الحنادس خوف ان بطراً عليك من الحوادث طارى
 وجمال وجهك لى ينجىل اننى فى روضة أنف ضحاء نهار
 ان لم يصورك المصور لى فقد صورت بالماتور من اشعارى
 أو ان يكن وارك لحد ضيق فالارض عندى اليوم أضيق دار
 أو ان تكن عنى حجت فانما بقيت حلاك خوالج الافكار
 لانسينك أو احين فما أنى حين على خلا من استذكار
 ولا رئينك ما بقيت وان أمت فليتلون رثاك عنى القارى
 يا حيرة عدم التصبر بمدى عدم التصبر فى احوال خسارى
 كثر المعانين لى وقل معاوينى وكوت حشاي شامة الزوار
 فرويت بيتاً قاله من ذاق ما قد ذقت من ثكل ووحشة جار
 جاورت أعداءى وجاور ربه شتان بين جواره وجوارى

يا فجة نزلت عظم كاهلي تأويلها وإبان قصم فقاري
 في ليلة فارقت فيها ناظري أبدأ وفارقني على اجبار
 لا غرو ان يك قدسرى جنى الدجى عن ناظري فكل نجم سار
 قد كنت أطمع أن يعيش مهناً بعدى ويبلغ أطول الأعمار
 ووددت لو ان ذقت حتى قبله لكن خيار الله غير خيارى
 وسدته يدي رغماً ليله هو كان وسدني على ايثاري
 عيني اليه رفت وما لي حيلة ياليت من نظر منى انظار
 قصرت يدي عن كف ما أودى به ان المصور مظنة الأنصار
 لهنى عليه وطرفه لي يشتكى اذ كان لم يقدر على الأخبار
 لهنى عليه على السرير موسدا ولو استطعت اكان فوق يساري
 لكن أدنى اللبس كان يزيد لما فكان يؤوه من اشعاري
 ويئن أنه مستجير واجفا كالطير فر فبات دون قرار
 حتى خشيت الدمع يوم جسمه لما عليه همى كودى جار
 يار عشة أودت به قد أورنت قلبي الوجوب ولوعة التذكار
 نيت النفوس أقرعيني بمد ان سخنت بنفض فيه ذي اقرار
 لهنى عليه في الظلام مفاقي وكراي من شفق الهم غرار
 لهنى عليه والفتاء ينيمه واذا سكت صبا الى الاكثار
 لهنى عليه وهو يأخذ من يدي وبميد ما يعطوه لاستغزار
 لهنى عليه وهو لائك رده بلا آلى وضاحه ودباري
 يا يوم أنشبت للمنية فيه طفلاً لا يطيق عواقب الاظفار
 يا خلة عالت فسوت بين حسننى والحياة الى مدى مقدار
 قد كان يحلو العيش حين يلوح لي والآن مر فصار ذا امرار
 لا البعد يسليني ولا طول المدى وتضالفت الاعصار والامصار
 ما تنقضى الحشرات أو أقضى اسي فبذا علي جرى قضاء الباري

كلا ولا تظني اوارى عبرتي ولئن همت في الصب كلامطار
 فالتار الا تار ثكل تنظفي والماء الا الدبح ضد النار
 باليت راهى العيش يوما راجع وفداء مريوب ابوه المهارى
 فاكون قادي عمر نحلي لاقيا حتى لقاء العانع الحتار
 داريت ما لا ضير فيه لاجله فاليوم لست لما يضير ادارى
 ان المدة والاماني بعده سيان مستوبان في استثناري
 فلتفعل الايام بي ما تشتهي ما بعد هذا الخطب من اضرار
 ولتذهب الامال عني اني لم يبق لي في العيش من اوطار
 من ذاق ثكلا مثل ثكلي فاجما فليقصرون اليزم عن اصبارى
 وليبكين معي ويحملني على فرط البكاء يدمع مسدرا
 ما هد ركن الصبر مثل الثكل او جسم المطا كسامة البتار
 الطفل يقضى مسرة لكننا يقضى ابوه قبله بمرار
 تصروه في نزع ابنه وخفوه ادوار حين ايما ادوار
 هيات من قد اشبهت اطواره في فقهه اوطاره اطوارى
 اوان في سوء الاسى لي اسوة اوان في طول الحياة قصارى
 لن ينفع الانسان شيئا حرصه كل الى اجل على مقدار
 الموت غاية كل حي يستوى فيه ذور الايسار والاعسار
 والسابقون بضمهم يوم مع المتأخرين الى ترى منار يعرف له مضمار سعى دار
 لكن يوم الطفل أجمع حيث لم . الثكل لا من كان ذا ايسار
 مائد طعم العيش الا من عدا زاه فينبت خلفه الاطوار
 فلززه في الأموال مثل الشعر تر وليصف مورده عن الاآدار
 فليهن من عاشت بنوه عيشه يفي شجرا يشجى مدى الأعصار
 بعض الرزايا قد يساغ وبمضها

الفصل الخامس عش

في الحداد

ثم لما لم يكن بد للفارياق من السكنى بالقرب من تلك القرية المشؤمة
سافر باهله الى كبريج . وبقوا مدة طويلة يمشون وجفونهم مابين منطبقة
ومفتحة . لان شدة الحزن تصرف القلب عن الشهوات او بالعكس . ثم
تراخت عقدة الحزن قليلا عن الميول عن القلوب . لان الميول لا تطاوعان
القلب دائما . كيف وقد قيل وضيعفان يظلمان قويا . فاستحل كل منهما
ولا الصأصة والوصوصة والتضيض والتجضيض والتبضيض
والوبص والتبصير والتفقيح . ثم اللوح والملح والنقد والحزن والتخاثر
والشطور والمخاونة والمخاوصة والملاوصة والتحشيف والمرضنة والرمز
والحدل والزر والايماض والحفظ والالتفات والدفنسة والتشاوس والمفاضنة
والمخاونة . ثم الايشام والنظر والبفو والصرو والاجتلاء والتجلية والرن.
والبصر والمماينة والمشاهدة والرؤية والبنى والبقاوة والبقى . ثم الرأاة
واللألة والتريق والبشق والتحديق والتجديد والتجحيظ والتبجيم والتججيم
والتججيم والتججيج والمخلقة والمسحرة واللت والضمير والتبخص
والاسفاف والارغاف والورورة والخر والطنغشة والآثار والحدقة والطفرة
والزهرة والبندقة والهنق والتجنيص والتفصيص والتبضيص والارشاق
والرعام والبرشمة والرهمة والجرسمة . ثم الشخوص والطمس والججم
والاشعاء والتناول والتطال والاشرباب والاسلطاء والاشتياف
والاستيضاح والاستشراف والاهطاع والتدنيق والقرنيق والحمت والحشش

والصدء والاسجد والتأمل والتكئة والتفرس والطلع والزنو والتزني . ثم
تصلحت العيون والقلوب . فعدت تلك ترجم عن هذه والتكبد مع ذلك
نحيم في اطرافها . غير ان الانسان خلق من نقطة امشاج وركب من عدة
اخلط وجواهر واعراض مختلفة . فهو لا يزال ابد الدهر ماشجاً هذا في
ذلك وخالطاً جددا بهزل وفرحاً بترح . فتراه ساعة قانطاً واخرى كاشمب .
وآونة مفراحاً واخرى مبتسماً . ويوما طرباً شنيا ويوما أوداً ض يوم
عزماً . فهو بشر خلفا وغول خلفا . واكثر ما ترى منه غملجته هذه في
امر النساء . فانه ان تزوج بمليحة قال ليتني كنت تزوجت بغيره وسلمت
من ضيزية ماري وجيراني . وان تزوج قبيحة قال ليتني تاملت بمليحة
لا كون ذا وجادة ونباهة . وان كانت امرأة يضاء قال ليتها كانت سمراء .
قان السمراخف حركة واسخن في الشتاء . وان كانت سمراء قال ليتها
يضاء قان البيض ارطب ابدانا في الصيف . وان كانت كمكامة مكتمزة
قال ليتها كانت معشوقة ديفاء . فان لم ف اقل مؤنة . وان سافر عنها قال
ليتها هي التي سافرت وبالعكس . الا في مدة وضعها فنه لا يتمنى ان
يكون في موضعها وقس على ذلك من الاحوال النسائية ما لا يمكن
حصره . اذ اخفى شيء من المرأة اما هو بجرلا يمكن البلوغ الى قعره .
ولحاصل ان للقلب شؤوناً كثيرة واحوال متباينة لا يزال يتلب بها .
اولا تزال هي متقلب به . وعلى كل قسميته قلباً دالة عليه . ويستثنى
من هذه القاعدة شيء واحد وهو ثبات الانسان في كل حال وشان .
واصراره في كل زمان ومكان . على تفضيل نفسه على غيره . فلو كان قاجراً
حسب ان لا ير عند الله الا به . وان كان فظاً غليظاً رأى كل كيس ريز
دونه . وان كان بخيلاً ظن ان كل حرف يفوه به هو منة كبرى . وان
كان دميماً ذمياً لم ير اللرم الا على نظر الناظرين له . وكما ان عين الانسان
تنظر كل ما واجهها ولا ترى نفسها كذلك كانت بصيرته مبصرة بعيوب

الخلق كافة الا عيب نفسه . ولو طاف الدنيا باسرها لما رأى فيها من المحاسن ما في مدينته او قريته . ثم ليس من المحاسن في بلده ما في بيته . ولكن ليست هي في احد من اهله كما هي فيه . نتحصل من ذلك انه أفضل من العالم كله . ولو انه كان شاعرا او بالخرى شعورا لا يحسن الا الاطراء على بجيل او التفضل بهند وعدد . ثم رأى علماء الرياضة والهندسة يخترعون من الادوات مثلا ما يطوى شقة خمسمائة فرسخ في يوم واحد . لحسب ان شعره انفع من ذلك والزم . ولو كان مغنيا او لاعبا بالآلة من آلات الطرب ورأى جازاله طيبيا نطاسيا يداوي في كل يوم مائة عيلا ويبرئهم بإذن الله لاعتقد ان صنعته اشفى وانفع . ولم يخطر بباله قط ان الانسان يمكنه ان يعمر في الارض دهر اطويلا من دون سماع غناء او عزف بالآلة . فتي يعلم الانسان ان يعرف نفسه . وان يفرق بين الحق والباطل . وان لا يخلط الحزن الكامن في القلب بالتحديق والحلقة . واقبح من ذلك ان كل واحد من الناس يظن ان غيره أيضا يفعل كذلك فهو معذور عند نفسه بكونه حاذيا حذو غيره . ومثله قباحة شان من تلبس الحداد على ميت لها وهي في خلال ذلك يزدهيها الزناء ويستخفها ذكر الذكران . وترتاح الى رؤية غير اللون الاسود وتطربها نغمه القائل لها ان فلانا مشغوف بحبك . وانك جديرة بان تقدمي على منصة وتامري وتنهي الوصائف من حولك او بالخرى الوصفاء . وان لا تتاولي شيئا بيدك هذه الرخصة . وان لا تخرجي من دارك ماشية على رجلك هذه اللطيفة . وان لك في كل مكان عشافا كثيرا بحيث لاتعدين في كل وقت من يحوطك ويحمذك ويلطفك وينسيك حزنك . وغير ذلك من الكلام الذي هو انتهاك لحرمة كل من الموت والميت .

قال الفارابي قد رأيت كثيرا من النساء الحواد في بلاد الانكاز وغيرها وهن أكثر خفة وطربا وازدهاء وضحكا من العروس وأما . ولم أر ينهن

من كانت تنظر الى ثيابها السود اذا ضحكك فتدكو ان كركرتها في غير
محلها . أما في أمر الاوج فربما يطلب لمن الحليم عذرا بأن يقول مثلاً .
لعل زوجها كان يخونها في الليالي الخالكة فتدبها بالسواد انما هو لتذكر
سوء أفعاله معها في سواد تلك الليالي . أو ان أيلها معه كانت كلها سوداء
كالليالي . فإما في أمر الولد والأب وغيره فلا عذر لمن أحدثت وهي مرارة
مهرقة . ثم ان الحد عند الأفرج مطلوبة للرجال مرغوب فيها بمنزلة
العروس . اذ التحول يتزاحمون على تسليتها وتلبيتها لهم بما تحت ذلك
السواد . وبأن هذه العادة هي من جملة العادات التي خالف استمالتها
وضعها . والظاهر ان لقطة الحد في لثنا هذه الشريفة مشتقة من حد
السكين وأحدها وحددها أى مسحها بحجر أو مبرد فحدث تحد . فكان
لابسة الحداد تحد شهوة الناظر اليها اذ يرى عليها آثار الحزن والكآبة
والانكسار وهو أشوق ما يكون في النساء . ويؤيده ان صنفاً من الثياب
السود يسمى اسبادا . وهذا الحرف يجيء أيضاً بمعنى حلق الشعر كالسبد
وانت بهام المعنى أدري . وتسمى أيضاً سلابا والسليب هو المستلب العقل .
فكان المرأة اذا تسلبت أى أحدثت ولبست السلاب سلبت عقل ناظرها .
قائل ما يقع نظره عليها يقع قلبه معه فيقول لها أو في نفسه . فديتك .
بابي انت واي . ثمانت . وقالك الله وهبني الله فذاك . ان شئت أن أكون
أول من توسل لحو هذا الحزن من صدرك فملت . فاني أقدر منك على
تحمل المكارة . قالق على هذا المهم القادح وكوني أنت مهناة مسرورة .
ان لدي آلة طرب عظيمة وخز عبيلات كثيرة تفرج عنك هذا الكرب .
قلو زرتي مرة أو سمحت لي بأن أزورك لم يعد يخطر ببالك شيء من
الأشجان . انك رخصة رعبوبة وأرى هذا الخطب قاسحاً عليك فلا
زول الا بقاسح مثله . ليتك تعلمين ما عندي من الاسى والوجد لاجلك .
واني عتيد لان احرم نفسي من جميع الممرات بحيث أراك تفترين عن

- ذلك الشنب الاشهى . وتبدن في خديك عند الضحك تلك النقرة التي طالما قمرت فلوب المشاق . أى قلب لا يذوب لهذا الانكسار . وأية عين لا تنرف الفمع على هذا الازار . قدنى حزناً لحزنك وحسبى ان أجلو عنك سدا هذا الهم . وكذلك المرأة المحد فانها تعلم وهي ماشية ما يخطر ببال ذلك شفق عليها فتعمل له أو فى نفسها . نعم والله ابي محتاجة اليك لتخفف من ما أجده اليوم من الوحشة والسدم . وقد بت البارحة وأنا غريفة بحر الأفكار والاكدار . وأراك جديراً بأن تعاقرنى وتسامرنى وتماشرننى 'درنى وتباكرننى وتجاورننى وتحاضرنى ومخاضرنى وتذاكرننى وتسارننى وتسابرننى وتداورننى وتشاعرننى . فالحمد لله الذى هدانى اليوم اليك وهداك الى وقيضك لي . لأنى امرأة منكسرة الحاطر ولا بدلى ممن ينمى عني ويؤنسني . حتى اذا نسيت ما اكابده وألم بك كرب كان علي أن افرج عنك فان عندى مصدر اشتقاق الفرج . ومنى تنال أتم الحبور . وأعم السرور . فلم اذا المحالطة والمراوحة . والمساجلة والمكافحه . فهذا ما يشأ عن لبس الحداد . ولذلك كان كثير من النساء يورثن الثياب السوداء بانها تقوم فى تشويق من يلاقينه من الرجال مقام الحداد . ولذلك كانت الافرنج أيضاً يحبون اللون الاسود فى الملابس ولا يصحوا زونه ولذلك كان لباس القسيسين والائمة أسود .



الفصل السادس عشر

في جور الانكليز

لما فرغ الفاريق من علمه في كمبريج سافر الى لندن على عزم عزم
ان يرجع الى الجزيرة واستصحب معه حمى نافضا . غير ان احد الاطباء
الحيرين في هذه المدينة نفضا عن ظهره ولم يتقاضه شيئا . ثم اصبحت
الفارياقية بحقها في القلب واللسان . فانها كانت وقتئذ مهترت في لغة القوم .
ثم اصيب هو بحقها في العقل والرأي . وذلك انه لما تصرمت مدة غيابه
عن الجزيرة وازف وقت رجوعه رأى أن العود اليها غير احمده . لان
احوالها تغيرت عما كانت عليه من الخصب والبججة في المساكن . وتلك
عادة للفاريق انه لا يدخل بلداً خصبيا الا ويفارقه محلا كما تقدمت
الاشارة اليه . ولأنه فاته فيها بعض فوائد فحرم منها لطول غيابه . فن
ثم قصد مدينة اكسفورد ومعه كتاب توصية الى احد اعيانها وعلمائها
وهو من اهل الكنيسة . فرأى الوصول اليه متعذرا فان العلماء في هذه
المدينة ليسوا كعلماء مصر في رقة الجانب وبشاشة اللعاه . بل هم اشد
فظاظمة من العامة . وعندهم ان الغريب لا يأتي الى بلادهم الا والشلاق
على عاتقه . ولذلك لما ذهب الفاريق ذات ليلة ليرى بعض هؤلاء العلماء
صادفه احداهم بباب المدرسة فقال له من قصد . قال فلانا . قال ابن
تسكن . قال في محل كذا . قال اعتدك دراهم لتني اجرة المسكن . قال
ما انا بمطران ولا راهب حتى تزعمني اني قدمت اليكم متسولا . ثم لما
تمذر عليه الوصول الى جناب ذلك القسيس المعظم ولم يجد فيها اهلا لاخير
سوى رجل من الطلبة يسمى وليم سكولتك (Williams Scoltch)
وأخر من التجار كان الفاريق اشترى منه قطعة حبل ليربط بها صندوقه

فأبى التاجر أن يأخذ منها فكأنه ظن أن الفاريقي لم يشتوها إلا بعد أن استخار الله في أن يخلق بها نفسه . رجع الى لندرة وفاوض زوجته في ذلك . فقالت له ان الجزية أقل خيرا من اكسفورد وأني مللت منها كل الملل . فقد اضمتنا فيها زهرة عمرنا ولم نحصل منها على نمرة فما رأى أن نعود اليها . فقر رأيه ج على أن يستغنى من خدمته فيها وكتب كتابا الى كاتب سر الحاكم يؤذن بذلك . ثم اشتد بالعاريقيسة الخنمقان فرأى أن مقامهما بباريس خير لهما . وذلك لما شاع عند الناس أن هواء باريس اصبح من هواء لندرة . وأن المعيشة فيها أرخص والحظ أوفر . وأن الفرنسيين أبش بالغريب من الأنكليز زأبر . وأن لغة العرب عندهم أكثر نفعا وأشهر . وغير ذلك من الاوهام التي تدخل احسانا في رؤوس الناس ولا تعود تخرج الا مع خروج الروح . ولكن ينبغي قبل سفر الفاريقي من هذه المدينة أن نعبد عليك بعبارة وجيزة وصف ما فيها من الحسن والجور على أهلها أى على أهل الجلال . لتعلم هل رحيل الفاريقي منها حلال أو حرام . وليكون لك ذلك وداعا من الانكليز . فان الكتاب قارب ان يتم ولم يبق من محال للاسهاب لاني اخشى من أن يأتي هذا الكتاب الأخير أكبر من الاول فيكون ذلك موجبا للقدح فيه من وجهين . أحدهما أن مطالبيه يقولون أن المؤلف كان يؤلف الفصول في أوله قصيرة والآن يشتها طويلا . فكأنه كان أولا غير ذي دربة بالتأليف أو أنه يريد أن ينسب اليه مضمون قولهم جرى المذكيات غلاء . والثاني أنه كاد أن يلحق نفسه بالطرادين وهو لم يشعر ولم يدر . فلقد مللنا من كلامه واعادة قوله قيسل وقال وكان وصار . فهو قد تبوأ صهوة الجدل منه واليه . ولم يفادربا نراجعه ونسترض عليه . فما جزاء المترار من المؤلفين . الا القاء كتابه في العمين .

قال الفاريقي تصور في عملك أنك ساكن في حارة من حارات لندرة

ذات صفين متوازيين . متصاقيبين متناوحيين . في كل صف عشرون دار .
ولكل دار باب . ولكل باب عتبة . وامام كل عتبة درج أو وصيد مبلط .
ثم مثل لعينك هداك الله أربعين بتامن الزم النواهد . والجشم الخواهد .
والعين المواغد . والرجج الثوامد . ذوات التبهكن والمرافد . والمراضب
والمشائب : والصلوة والسجاجة . والاسولة والصلحة . والبقاعة
والملاحاة . والكشمة والقرارة . والوثامة والنضارة . والبضاعة والبشارة .
والفسامة والشاراة . والطلاوة والوثارة . والوسامة والبضاضة . والطراوة
والنضاضة . والفرض والمسالة . والملد والعبالة . ومن الزهر والنفر والقر
والصهب والصبيع والصحر والنفر والفضح والنفر والادم والمجلس واليوم
والود والعين والتجل والشهل والبرج . والشكل والدعج والجود والبج
والفرق والزج والجة والبلج والبلد والذلج والخنس والشم واللمس والحو
واللى . ومن كل

رعبوبة شطبة تارة او بيضاء حسنة رطبة حلوة أو ناعمة . وكان
حق هذا الحرف ان يوضع في جدول الكتاب الثاني لكن
رأيت الحكايات اولى به لتتحقق معناه فبين .
ولبة لطيفة

وذات وجه مصفح المصنح من الوجوه السهل الحسن
وبهصلة شديدة البياض
وربلة عظيمة الربلات والربلة ويحرك كل لمة غليظة والربلة
كثرة اللحم .

ودبجلة ضخمة جيدة الخلق طويلة .
ودريل ناعمة خيمة .

وذات شعر رجل بين السبوبة والجمودة .
ورفلة اي نجر ذيلها جرا حسنا .
وزولة خفيفة ظريفة فطنة .

وذاة عين سبلا	طويلة الهدب .
وذاة صوت بخريد	لين عليه أثر الحياء .
وسبحل	ضخمة كالسبحل .
واسحلانية	المرأة الرائمة الطويلة الجميلة .
وطفلة	رخصة لامة .
وعبلة عثلة	ضخمة فخمة .
وعيطل	طويلة العنق في حسن جسم .
وعطبول	فتية جميلة ممتلئة طويلة العنق .
وعيطبول	طويلة القد .
وعميلة	البطيئة لهظها وترهلها ومن تسبل ثيابها دلالة .
ومكتلة	مدورة مجتمعة .
وهيضة	الضخمة الطويلة .
وهيكلة	عظيمة .
وهولة	المرأة تهول بحسنها .
وعيلهل	طويلة ومثلها الميطبول والنفلاق والمنشطة والمنطقة
	والعلبة والسلمية .
وعندلة	ضخمة الثديين وهي أيضاً الطويلة .
وعرطويلة	حسنة الشباب والقد .
وعرندلة	طويلة صلبة شديدة .
ومجدولة	لطيفة القصب عككة القتل .
وختلة	ضخمة البطن .
وهركيل	حسنة الجسم والخلق والمشية كالمركولة .
ومأرومة	حسنة الخلق مجدولته .
وجريمة	عظيمه الجسد ونحوها الجسيمة .

وجاء العظام كثيرة اللحم .	
وحامة جميلة .	
ودرماء لا تستبين كموبها ومرافقها (من نغطية اللحم لها)	
ورعموم ناعمة .	
وسادة ناعمة الاطراف .	
وشنموم طويلة مليحة كالشنمومة .	
وضخمة عريضة اريضة ناعمة .	
ومطهمة السمينية والبارعة الخال والمدورة الوجه المجتمعة .	
وفعمة استوى خلفها وغلظ ساقها .	
وقسيمة جميلة وكذا الوسيمة .	
ويكثمة ربا من شراب وغيره .	
ومكثمة مجتمعة لحم الخدين بلا جهومة .	
وكمكامة قصيرة محتمة الخلق .	
ووثيمة مكتنرة لها .	
وموشم أرشمت المرأة بدا نديها .	
وهضم الهضم محص البطن ولطف الكشح .	
وابة حسناء بضة .	
وبمحد ناعمة	
وبادن معروف كبادنة .	
وبهانة الطيبة النفس والريح أو اللينة في عملها ومنطقها والضحاكة الخفيفة الروح .	
وبهكنة شابة غضة ويةال للعجاء تبهكنت في مشيتها .	
وجهانة شابة .	
وحبناء ضخمة البطن	

و ذات شعر حجن متسلسل مسترسل .
و خليف المرأة التي أسبأت شعرها خلقها .
و راقنة حسنة اللون .
و مسنونه الوجه حسسته سهله أو في وجهها وأنفها طول
و مشدونة العاتق من لجوارى .
و ذات عسن الطول مع حسن الشعر .
و عكماء تمكن بطنها .
و غيسانة ناعمة .
و فيناة كثيرة الشعر .
و قنين حميلة .
و ملسنة القدمين الملسنة من الأقدام و النعال ما فيها طول و لطافة
كهيلة اللسان .
و وهناة بها فتور عند القيام .
و برهرة البيضاء الشابه و الناعمة أو التي ترعد رطوبة و نعومة و البره التزارة
و ذات رهرة الزهرة حسن بصيص لون البشرة و نحوه و ترهه
جسمه (و الاخرى جسمها) أبيض من النعومة و جسم رهراه
و رهروه و رهه ناعم أبيض .
و قارهة الجارية المليحة و الفتية .
و ودهاء المرأة الحسنة اللون في بياض .
و موهوه التي ترعد من الأمتلا .
و سجواء الطرف ساجيته أى ساكنته .
و عاية حسناء من عبا يعبوا أى أضاء وجهه .
و حسنة العربة أى المجرد و المعارى حيث يري كالوجه و اليدين و الرجلين
تأخذ بيديها اللطيفتين مكشطا و صابونة و دلوا فيه ماء حميم . ثم تجثو

على ركبتيها المدملجتين وتطلق لحك عتبة الدار ووصيدها وهي تذبذب
وتضطرب وتصححت وتثمت وتثمت وتصبج وتصلج وتصلج وتخرج
وتمنجج وتمنجج وتمنجج وترجج وتضضج وتاود وتضضد وترعد وتميد
وتأطر وتدهكر وتززر وتسجر وتمرمر وتامل ونور وتضجر وتزجر
وتلرز وتمزمر وتهز وتصحس وتهمس وتهمس وتوخش وتنفس
وترمص وترقص وتلمص وتتنصص ونوخص وتضفضض وتلضض
وتمخض وتنفض وتزيغ وتزبه وتسيغ وتنوع وتنفض وتترق
وتزيق وتترك وتروه وتريه وتلوه وتلوى وتصرى . وربما اتفق مع
رؤية ذلك سماع آلات الطرب يعزف بها في الشوارع فيا حسن ذلك
منظرا وسمعا . ولكن يا أغنياء لندن واعيانها لم يكن لكم من وسيلة
لمشاهدة هذه الشواخص والجواهر الا ماذلة عرة الحسن المصون .
يحل لكم اهلك حرمة الجال واجمال أيدي هؤلاء الحسان وركبهن فتملاص
اعتابكم . ما بال جيرانكم الفرساوية لا يفعلون ذلك وانما يسومون
خدمتهم تنظيف درج الديار من داخل فقط . فيضع الخادم شيئا
كالقباب أو النمل في رجله ويكشط به ما قدر عليه وما لم يقدر عليه
يتركه الى المرة الثانية أو الثالثة . ونحن كذلك لا نحلف نساءنا هذا التخطس
الذي لامنى له . وانما نكل اليهن ما آل الى العفش والرفش أي الطعام
والقراش . ومع ذلك فزعمون انكم تحترمون النساء وتعرفون قدرهن أكثر
منا . لمدكر ذلك فولا . فلما تسرحن في الليالي الخالكة ليطنن في كل
زقاق وشارع وسفيرهن الى البلاد الشاسعة وحدهن فلا يمد عندنا من
الاكرام لمن في شيء . بل هو أخرى أن يكون ديوية وقرطانية
وقلبانية وكتابية ودوية ودوية وفعمونية وقوادية ونورية وسقرية
وصقرية وعزورية ولياسية وطرية وطسعية وقندعية وقندعية ودسفانية
وادسافية وامذائية وممانوية وشعنية وشعطنية وادقائية وأرخية .

ليت شعري كيف يكون قلب الخادمة حين تأمرها بخدومتها في كل يوم قاتلة حكي العتية . أو حين تسألها رفيقتها هل حككت اليوم عتبة سيدتك . نعم لو كانت العتبة وردت عنكم بمعنى المرأة كما هي في لغتنا هذه الشريفة لكان لا يبعد أن يسبق وهما عند السؤال إلى ذلك . إلا أن لغتكم يـسـ قاسحة لا تحمل التأويل ولا التخرج . ولست أرى لهذه العادة المشطة من سبب سوى أن أحد كبرائكم كان قد اتخذ خادمة رعبوبة والله أعلم منذ ثلثة وخمسين سنة . وكانت امرأة دميعة فغارت السيدة منها فكلفتها حك العتبة والوصيد في كل يوم اذلالا لها في عين سيدها . كان القلب لا يعلق بهوى الجميلة المسكينة كما يعلق بهوى الفنى . أو كان الشيء المجمع يحتاج إلى مرفد . أو الشيء المتدملك إلى وشيعة من القطن . أو الفيل إلى غلاله من الخبز . أو المكرة إلى جوارب من حرير . فسرت هذه العادة النيمية في جميع كبرائكم إلى عصرنا هذا عصر التمدن والرفق بالنساء . وأنتم أسارى العادات والتقليد . فتي القم فعله لم يمكنكم أن تنتقلوا عنها . وذلك كتكاليف القتيان من خدمتكم ذر رماد أبيض على رؤوسهم حتى يكونوا كالشيوخ من فوق وككشف عجائزكم في الولاة عن تراثهن وأذرعهن . مع أنه لا مناسبة بين أوقات القصوف والحفظ ورؤية تراث منجردة تسمى العموم بالقمة . فاما مواطاة الناس على ما اخترعه الأمراء والاعيان على اجراء العادات السيئة فهو غير خاص بكم . بل هو عام أيضا عند سائر الامم الاfrنجية .



الفصل السابع عشر

في وصف باريس

كان وصول الفاريق الى هذه المدينة الشهيرة في ليلة ذات ضباب فكانت عيناه معمشتين عن رؤية ما فيها من الخصائص . فلما اصبح اخذ بطوف في شوارعها كالتفرغ المتبطل فاذا بها مملأة من المزاج والمزلق والرواج والرواق (١) والجرأى والاطناء والرباى والمموات والجنابات والرجب والروب والغخوت والحراج واللبج والبياحات والنصاحات والمصايد والفخاخ والشواصر والوامير والمعازات والدحاحيس والمفايس والشصوص والبيصاوات والمفاعات والمجازف والخطاطيف والمواطيف والكفف والريق والطبق والموادق والنشق والعلابق والاولهاق والشباك والاشراك والشود كاث والاحايل والكوايل والشهوم والمصالي . فظهر له ان قوام كل شيء وعتاده وملاكه وقطبه في هذه العاصمة متوقف على وجود امرأة . جميع الصوب والكلب والخوانيت والكفت والمراج والكرامج والكناديج والمفانج والمحاسب والمثابر والانباز والمخازن والمخارف والمصانع والقناتق والقنادق والدكاكين والقراقى والبلاطات والمنامات والحانات والمخانات والافندية والمطاعم والمشارب تدبرها نساء وأي نساء . وما من كسب او تاريخ او اوارجة او انجيدج او برجان او جذاء (٢) او

(١) الزاج ملو اح يصطاد به الجوارح وكذا الزامق

(٢) عبارة التاموس في ب ر ج وحساب البرجان وقولك ما جذا كذا في كذا وما جذر كذا في كذا جذاوه مبلغه وجذره أصله الذى يضرب بعضه في بعض وجملة البرجان انتهى غير أنه لم يحك في باب الياء غير الجداء بالذال المهملة وعبرة الجداء كفراب مبلغ حساب الضرب ثلاثة في ثلاثة حداءه تسعة . واضرب عن ذكر الضرب بهذا المعنى في موضعه.

ترناج او عهدة او محضر او جذر او وصر او قط او فنداق او صك ارمالكة
 او سيال او ترقيم او ترقين او جداء الا وتماطاه المرأة هنا . واللييب من
 الرجال من اتخذ في حانوته او محترفه راجا مليحا بلوح به للشارين والمجتازين
 في السبيل . ولا فرق بين ان يكون ذلك الراج من اهل بيته او غريبا
 وانما العيرة بانفاس الفخ على اعناقهم . هذا وقد اختصت نساء باريس
 بصفات لا يشاركنهن فيها احد من نساء الافرنج . هن ذلك انهن يتكلمن
 باللغة واللحنة والنشيج والمزج والمزاج والترنجج والتطريب والسكت
 والحيرة والنبرة والاجش والتعثيث والترجيع والاضجاع والقطعة والتفريد
 والتهويد والمد والترسيل والتريل والفصل والوصل والزجل والهليلة والادغام
 والترخيم والتدويم والترنيم والروم والاشباع والتضخيم والامالة والتنعيم والتنعيم
 والحزين والحنين والجدد والتلحين والطنن والشجو والترنية . حتى
 ينتشى السامع فلا يعلم بعد ذلك هل هن يهككن ازراره او فقاره . ومن
 ذلك تغيير الزي في كل برهة وبين تقتدى سائر النساء . فلو لبست احداهن
 مثلا عبيا او حزقت ثوبها لمب الناس حب ذلك العيب وصار التحزيق
 سنة فيهم . وعنهن يؤخذ أيضا تعصيب الشعر وسبته وتسريحه وتسميده
 وتجميده وضمفره وتطريره وتنميشه وعقصره وتصفيفة وزرقلته وتشكيله
 وفرقه وكدحه وكدهه وادراؤه وجدله وتفتيله وتعبيته ومشطه الكمكة
 والمقدمة واتخاذ قصة منه او قزعة او قزعة وجعله مكرهفا او مسبلا . ومن
 ذلك انه لطول ترددهن على مواضع الرقص يحسن كل مكان يظانه مرقصا .
 فترى المرأة منهن تمشي في الاسواق والشوارع وهي تميد وتميل وتخلع
 وتفسكك .

وباليت مولانا صاحب القاموس كان يعرف البلكي والمازركي
 والسوتشكي والكدريل والريدوقى والقلس وغيرها من ضروب الرقص
 حتى كنت ارويها عنه هنا في حق الماشيات في باريس . ومن ذلك

نحكمهن على الرجال وتمزهن عليهم في كل حال وبال . فتزى الرجل
بماشي المرأة وقلبه بين رجلها . واذا خلا معها في البيت فهي الآمرة
الناحية المستعملة الفاضية . وهو المصحب المصحاب المدرج المدبوح
المدح المكبوح الكفوح المعنوج المصوب المدح المزيج المختفد المسجد
المعصر المشروس المتضع . ولا يزلن طول الدهر وحاما ولا حبل . ويرمن
ان يكون لهن كل شيء صهاياً مؤرباً مرفلاً موفراً موفلاً مسبغاً ضافياً
مرتباً وافياً تاماً كاملاً . حتى ان اللغة الفرنسية مبنية على هذا الوحم .
وذلك اهم يحذفون في اللفظ واخر جميع الالفاظ المذكورة وينظنون بها
في المؤنثة . وعلى ذلك قول الفارياب

عند الفرنسيس المؤنث واجب تبليغ آخره الى الاسماع
وهو الدليل على تروق نسا ئهم طبعاً على التبليغ والاشباع
أو انه صفة السكال لهن ان يك ممكناً يوما لذات قنداع
وكان احد التيتائين من نحاتهم غاظه ذلك فجمل من بعض قواعد
لغتهم تغليب المذكر على المؤنث . ولكن هيهات فان امرأة واحدة هنا
تقوى على عشرين ذكراً . ومن ذلك ان عنوان جملهن مكتوب على
جباهن نظماً ونثراً . فمن النظم

ملك الجمال اعز من ملك له جند وأعوان وعرش أرفع
ذو الملك تبسعه الجنود تكافوا ولذي الجمال الناس طوعاً وتبوعاً

ومنه

من حارب العين خاتته مضاربه وليس يجديه شحذ السيف عن جلده
فضرب السيوف مشحوذ على حجره ومضرب الطرف مشحوذ على كبده
ومن النثر الكلام بالعنة . شفاء من العنة . فرط التنهيد . ابلغ في
التهنيد . الخلد . جلاء المقل . ضخمة الحماة . يفتح اللهاة . صفراً الاقدام .
يقزع الادم . كم صريع في السوق . من كشف السوق . ان ابراز الترائب .

كشفت غم النوائب . ان المصعب . اسلا للعين واحب . ان الاعجان .
داعي الافتتان . ان النوق . أصل الشق . لا تفكن . الا وزيله
التبهن . التهم . ادعى للتهم والتهم . المناضنة . دليل المحاضنة . غلال
الصيف . أمضى من السيف . لا قرار . بعد الافتزار . لا عاصم . بعد
كشف المعاصم . توهج الطيب . اشوق للحبيب . رب ابتسامه . جلبت
غرامة . العين غزالة . والقامة فتاة . الحسن معبود . والدينار منقود .
الدينار . فكاك الازرار . من اكثر من الصلة . نال ما امله . البضع لذى
الدنيا . والدنيا لذى البضع . من ذاق عرف . ومن فازل هرف . الى
الملمى الى الملمى . فبادر ثم لا تلمى . وعليها بكاس ثم عما شئت فاسالها .
والحاصل ان الفرق بين عنوان جمال القرنساويات وجمال الانكليزيات
هو ان الاول من قبيل التداوي من الشيء بضده . والثاني من قبيل التداوي
منه بمنه . وذلك ان العنوان الاول هو ناطق عن الونى والفطور والتزهل
والتربخ والاسترسال والاسترخاء والاسترخاخ والاسترخاف والشرشة
والنشنشة والانحرار والتململة والتململة والمحتت والمهنتة واللوة والملاث
والابتنجاج والطرشحة والامرخداد والتررة والتختر والقيشوشة والتعة
والخراعة واللخع والطريقة والرهوكة والرتطة والغدن والانتطاء المستدعية
لنقائضها من الاشتداد والتصلب والاعتزار والتائب والتضجع والتعجب
والتوتر والعلب والتعرد والتعبد والانزاز والتادد والمص والاستعراز والتأيد
والكائن والاتسكاع والتكسد . وجمال أولئك عنوان على هذه الصفات
المستدعية لنظائرها وكلاهما في المرأة حسن . ومن ذلك انهن يرين التقليد
في الحب والزي مرة . فكل واحدة منهن تجتهد في فنها حتى تصير قدوة
لغيرها . اما في الزي فنهين من تعجب صدرها بقدر ما تعجب لساء الانكليز
بتائلهن . ومنهن من تتخذ لها قبتين من قبل ومن دبر . حتى تكون اذا
مشت عاقبة لساتها ومواجهها . وكشف الساق لابرار الحساء ونظافة

الجوارب مطرد لمن . قاما في الحب فنهن من تزييد على صفات المدقسم
الصفة التي ذكرها أبو نواس في الهمزية . ومنهن من تؤثر التجضم الكرى
أو الامتلاج القنبي . واكثر الناس حرصا على هذا الشيوخ المحنكون .
قامصاصهم وتبظيرهم ليس من السب في شيء . ومنهن من تجمع بين
الذين الخرنوفية والفقورية ولها سمران . ومنهن من تزييد على ذلك ما
أراده الشيخ جمال الدين بن نباته من شوص الفرخ وله ثلاثة أسمار .
ومنهن من تزييد عليه الشوص بالاحصين وله اربعة . ومنهن من تمكن
من قعط النودلين وتغمر ما بينهما مجردا . ومنهن من تضيفه الى اللذين
الذكورتين مع شوص الفرخ بأامل وأخامص وهو أغلى ما يكون .
ومنهن من تتفاحل وتتقدم على أخرى مثلها . وهذا النوع عزيز لا يراه
الاموسرون . ومنهن من تتعاطى الحرفة الترسية وهو قرع الترس بالترس .
ومن أغرب ما يكون أن بعض شيوخ الفرساوية الذين يشب فكهم
وتخيلهم لهم أجسامهم ووهن حركتهم يؤثرون على جميع الاوع المذكورة
التلص بالهزرة . وذلك بان يضطجع أحدهم وهو عريان ويأمر من تستوي
فوقه وتعلقه . ومنهم من يستغنى عنه بشرب الزغرب من مشخبه زغلة
زغلة أو بمص القنب . وقد يجتمع رجال بواحدة فيقيمونها بين أيديهم
عريانة ويقعد لدى قبائها ودبرها اثنان . ويأخذ آخر في صب الشراب
من فوق صدرها وظهرها . فيبادر اليه الرجلان وهما قاغران أفواههما
ويشربانه عند مروره على السمين . والنساء المثيرات المقتلمات يستعملن
رجالا يقودون اليهن كل من رأوه ابتغ من الرجال ولاسيما من أهل الريف .
فيدخلون عليهن في بعض الديار وهن متبرقات كيلا يعرفن ثم يأجرنهم
على ذلك . وفي الجملة فان كل ما يحظر ببال التحرير من أمور الهسق راه
الانسان في باريس بعينه بالعين . واعلم أن أهل باريس قد اصطلمحوا على
أمور في المعاش والنساء تمنوا بها عن سواهم . أما في أمر المعاش فان من

يأكل منهم في المطاعم الشائعة فانه يشارط صاحب المحل أو بالحري صاحبه على أن يعطيها في الشهر قدرا معلوما وياً كل عندها شيئا معلوما . فتعطيه تناكر تؤذن بعدد المرات فيدفع ثمنها ثم يعيدها عليها فيؤدي اليها عن كل شيء غداء أو عشاء تذكرة . فيتوفر عليه في ذلك ربع المصروف . وقس عليه الحمامات والملاهي وما أشبهها . فلما في أمر النساء فان أصحاب البيع والشراء لما كانوا قد اتخذوا لادارة أشغالهم نساء حسانا كما سمعت الإشارة اليه . فاذا خرجن في الليل بعد انقضاء أشغالهن ترصدتهن الرجال ودعوهن الى مواضع الاكل والقهوة والرقص واللب . فتذهب كل واحدة مع من تحب . فتق رافعه الى أحد هذه المواضع علم أن حقها عليها صار ضربة لازب . فلما أن يستوفيه منها تلك الليلة فقط أو يوافقها على إعادة الوصول في كل اسبوع مثلا مرتين أو ثلاثا وأن يعطيها في آخر الشهر اجرة معلومة . وما بقي لها من الساعات فانها تؤجره لآخرين باجرة معينة . فتزى للواحدة منهن عدة عشاق تواصلهم في أوقات مختلفة من الليل والنهار . ومع ذلك فلا تزال تلقب بدموازل وهي كلمة تطلق على الإبكار على وجه التعظيم . ومعناها سيدة غير ذات بعل . ومنهم من يتصدى لمعرفة هؤلاء البنات من المراقص . فيعمد الرجل الى بنت ويدعوها للرقص . فاذا أعجبه وأعجبها دعاها للشراب في موضع مخصوص في المرقص وعقد عليها عقد الزيارة الشهرى . ومن عامل واحدة منهن مشاهرة لم ينفق عليها نصف ما ينفقه لو قضاها على كل مرة على حديثها . وللنساء رخصة في باريس أن يدخلن جميع المراقص العمومية من دون أن يدفعن شيئا اجتذا بالرجال بكثرتهم . ولكن عليهن أن يرقصن معهم اذا استرقصوهن . الا اذا اعتذرن لهم بمذر يقبلونه كأن يقول المدعوة مثلا قد دعاني آخر من قبلك فلا بد لي من أن أرقص معه أو نحو ذلك . ثم أنه لا حرج أيضا على من اكرت في منزل بيتا مفروشا كان أو غير مفروش أن تزوره صاحبه

في مسكنه . سواء كانت من النوع الذي ذكرناه أعنى من النساء اللاتي بمنزلة بين الحرائر والزواني أو من غيره . وإن تبيت عنده على علم من الجيران والسكان . فإن منزلة هذا عند أهل باريس كمنزلة المزوج . ولا فرق عند أهل باريس بين امرأة متزوجة لها سبعة بنين وسبع بنات تريهم في قوى الله وطاعة الملك وبين قحبة تباع عرضها لكل ابن سبيل وتفتن شيخ لكل عتاز في الطريق كما تقول التوراة . وهناك أسباب أخرى كثيرة للفساد في الديار . وذلك أنه لما كانت جميع الاشغال في باريس تديرها النساء وكان منهن غسالات وخدمات لمن ياخذن ثياب السكان وخيطات وفراشات ويطاط للمأكول والمشروب والملبس . أمكن للرجل أن يصاحب واحدة منهن فتأبى مياومة إذا شاء بحجة أنها تمضيه شيئاً أو تباع له حاجة . أو ملايلة أو مشاهرة أو مسوعة أو عناية وذلك ممنوع في لندرة . بل ربما صاحب الرجل امرأة من نفس النار التي يسكنها . لأن ديار هذه المدينة العامرة لما كانت تشتمل على عدة طبقات وكان أصغرها يحوي في الأقل عشرين نفساً ما بين رجال ونساء . أمكن للرجل أن يعاشر إحدى جاراته . بل المتزوجون المقيمون في هذه الديار لا يأمنون على نساءهم وبناتهم . لأن الرجل إذا خرج من بيته وخالفه فيه جاره إلى زوجته مئة مرة في اليوم لم يمكنه أن يعلم ذلك لقرب ما بين المسكنين . ولهذا كان أهل باريس أقل غيرة على نساءهم من جميع الناس . لأنهم ربوا على هذا ولا مناص لهم منه . ولا يمكنهم أن يربوا أطفالهم عندهم خوفاً من تضجر الجيران منهم . وإنما يعنونهم إلى الريف من أول اسبوع ميلادهم فيربون في أحجار المراضع . وهي عادة حميدة من جهة أن الأطفال يتقنون هناك بطيب الهواء . وهناك سبب آخر وهو أن المفضل بتزيينها ولها وتزيينته تحسر من نفع حرفتها أكثر مما تعطيه للفتن . لأن نساء باريس يشارن جميع الحرف ولا يرين في التكسب

عابا بأى وجه كان . ومن فى البيع والشراء أشط من الرجال . ومن تكن
جميلة تتفاض على النظر الى جمالها شيئا زائدا على الثمن . ثم ان حالة الرجال
مع النساء على المنوال الذى ذكرناه تعد عند هؤلاء الناس من المصالح المهمة
المرتبعة المطردة . بمعنى أنه ليس من دار الا ويحصل فيها وصال بين الرجال
والنساء مع إعادة حرمة كل من الزائر والمزور . ومع عدم الاخلال بالوقت
الموقوت لكيلا يحصل تعطيل للمزور فى شغله . ومع مجانية ما يسوه الجيران
من لقط وعريضة . ولا تكاد ترى فى باريس كلها فقيرة او مومسة تطوف
فى الليل وهي سكرى كما ترى فى لندرة . وندر وجود احداهن فى متأخر
الليل . وقل من آذت زائرها او قاصدها . وهناك فرق آخر بين نساء
الفرنسيين والانكليز من جهة الخلق لا الخلق . فالظاهر من نساء الانكليز
فى الغالب الكبر والانفة والصلف . والظاهر من نساء الفرنسيين اللين
والبشاشة . الا ان نساء الانكليز لا يتدللن على الرجال ولا يجشمهن الترف
والصحف والولائم والملاهي والمتازة والفرج . فأكلة من الكباب وكرة
من المرر تكفيان فى استجلاب رضاهن . وليس عندهن من الروم والحال .
والخلب والاختال . والدناء والنكر والاحتيال ما عند نساء باريس . فاما
ان تحب احداهن مثلا شخصا وترضى معه بالكثير والقليل واما ان تصرمه .
فاما نساء باريس فما يظهر منهن من الملازمة والمباغمة . والملاطفة والملازمة .
فاذا عاشرت واحدة منهن وشعرت بانك ارتبقت فى هواها ورقبت
تفتنحت عليك وتدلت . وتصلفت وتمحلت . واوهمتك ان مجرد كلامها
معك منة . وان ارضاها والخضوع لها سنة . وان كثيرا فى عشمها مقيمون
ناحلون . هائمون ناسمون . حتى تستقل عليها كل كثير من الصلات
والهدايا فتقبل منك ما تقبل وامت لها من الشاكرين . واذا دعوتها
لوليعة فلا بد من ارواها من الرقيق المحتوم . وتوحيمها بافخر المعلوم .
فتلهم ما تلهم وتشتف ما تشتف وهي متشعبة متعقفة . متمنعة متظرفة .

فاذا ضحككت حسبت ان ليس لضحكها من نظير . واذا مشت ودت لو
كان جطوها على الدياج والحرير . حتى ان هذا التصلف أيضا صفة
ملازمة للمتزوجات . فان المرأة المتزوجة في باريس تغرم زوجها على كسوها
فقط ما ينفعه الزوج . ان الانكليز على جميع أهله . فدأب الرجل في
باريس وهمه وشغله ارضاء زوجته وهيئات ان ترضى وما أحسن ما
قيل في هذا المعنى

لا يحب الزوج الا ان تكون بمن تحب مخوفة أولا فاعنات
وكيف يرضى امره بحقيقة بالقرن والقرن افتوا ايها الناس
وقال

وداخله الانسان تفسد كلها اذا أصبحت زوج له ام خارجه
ويخرج عنه الحلم لو قيل مرة له هي في البيت القلائي والجه
ولهذا يمال في المثل السائر عند الفرنسيين ان باريس نعيم النساء
ومظهر الرجال وجسيم الخيل . ولما كانت حالة الرجال مع النساء هكذا
كان ثلثة ارباع سكان باريس مسافحين . ونصف الربع الآخر متزوجين
زواجا شرعيا والباقي منعطون عن النكاح . كذا اخبرني من يوثق بكلامه .
ثم ان المومسة من الانكليز تعرف نفسها انها غير حرة وتعرف أيضا ان
الناس يعرفونها كذلك . فلا تكلفهم احترامها . ولا تسومهم اعظامها .
فالما البغي من الفرنسيين فعندها ان مجرد استبضاعها للبضع يؤهلها لان
يكرمها الناس ويداروها . ويجلوها ويسانوها . وذلك لعدم استغنائهم
عنها . وجرم النفع منها . وقد تقدم ان الفرنسيين لا يفرقون بين الحرة
والبغي وبقي هنا ان تقول انهم اشد الناس شبعاً الى البغال . وأقرهم الى
السفاح . وناهيك انهم في الفتنة الكبيرة التي حدثت في سنة ١٧٩٣
اقاموا امرأة عريانة على مذبح احدى الكنائس وسجدوا لها . فصور
لخاطرك أيها القاري . كيف تكون الرجال والنساء في هذه المدينة في ليالي

الشتاء الباردة الطويلة . وكم من ملهى يفص بهم وبينكم من مآتب .
وكم من مائدة تيد لهم بالطعام والشراب . وكم من سررتهمز . ومضاجع
تأز . واجتاب تلز . واوطاب تمز . واوتار تثر . انشدني القاريق لنفسه
في وصف باريس واجازني روايته

وفي باريس لذات كما في جنان الخلد جبر وحور عين
ولكن شأنهم دوام طمط لكل اربعمون من الفرين
وقال في الراقصات

لله در الراقصات لنا على نعم المثاني حيث تحلى الكوب
لو كان يوما وطوّهن علي لم تنقلو لدي من الزمان خلوب
وقال في راج

ذي البارزية طلعتها كالصبح بها قلبي مغرم
في الليل أريد تحيتها فاقول لها بن جورم مادم

قال وكما أن الغريب المسكين يشرح صدره وينحلي بصره بمشاهد
تلك الحكايات للاعتاب في لندرة على الصفة التي تقدم ذكرها . كذلك
تقر عينه برؤية أمثلهن في باريس طائقات في الشوارع والاسواق من
دون غطاء على رؤوسهن ولا ساتر لخصورهن وما يليها . بخلاف عادة
النساء في لندرة فانهن لا يخرجن الا ملتحيات . قال وعندي أن هاتين
الملتحيين وهما حك الاعتاب والخروج من دون التحاف هما السبب في
قلة وجود العميان في هاتين المدينتين السعيدتين . وقبلما ترى في رجالها
أحوال أو ازور أو احوص أو أخوص أو ارمص أو اكس أو اعشى
أو اخفش أو أعفش أو اعمش أو اغبش أو اغمش أو ارمش أو امتش
أو ذا دوش أو مدش أو طخش أو غطش أو غفش أو طغش أو غطش
أو مطرشا أو مطغمشا أو مطرفشا أو مطعرشا أو مطنقشا أو مدنقشا
أو مدنقشا . فملى كل من كان في بلادنا أعمش ذا عين أن يفصد هذه

البلاد ليجلو بصره بهذه المناظر الانيقة . وليست مصحبه ايمه لهذا الجلاء
جلاء اى لقباً بنى عن شرف وسيادة . فان القوم يظلمون هذه الزعمه ولا
يرون للانسان فضلاً بقسورها . وعلى فرض تخرجه من الأتصال والتزوير
فان غناه يكسبه ايها من عندهم . لانه متى كان غنيا وجعل دابه أن يتردد
على مواضع اللهو والحظ لم يلبث أن يتعرف بزمرة من الكبراء السعداء
وأن يزورهم في مساكنهم . ويسمونه بسمه شرف تشريفا له وتشرقا به
اذا لا يزورهم الا الشريف مثلهم . فاما حرص النساء على هذه الزعمه
وخصوصا نساء الانكليز فهو أوسع من أن يحصر في هذا الكتاب .

الفصل الثامن عشر

في شكاة وشكوى

ثم رام الفارياق أن يستأجر شقة دار ليسكنها هو وأهله فرأوا عدة
أما كن لم تخل من عيوب . وكانت الفارياقية في خلال ذلك تتمعص من
ارتفاع الدرج فان بعضها كان يشتمل على مئة وعشرين درجة فأكبر .
حتى اذا تبوأوا محلا وجدوا موقده رديئا . فلم يمض على ذلك أيام حتى
طفقت تشكو وتقول . يا للعجب كيف تنخدع الناس أحيانا بشيء وتنوه
بهذون تحقق معرفة حاله . ومتى يستقر بياهم وجوده على حال من الاحوال
يعد تغيير وهمهم عنه محالا . حتى أن تغيير الوم من الخاطر يكون أصعب
من تغيير اليقين . لان من يقن شيئا فاعما يتيقنه عن علم . ومن طبع
العلم أن ينظر دائما في الحقائق واضدادها ولا يزال باحثا عن الصحيح
والاصح . فاما الوم فلا يدخل الا رأس الجاهل . ومتى دخل فلا يكاد

يخرج منه . مثال ذلك وم الناس أن مدينة باريس هي أجمل مدينة في الدنيا . مع أنني رأيت فيها من السيوب ما لم أراه في غيرها . انظر الى طرقها والى ما يجري فيها من الدم والتجاسة ومن المياه المتنوعة الألوان . فمن بين أخضر كياه الطحلب وأصفر كياه السكر كياه وأسود كياه الفحم . ويتلاحق بها جميع أقدار المطايخ والمرافق . وراحتها ولا سيما في الصيف أشد أذى من رؤيتها . فهلا جعل لها منافع تحت الارض أو أليات تنفذ منها الى نهر أو غيره كما في لندن . وانظر الى مبلط هذه الطرق حيث تجرى المراكب والعجلات . فانك ترى حجارته قد اختلت وتباعده بعضها عن بعض حتى عاد سير العجلات عليها كطلوع غصبة أو درج فهي لا تزال تهتز وتضطرب . وبسبب ذلك أن البلاط هنا يفرش فرشاً غير مرصوص ولا منظم بعضها الى بعض فاذا أنت عليه سنون زاد تباعداً وتحملخلاقاً في لندن فانه يرض بعضه الى بعض فاعاً فتسير عليه العجلات سيرا سريعاً سهلاً بلا قرعة ولا اضطراب . وانظر أيضاً الى برازيق الطرق هنا أى حيث تمشى الناس . فما أضيقتها وأقصرها وأقل جدواها . ففي كثير من الحارات لا يمكن لاثنتين ان يمشيا معاً على حافة واحدة منها . بل هي لا توجد راساً في كثير من الطرق او يوجد غير كلمة من الاول الى الاخر فتراها قد تعطلت في موضع واختلت في آخر . وانظر الى هذه الانوار القليلة في الاسواق والى فوانيسها البارزة من الحيطان والى بعد المسافة ما بينها . فقد يمشي الانسان في أكثر الطرق من فانوس الى آخر أكثر من مئة وعشرين خطوة . وانظر الى صغر هذه الحوائط وقلة انوارها وبؤس اهلها وشحهم . فقلما تجد عند احدكم ناراً . مع ان هذا الشهر هو من ابرد الشهور . وتأمل هذه الديار وعلو طبقاتها وكثرة درجها ووسخها وفساد ترتيب مرافقها ومراحيضها . فقد تجد في الدار الواحدة عدة مراحيض بجانب المساكن وعدة مصاب للماء والاقزار .

وناهيك ما يخرج منها صباحاً من الروائح الخبيثة . ومع كون هذه المراحض
 قدرة نجسة خالية عن لواب الماء فليس لها مزاليج من داخل ليامن
 اللسان في حال خلوته من انبعاث احد عاينه . فكثيراً ما يدمق عليه
 دامق ولما يكن اتي على اخر ما عبده فيلحقه بالبدغ والامدر او الماصع
 او الجازم او الراطم او الزرم (١) وقد سألت عن سبب ذلك فقيل لي ان
 صاحب الدار اذا كان متورطاً يتخرج من وضع المزاليج خيفة أن يدخل
 بمض الساكنين والساكنات معاً ويحصنوا بها . ومن أقدر ما يرى في
 حيطانها آثار أصابع مختلفة فكان الفرنساوية يستطيعون الاستطابة
 باصابعهم . وحين ينظفونها ليلاً تخرج رائحتها الخبيثة وتنتشر في الحارة
 كلها . فلا يمكن للألسان أن يبيت الا مسدود المنخرين . ثم ان هذه
 الديار ما عدا كونها تشتمل على ست طبقات فاكه . وعن ذلك وعن فساد
 التبليط يسمع لمرور العجلات قرعة زائدة كما لا يخفى . وما عدا كونها
 تحوي سكاناً كثيرين ما بين فاجر وفاجرة ومستهتر ومستهترة . فان كثيراً
 من مساكنها لا يصلح للسكنى لخلوه من النور والهواء . ولا يكاد الانسان
 يستريح في محل منها . فانه إما ان يجده قريباً من المرحاض . أو يجد
 موقده رديئاً . أو يجد فيه قاراً أو جرداناً . أو يجد جاره ذا صخب
 ووقاحة ينفى النهار والليل أو بعزف الآلة طرب . أو يخلو بالمومسات على
 هرج ومرج وقرقرة وكركرة . وان من داخلها ما يضحك ويبكي .
 فالضحك ما يرى من الخلل في هندمة الابواب والشبابيك وفرش البلط
 بالآجر واتصال بمض المساكن ببعض . والبكى رؤية هذه المواقف فانها
 مبنية على شبه القبور وذلك أول ما يخطر بال داخل الى مسكنه . فهي

(١) البدغ الحارثى في ثيابه ونحوه الامدر (ومصع) بسلحه على عقبيه
 اذا سبقه من فرق أو عجلة (وجرم) بسلحه أخرج بعضه وبهى بعضه
 (ورطم) السلح حبسه (وأزرمه) قطع عليه بوله

جديرة والحالة هذه بأن تكون صوامع للربحان المتبتلين لامضاجع للناس
 المتزوجين . وأغرب من ذلك أن ابواب الدبار لا تزال مفتوحة .
 وأن البوابين يتعاطون الحرف والصنائع في كن لهم يلزمونه ليلا ونهارا .
 فمنهم من يشتغل بالخطاطة ومنهم بمحذو النعال وقلها وغير ذلك . بحيث أن
 كل انسان يمكنه ارتقاء اندرج بلا مانع . وقل ان يبصر البواب من كنه
 أحدا لأن عينيه أبدا ملازمتان للابرة أو الاشفى . ولذلك كانت دواعي
 الفساد في باريس أكثر منها في لندن . وما يرى هنا من الديار البهية والطرق
 الواسعة الحسنة فأعسا هو حديث عهد . فكيف كان لباريس شهرة في
 الزمن القديم وديارها العتيقة وطرقها المهيبة مما ينبوعه الطرف وتقذره
 النفس . فإين هذا من شوارع لندن الرحيبة الوضيئة ومن دكا كنيها الواسعة
 الظريفة المزججة باحسن الزجاج وأنفسه . ومن ديارها النظيفة المهندمة .
 قال فقلت ومن حكاكات أعتابهم . فقالت ومن أعتاب حكاكتها . ثم
 استمرت تقول ومن مساكنها الانيقة ومن درجاتها الحسنة التي لا تزال
 مكسوة بالراني الفاخرة . ايم الله أن صعود خمسين درجة منها لاهون على
 من صعود عشر درجات هنا . وأين تلك المواقد البهية المصفحة بالحديد
 اللعاع المجلو في صباح كل يوم . وتلك الشبايك والطيمان المحسكة
 الزجيج . واين تلك المطامح التي لا يرال فيها نور الفاز متوقدا والماء
 الساخن عتيدا للسكان . وكم فيها من وصايق خرد . يتمنى اعظم الحدوديين
 عندنا أن يكون لاحدها من خادما أو طبائحا . قلت بل لا بجا . قالت أو
 لا حسا . الا وأين حسن نهر نامس وما فيه من سفن النار التي تسير الى
 ضواحي لندن في الصيف وفيها آلات الطرب . فتواها ملائمة من الرجال
 والنساء والأولاد فكأما هي رياض مزينة بالأزهار . وأين تلك الحدائق
 الكثيرة وجودها في كل جهة في المدينة وهي التي يسمونها تراسيع . ومن
 يسكن في غرفة مظلة عليها يحيل له أنه مريف . فاذا مشى بمض خطوات

وراءها رأى الناس وازدحامهم اقبالاً وأدياراً . ثم أين تلك الانوار المتوقدة في كل من الطرق والدكاكين . بحيث انك اذا كنت في أول الشارع وسرحت نظرك الى آخره أدعشك حسننها وازدهارها . وظننت انها لسق كواكب قد نظمت في سلك واحد . وانما يمدح باريس من لم يكن قد رأى لندن أو من رآها بعض أيام ولم يعرف لسان أهلها . ثم أين ملاطفة مكريات المساكن ورقفهن بالنازل عندهن غريباً كان أولاً . فان الغريب اذا تبوأ منزلاً عندهن يصبح وقد صار واحداً من أهل البيت . لان كلا من صاحبة المنزل ومن الخادمة . وما أدراك ما الخادمة . تلاففه وتؤانسه وتقوم بخدمته وتطبخ له وتشترى له ما شاء من السوق . وتطلع اليه كل يوم بالماء الساخن وتضرم له النار وتمسح نعاله . لعمري ان النازل عندهن يمكنه أن يتعلم اللغة الانكليزية بمحاورته معهم في أقصر مدة .

قاما في باريس فان النازل في أحد هذه المساكن قد يموت في ليلته ولا يعلم به أحد . فان بينه وبين البواب بعداً باعداً . وفي أكثر المساكن هنا لا يجد الانسان جرساً ليطنه فيحرك له البواب . ثم أين استقامة تجار لندن وصدقهم في البيع والشراء وتوددهم الى الشاري وأمانتهم معه من تجار باريس الذين لو قدروا على سلخ جلد المشتري ولا سيما اذا كان غريباً لمسا تأخروا . وانهم قد حاكوا تجار لندن في وضعهم بطاقة الثمن على البياعات . ولكن هيهات . فان من سعر حاجة بمئة فرنك مثلاً يبيعها بثمانين . وقد يضعون في وجوه الحوانيت أصنافاً من البضاعة مسعرة فاذا أردت أن تشتري شيئاً من ذلك الصنف جاءك بصنف دونه في الجودة . وحلف لك أنه من عين ذلك الراموز . ولا يزال بك مبرراً ومثزراً وحالفاً وحائثاً حتى تشتريه حياءً أو خصماً للزراع . وغير مرة يعطون الشاري فلوساً أو دراهم زائفة . فلما باعة المأكولات والمشروبات فانهم أكثر غشاً وشططاً في هذه المدينة من سائر الناس . ولهم في

الوزن لباقة لم أرها عند غيرهم . وذلك ان من باعك شيئاً موزوناً بطرحة في كفة الميزان بمجلة وهو ج كالفضبان من رؤية سبحتك أو على الميزان . وأول ما تميل به الكفة يرفعه بلباقة ويسلمه لك . ولو أرسلت اليه خادمك أو ابنك لباعه نقاية ما عنده وكان على السجدة أشد غضباً . هذا ما عدا غشهم المأكول والمشروب وتغييرهم الاسمار بتغيير الاوقات والاحوال . وهذه اللباقة معروفة أيضاً عند باعة الاصناف كيلا وذرعاً . فاما ما يقال في مواضع التزهر والحظ في باريس وذلك كحديقة قصر الملك وما يليها فلمري أن من رأى حدائق كرميون وفكس هال وروجفيل (Crémorne Gardens, Vauxhall, Rosierville) التي في ضواحي لندن ما عدا حدائق كثيرة في حاراتها فلا يطاوعه لسانه بعدها على ذكر غيرها . نعم ان حديقة القصر هنا حسنة على صنرها لكونها في قلب البلد وتلك منحازة عن الوسط . ولكن آه من قلب هذا البلد . كم من فاسدين وفاسدات تجمع هذه الحديقة في كل يوم فهي عبارة عن حابور . لان النساء يتجنبنها ليتصيدن منها الرجال . اذ تجلس المرأة على كرسي بجانب رجل ممن أعجبها وهي لا تعرفه . ويكون بيده كتاب يطالعها ويدها منديل تحيطه أو نحو ذلك . فيطلق هو يقرأ في الكتاب كلمة وينظر اليها نظرة وهي كذلك تمل ملة وتهجل هجلة فلا يقوم الا وهما متماشقان . حتى اذا كان اليوم القابل تبدل كل منهما مقامه وعشقه . أما الجمال فليس من مناسبة بين جمال نساء باريس ونساء لندن فالذابة أو الخفوت هناك تعد هنا عبها (١) ولعزة الجمال هنا صار عزيزا فان الشيء متى عز فمكان كلف الناس به اكثر وتنافسهم فيه أشد . ومن أعجب العجب عندي أن الجميلة الرائمة في لندن تطوف باخلاق من الثياب . والدميمة الشوهاء في باريس ترفل

(١) الخفوت المرأة تستحسن وحدها لا بين النساء .

بالحرير والكشميري . فأما مواضع الرقص فأنها في لندن تفتح كل ليلة
وفي باريس ثلاث مرات في الجمعة لا غير . وفي أكثر شوارع لندن
تسمع الغناء من جوارى حسان وآلات الطرب ليلاً ونهاراً من دون غرامة
ولا كلفة . وليس كذلك في باريس إلا ما ندر . وغاية ما يعال في التنويه
بباريس وفي تفضيلها ان فيها مواضع للشراب والقهوة طريفة يجلس
داخلها وخارجها الرجال والنساء متقابلين ومتدابرين . فهل لمجرد العمود
على كرسي يحكم لها بالفضل وتشتهر عند الخاصة والعامة من اعصر
متعددة بأنها أجمل مدينة في العالم . ثم أين حشمة فتیان الانكليز وتأديهم
مع النساء سواء كانوا في البيوت والشوارع من فتیان الفرنساوية هؤلاء
المصاهيص الذين يهصهصون ويهصصون (١) في وجوه النساء حرائركن
أو بغايا . ومعنى ينظروا امرأة مكبة لربط شرك نعلها يطيفوا بها فيصيروا
لحقتها حلقة ولحمارها حماراً . ولا سيأحين يأتون الى هذه المناصع ويبدون
فيها متادفهم — قل فقلت استمرى في الحديث وقولي ما شئت بحيث
لا تفنن على المتادف . قالت أنفاز علي أيضاً من الوقوف بالكلام . وإنما
وقفت بهراً من هذه الدنيا المبسية على الناذية والمذوفية . لاجرم لو أني
كنت في مقام ملك أو أمير لما أكلت مما مسته أيدي الرجال شيئاً . وبينما
هما في الكلام اذا برجل يطرق الباب . ففتح له القاريق وهو مستعيز
من دخوله على ذكر المتادف . واذا به يقول . قد سمعت بقدمك خاتيتك
رغبة في ان أقرأ عليك في العريية شيئاً وأعطيك في مقابلة ذلك خمسة عشر
افرنكا في الشهر . فلما سمعت الفاريا في أغربت في الضحك على عاداتها
وقالت لزوجها . دونك أول دليل على كرم أصحابنا هؤلاء الذين طبل بذكركم
العالم وزمر . فقال له القاريق ما أريد منك مالا وإنما تبادلني الدرس في
لغتك عن لغتي . فرضى بذلك . ثم زاره احد علماء باريس بعد أيام

(١) المصهاص البراق المنين وهصه غزه .

وقال له قد بلغنى قدومك وانك مولع بالنظم . فلو نظمت أبيتاً على اربس
وذكرت ما فيها من المحاسن لعام ذلك عند أهلها معام توصية بك . لان
الناس هنا يحبون الاطراء والتخليق أي يحبون ان الدخيل فيهم يطريهم
بالا راء . واذا كانوا هم دخلاء في غير بلادهم أطرأوا على حكام تلك البلاد
ونالوا عندهم الوجاهة والسكانة . فاجابه الفارياق الى ذلك ونظم قصيدة
طويلة في مدح بارس وأهلها سهاها الهرفية لانه مدحهم بمجازفة من قبل
أن يعرفهم . وستأتي مع تقيضتها الحرفية ومع نبذة مما نظمه بباريس في
القصل العشرين . فلما وقف العالم الموما اليه على معانيها استحسناها جأداً
وترجمها الى لغته . وتوصل في ان طبع الترجمة في احدى الصحف الاخبارية
وجاء بنسخة منها الى الفارياق وهو يقول . قد طبعت ترجمة قصيدتك
في هذه الصحيفة وقد وعدتني جمعية العلم الآ-ياوية (نسبة لاسيا) بان
تطبع الاصل العربي في صحفهم العلمية . لكونك أول شاعر
مدح بارس باللغة العربية . فشكره الفارياق على ذلك وقال له اني
أريد نسخة من هذه الترجمة . قال انها تباع في مكان مكنا بتحوثاني
فرنك فسار واشترى نسخة . ثم قدم عليه بعد أيام بعض من قرأ تلك
الصحيفة وهو يقول . قد قرأت ترجمة قصيدتك وأعجبتني . فهل لك في أن
تبادلني الدرس . قال هو كما اريد . فاستمر يزود عليه أيلما في خلالها عرفه
بالعالم المشهور مسيو كترمير (Quatremère) وهذا العالم عرفه بدرس
اللغة العربية مسيو كسان دبرسفال (Caussinel de cavai) ثم
تعرف أيضا بالمدرس الثاني مسيو رينو (Reinaud) ولكن كانت معرفته
بهم كدادة التعريف في قولك اذهب الى السوق واشترى اللحم . ثم زاره
أيضا أحد الاعيان الذين يتقدم أمياهم اداة وهي علامة النبالة
والشرف وهو مسيو دوفورت (de Beaufort) وكان له اخت في
دارها مدرسة تعلم فيها بعض بنات الكبراء . فلما حان وقت امتحانهم في

العلم صنعت مآدبة في بعض الليالي وادبت اليها الفارياقية وزوجها فقال
الفاريق لزوجه . هاءك مثالا على كرم القوم فقد مضى عليك مدة وأنت
تشكين من الوحدة ومن بخل من تعرفت بهم وتقولين أنهم لم يأدبوك
قط . وقد كان يادبك في بلاد الانكليز من كان يعرفك ومن لم يعرفك .
حتى انك كثيرا ما كنت تفضجر من ذلك . لما انه كان يلزمك له تقيه
زيك ووقت غدائك وحرمانك من الدخان . فابشرى الآن أن اصحابنا
بالخير قمينون حريون . قالت نعم منهم قمين حري . ثم سهراتك الليلة
عند اخت الد الموما اليه على أحسن حال وأدبى بال . فرجست الفارياقية
الى منزلها بقلب آخر وهى تقول . لعمري لقد تفضل بوفورت وأحسن كل
الاحسان . وقد رأيت من نساء الفرنساوية من البشاشة والطلاقة ما
أكن أصدقه . نعم ويمجبنى منهن هذه الفئة والخنة التى تكثرنى كلامهن
وهذا هو الذى جعل اللغة الفرنسية فيما أظن مستحبة . وهى من
الاولاد أشجى وأطرب . قال فقلت الظاهر أن العرب تحب المخنخنة .
فقد قال سيدي صاحب القاموس نخم وتنخم دفع بشيء من صدره أو
أنفه . ونخم لب وغنى أجود الفتاء . فضحككت وقالت اظن صاحبك
كان يهوى مخنخنة واني أشفق من انك لا تلبث أن تسرى اليك عداوة .
سألت بان الفئة بل اللثة بل اللدغة تستحب من الغلمان والجوارى .
واكن هل يطبق فتى أن يسمع عجوزا خفيفة تخنخن عليه في أنفه .
وهل تطبق شابة خنة شيخ هرم في خياشيمها . نعم ويمجبنى من العامة
في باريس أنهم لا يستخرون من الغريب اذا رأوه مخالفا لهم في زيهِ وأطواره .
بخلاف سافلة لندن فانهم يسلقونه بالكلام . بل ربما تكلف الواحد منهم
أن يتأديه من مكان بعيد حتى يبع . وما ذلك الا ليقول له انك يا غريب
دموى ملمون . ولعل في ذلك مخطئة . قال فقلت بل مصيبة فان جميع
الناس يثنون على أدب القملة وسائر العامة في باريس وعلى حسن كلامهم .

ثم لبثا مدة وهما يقابلان محاسن باريس بمحاسن لندن . فما كرهت الفارياقية في باريس غاية الكراهة هو أن النساء يرخص لهن في دخوله الديار مهما يكن من تخالف أنواعهما . وزعمت ان ترتيب الديار في لندن بهذا الاعتبار احسن . فقال لها الفاريق لا يتكر أن ديار لندن أحسن ترتيبا باعتبار أن درجها قليل وأن سكانها قليلون ملازمون للسكون . وأن اعتبارها تحك في كل يوم . وأن في مطابخها ربلات قديمة . وأن داخلها مهتدم مفروش بالبسط الجيدة الا انها بلو النار . فأما ديار باريس فانها ابقى على الاحوال ومنظرها في الخارج ازهى . فاما منع المومسات عن دخول تلك وترخيصهن في دخول هذه فهو في ظنى دليل على اتصاف المومسات في باريس بالادب . بخلاف مومسات لندرة فانهن يهتكن في الشرب والومس . ولذلك منعهن من الدخول الى السكان . وهناك سبب آخر وهو ان بنايا باريس معروفات في ديوان البوليس واسماؤهن مقيدة فيه . فلا يصجرأن على التفاحش والتهتك وان كن فواحش . فاما بنايا لندرة فقد خلين وطباعهن . ثم مضت مدة على الفارياقية وهي تقاسي من الخفقان المأمرح . فكان يلزمها ايما متوالية ثم يخف عنها . وفي خلال ذلك ادبت مرة اخرى عند اخت الد . فسارت مع زوجها وهما متعجبان من هذا التكرم الذي لم يجدا له في باريس نظيرا .

ثم اشتد بالفارياقية المرض ولزمت الفراش فاحضر لها طبيبين من أئتمساوية فعالجها مدة حتى افاقت قليلا . وكانت اخت الد قد تزوجت برجل اسمه (Ledo) فلما جاء اخوها ذات يوم الى الفاريق على عادته وجد الفارياقية تن وتشتكو من بلوغ الالم منها . فقال زوجها الواستوصفت صهرى دواء لزوجتك فانه خبير بخصائص النبات وقد ابرأ كثيرين من هذا الداء . فسار اليه الفاريق وسأله ان ياتي معه ليرى زوجته . فقال له

أني غير مرخص لي من الديوان في مداواة المرضى ولكنني لا آبي ان آتي معك رجاء ان يحصل شفا امرأتك على يدي . ثم آتي ووصف للقارياقية ان تشرب ماء بمض اعشاب تغلي ويمث لها من ذلك بستة قراطيس . فلما فرغت وطلب القاريق غيرها جاءت اخت الداعني زوجة المتطبب تقول . ان زوجي يتقاضا كم خمسين افرنكا ثمن القراطيس . فلما سمعت القارياقية ذلك تراجع اليها نشاطها وبادرتها اجمع وقالت لها . اما تستحيين ان تطلبي هذا المبلغ على ستة قراطيس من العشب وزوجك ليس بطبيب . فقال لها زوجها ولكن اذكري ان المرأة ادبتنا الى شرب القهوة والشاي مرتين وقد تمهلناهما بأشياء من الحلواء والكمك فلا ينبغي مقابعتها . ثم بعد جدال طويل ونزاع وبيل رضيت اخت الدبان تاخذ نصف المبلغ المذكور فاقبضها اياه القاريق فولت وهي مدممة وانقطع اخوها عن الزيارة . ومن هؤلاء المتطبيين من اذا رأى غريباً بش في وجهه واحتمى به ودعاه الى منزله وواصل زيارته الى ان يراه يشكو من سعال او غيره فيصف له دواء . ثم يتماضاه غرامة رابية على كل زيارة جرت بينهما من أول تعارفهما . ويأتي بحيرة المحل شهوداً على الرجل في انه كان كثير التردد على منزله وادعى ان مرضه كان مزمناً . وحامل لواء هذه ازمرة اللثيمة هو دلكس (Dalks) المتطبب المنيم في ابدرة في الى مداواة القارياقية . فلما نفدت اشارة عليها بالسفر من باريس فاستقر الرأي على تسفيرها الى مرسيلية . فذالت زوجها قد طاب الآن لي السير . من ارض ما فيها خير . هؤلاء معارفك الذين ايتهم بكتب توصية من لندن والذين تعرفت بهم بعد ذلك هنا توصية علمك لم يدعك احد منهم الى الجلوس على كرسي في بيته . وهذا لامرتين الذي ابلفته كتاب توصية من الشيخ مرعي الدحداح في مرسيلية كتبت اليه تسأله عن امر فلم يجبك .

مع انك لو كتبت الى الصدر الاعظم في دولة الانكليز لا جابك لا عمالة
سواء بالسلب او الايجاب . وهذا المتطرب صهر الد غرمتا على ستة قراطيس
خمسة وعشرين افرنكا . مع ان هذا الطبيب المساوي وصاحبه قد
عالجني مدة وعينا في ولم يتقاضياك شيئا . وكذلك تفعل اطباء لندن
جزاهم الله خيرا . افسكل الناس يكرمون الغريب ويرفقون به الا اهل
باريس . لقد كنت اسمع انه يوجد في الدنيا جيل ملاذون ملائون
ملاقون ولاذون ولثيون محاحون مرامقون ذملقيون نماذقون غملجيون
مبذلخون مطرطرون مطرمذون خيتعموريون مبهلقون مرامقون مذاعون
طرفون خيدعيون قشعون مقطاعيون أعفكيون مجذاميون جذامريون
كموصيون هلمعيون منبجيون تلماظيون بذلاخيون وما كنت ادري أي
جيل هم . قالآن اغني الخبر عن الخبر . وتحققت ان هذه الصفات التي
كنت استكثرها ان هي الا بعض ما يقال في اهل هذه المدينة . فان
مودتهم ينطينية أي تنبت سريعا كاليفطين ولا تلبث ان تذوي . ومواعيدهم
عرقوية طالمسا وعدوا فاخلقوا . ومنوفازهقوا . وخالفوا فحشوا . وعاهدوا
فنكشوا . يبشون بالمغتربهم ويهشون . ثم هو ان لازمهم ملوه . وان غاب
عنهم نسوه . وما ينجزه غيرهم بنعم ولا فهم يرتبون فيه اياما وليالي .
يبدأونه باساطير طويلة . ويختمونه بتماتروبيله . فاما بخلمهم على غير
المراقص فيضرب به المثل . وناهيك ان نارهم في الشتاء كنار الحباحب .
ولوانهم اوقدوا : ر كنار الانكليز لرأيت جوم اكثر دجنة ودكنة من
جوا أولئك . وانهم في الصيف لا يستسرجون . وما عندهم غير هذين
الفصلين من فصول السنة . فاما برد غارم . وإما غم ملازم . الا وان
احدم لينزل الا فرك اجرة من يعمل له منزلة الدينار عند الانكليز . على
ان بلادهم اغلى اسعارا من لندن في لوازم المعيشة أو مثلها . رأيت انكليزي
يعمل حسابه بالفلس كما يعمل اهل باريس حسابهم بالصنتيم . بل ان

كثيرا من الانجليز لا يعلمون كم في صيدهم من فلس . نعم وان أحدهم
(أى أهل باريس) يكتب اليك مکتوبا في شأن مصلحة قضيتها له ولا
يدفع جماله . ولقد يضحكني من فقرهم انهم يا كلون ابشع المأكول ولا
تزال امعاؤهم ملأى من شحم الخنزير . ثم هم اذا خرجوا الى الحافل
والمثابات والمنعوا في التمثل والرفلان غاية ما يمكن . وان كثيرا منهم يفلتون
في الصيف كواهم وشبايبهم ولا يفتحونها ابدا . يوهمون الناس انهم قد
ساروا الى بعض منازله الريف ليصيفوا فيه كما يفعل كبارهم . وان كثيرا
منهم ليتقوتون بالغبز والحين نهارا ليدوا الى الملاهي والملاعب ليلا . وان
اشرافهم وذوي الد منهم يا كلون مرتين في اليوم ويفطرون على عمار
البحر . والناس كلهم يا كلون ثلاث مرات والانكليز اربع مرات . ولكن
معاذ الله ان تكون الفرساوية كلهم كهل باريس . والا فياخسر ماضع
الثناء عليهم كما ضاع ماء الورد في غسل مرحاض . فأما نساء باريس
المضروب بادبين وظرافتهن المثل فلمري انهن جحر مجخرات (١)
واكثرهن لا يستوغلن ولا يتلجن ولا يمتكن ولا يشمذن ولا يستنجين ولا
يتخذن القرام ولا المانيء ولا القراض ولا التمل ولا الجدائل ولا المماحي

(١) الجحر محركة راعمة مكروهة في قبل المرأة وهي جخرام (واجخر)
غسل دبره ولم يبق فبق تنه (واستوغل) غسل مقابنه (واللجام) ما تشد
الحائض وقد تلجمت (واعتركت) اختشت بخرقة (وشمذت) المرأة
فرجها حشته بخرقة خشية خروج رحمها (والقرام) دواء تنضيق به
(والمعباة) خرقة الحائض (والقراض) جميع فرصة وهي خرقة أوقطنة
تتمسح بها المرأة من الحيض ونحوها التمل جمع ثملة والربذ (والجدائل)
جمع جديلة وهي شبه اتب من آدم تاي زربه الحيض (والمماحي) جمع
مماحة وهي خرقة يزال المني ونحوه .

ولا الربد . وليس لمن من نظافة الاعلى مظهر منهن من هو قميص ومنديل وجورب . ولذلك تراهن ابدا يكشفن عن سيقانهن وهن ما شيات في الاسواق صيفاً وشتاء . بدعوى رفع اذيالهن عن ان تمس التجاسة في الارض . فن تكن منهن سوقاء افتخرت بساقها وبجوربها مما . ومن تكن نواء افتخرت بالثاني . وليس في نساء الارض كلها اكثر منهن فيها وعجبا وزهوا وإرباً وتمنصاً وخداعا وحابة وغطرفة وتبغتجا . سواء كن قباحا أو ملاحا . طوالا أو فصارا وهو الغالب فيهن . عجائز أو صبايا . حرائر أو بقايا . ذوات لحى وشوارب أو ثقيات الخد . مذكرات الطلعة والسحنة أو لا . على اني لم أر في جميع النساء تذكراً الا في نساء باريس وارلندة غير ان هؤلاء لسن مزهوات معانيج كالباريسيات . وإنما الذي صيرهن الى ذلك هو شدة شبق الرجال عليهن . وقرمهم اليهن . فترى الفرهد الفسائي مخاصرا لسعلاة منهن ومتذللا ومطيعاً لها . فلقد اصاب الذين يتزوجون منهم في بلادنا الجوارى السود تخلصاً من امرهن وسرفهن . وقد رأيت عامتهن لطاعات أي يمصصن أصابعهن بعد الاكل ويلحسن ما عليها . فاما ذوات الشرف فانهن يفسلن ايديهن في فتجاة على المائدة بحضرة المدعويين ويتمضمضن بالماء ثم يعذفته فيها . فهل ذلك يعد من الظرافة والادب . اليس فعلهن هذا افظع من التجنى عندنا . وإنما يمدح محاسنهن ويهيم بهن من التمت عينه النظر اليهن بعد مدة . وهب ان نساء باريس ظريقات كيسات ولكن ما شأن هؤلاء النساء اللاتي يقدمن من السواد والبراغيل والرنانات والرساتيق والمذارع والديساكر والقلاييح . فنهن من تعطي رأسها بمنديل فلا يبين منه الا شعيرات من عند قودها . وعنهن من تلبس طرطورا من القماش على رأسها . حتى ان اهل باريس لا يتما لكون ان يضحكوا حين يرون واحدة من هؤلاء الباديات . وأقبح من ذلك لهجتهن .

وفي باريس كثير من النساء يكنسن الطرق ويماطين اعمال الرجال .
وفي بولون وكالي ودباب وهافر وغيرهما من القرض تجد النساء يحملن اطفال
المسافرين على ظهورهن ورؤوسهن وليس في بلاد الانجليز كلها من حملات
الا لصحاب الاطفال . وزين كلهن سواء فكيف يزعم القرنساويون
انهم جميعا متمدون . ولمعري لو كانت النساء في بلادنا يفرجن في
الاسواق سوافر ويدين قوامهن وخصورهن وسوقهن كنساء باريس
لما تركن هن ان يذكرن معهن بالجمال والظرافة اصلا . الى مصر بلادا لحظ
والأرب . الى الشام معان الفضل والادب . الى تونس نعم الدار فيما اكرم
العرب . كفاني من الافرنج ما قد لقينته وعندي ان اليوم في قريهم عام
الادعنى أسافر من بلاد اسقمت بدني . بما أكلها ومشربها وبرد هوائها
القطن . فقال لها القاريق ان كنت تطيقين السفر فشأنك . فقالت لموتي
في الطريق الي أشهي من التخليد في دار اللثام . فن ثم تاهبت له غير انه
حصل لها في غير ذلك ، اليوم من الضعف والألم ما منعه عن الحركة .
(وتفصيل ذلك يأتي في الفصل التالي)



الفصل التاسع عشر

في سرقة مطرانية ووقائع مختلفة

لما نكبت نصارى حلب وجرى عليهم من نهب المال وهتك العرض ما جرى . اجتمعت رؤسائهم في الدين وارتأوا ان يعيشوا من طرفهم وكلاء الى بلاد الافرنج ليجمعوا لهم من دولها وكنا نساها ومن اهلها الخيرين مددا يقوم باودهم . فاخارت الكنيسة الرومية الارثوذكسية الخوجا فتح الله مراش . واخارت الكنيسة الرومية الملكية المطران اتناسيوس التونجي مؤلف (كتاب الحكاكة في الزكاكة) . ورجلا آخر معه يقال له الخوجا شكري عبود . قاقبلوا يجولون في البلاد حتى انتهوا الى مملكة اوستريا فجمعوا منها مبلغا . وكان معهم منشور من مطراني الكنيسة المذكورتين في حلب يؤذن بوكالتهم من الطائفتين في هذه المصلحة . فلما فرغوا من بلاد النمسا قدم الخوجا فتح الله المزبور ورفيقه الخوجا شكري عبود الى باريس ومعهما ذلك المنشور . وبى المطران هناك على عزم ان يجتمع بهما في بلاد الانكليز . وانما لم يقدم معهما الى فرنسا مع انه هو وكيل الكنيسة الملكية وهى على مذهب الكنيسة الفرنساوية . لما انه كان سابقا ارتكب فيها من اساءة الادب وتعدى طور امثاله ما اوجب حبسه ثم طرده منها مدحورا . فخشى والحالة هذه ان يشهر امره هذه المرة فيها فيحيق به سوء عمله . فلما ابرز رفيقه منشور الوصاة لمطران باريس والنمسا منه المونة عجب من رؤيته اسم المطران التونجي المذكور فيه دون رؤية سعته . فقال لهما ما بال وكيل الكنيسة الملكية لم يحضر معكما فاعتذرا عن غيابهما باعذار لم يقبلها المشار اليه . وتذكرا ما كان فعله التونجي من قبل فردهما خائبين . وكان الخوجا فتح الله مراش ورفيقه يتردد ان

على القاريق مدة مكثهما في باريس . لكن تردد الاول اكثر . وانما انس به القاريق مع علمه بأنه رفيق التنجى لكونه رآه من ذوى المعارف والدراية ما عدا كونه متزوجا وله عيال . وقل من كان على مثل ذى الحال وانطوى على غش ودخل . لا العلم يلفظ العقل والعيال ترقق القلب ثم ارتبك المطران في رطمة في بلد من بلاد اوستريا وهو فيما اظن بولونيا . ففصل منه على نكظ وخزى وسار الى بلاد الانجليز مجتديا . ويومئذ ارسل الى رفيقه المذكورين ان يلحقا به . فما مضت بعد سفرهما ايام قليلة حتى ورد الى القاريق كتاب من كاتب اللجنة (أي جميعه اخوية) وفي ضمنه كراسة من كتاب كان قد عمر به القاريق من كتب العجم وفيها ما يسوء اللجنة . فايقن حينئذ بأن أحد رفيقي المطران عند تردهما عليه سرقها من مخدعة بأشارة المطران . وانه لما اجتمع به في لندن سلمها له فاهداها المطران الى اللجنة طمعا في ايبال الضرر من جانبهم الى القاريق غير ان اللجنة المذكورة لما كانت منطوية على اخلاق كريهة ددت الكراسة على القاريق . اذ لم يكن لهم بحفظها من مصلحة . وكان وروء الكراسة يوم عزمت القاريقية على السفر . فبلغ منها الفيض والحزن كل مبلغ حتى لزمت الفراش . فاما المطران فانه تصدى له في لتندرة بمضى رؤساء الكنيسة البابوية ومنعوه من تعاطي الحرفة الساسانية . حتى ان شنته وشهرته هناك عطلت ايضا على غيره ممن كان يجتديهم لمصلحة من مصالح الكنيسة . فحسبوا كل قادم اليهم من بلاد الشرق منافقا . اما القاريقية فانها قهت بعد ايام وصممت على السفر . فكتب لها زوجها كتاب توصية الى المولى المعظم سامى باشا المتفخم في مدينة القسطنطينية ثم شيعها وسفر معها اصغر اولاده تسلياً لها . ولما حان الفراق توادعا وتباكيا وتواجدا حتى اذا لم تعد العين تحييهما بالدمع وهى المسقفة والمسقبة والتنبيض رجع الى منزله مستوحشاً مكتئباً . وسافرت هي الى

مرسيلية فزال ما كان بها وشفيت أم الشفاء . لكنها لم تغير نيتها عن السفر الى اسلامبول . ثقة بأن هذا القراق يكون سببا في وشك اللقاء فلما بلغت مقام المولى المشار اليه وادت كتاب التوصية لولده التجيب الحسيب صبحى بك انا كان والده حينئذ غائبا . اكرم متواها واحسن اليها غاية الاحسان . وهذا مثال آخر على الكرم الشرقى ينبغى ان يبلغ مسامح الامراء الغربيين من الافرنج وفي غضبون ذلك نظم الفاريلق للمولى اليه قصيدة بمدحها على كرمه ومروفه . ولزوجته ايا تاءود عها ذكر ما لقي من وحشة النوى وستاني كما في الفصل التالى الذى هو خاتمة هذا الكتاب ثم انتقل من منزله ذاك الى غرفة وجعل دابه فى كل يوم نظم بيتين على بابها . ثم بلغه قدوم السيد الاكرم الامير عبد العادر الى باريس فاهداه ايضا قصيدة وتشرف بمجلسه . ثم عيل صبره من الوحدة فاستماله بعض معارفه الى اللعب بهذه الاوراق المزوقة فصار من زمرة المقامرین . لكن جهله بها كان غير مرة يبعث شريكه على العريضة عليه . فكان يرضى بان يكون حرضة فقط . (الحرضة امين المقامرین) ثم تعرف برئيس تراجم الدولة وهو الكونت ديكرانج فاما غيره من الترجمين وشيوخ العلم ومدرسى اللغات الشرقية فلم يطأ لهم عتبة . لانهم نفسوا عليه بمائهم وبضيحهم وبودهم وكلامهم ولقائهم حتى انهم ابوا ان يطعموا له قصيدته التى مدح بها باريس بعد ان وعدوا بذلك . وما كان خلفهم الا حسدا ولؤما



الفصل العشرون

في نبذة مما نظمته القاريق من القصائد والايات في باريس

على ماسقت الاشارة اليه

اي قاريق . قد حان القراق . فان ذا آخر فصل من كتابي الذي
اودعته من اخبارك ما املنى والقارئين معى . ولو كنت علمت من قبل
الاخذ فيه بانك تكلفنى ان ابلغ عنك جميع اقوالك وافعالك لما ادخلت
راسى فى هذه الربة . ونجشمت هذه المشقة . فقد كنت اظن ان صغر
جثتك لا يكون موجبا لانشاء تأليف كبير الحجم مثل هذا . واقسم انك
لو تابطلته ومشيت به خطى على قدر صفحاته لنبذته وراءك وشكوت منه
ومن نفسك ايضا اذ كنت انت السبب فيه . وما تمنى صداقتى لك اذا
وقفت على احوالك بعد الان ان اولف عليك كتابا اخر . ولكن اياك
وكثرة الاسفار . والتجرح بالقسيسين والنساء فى الليل والنهار . فقد
مللت من ذكر ذلك جدا . ولقيت منه عناء وجهدا . والان قد بقى علي
ان اروى عنك بمض قصائدك واياتك . ولكن قبل الشروع فيه
ينبغى ان اذكر حكاية حالى . وهى انى لما كنت فى هذه السنة بمدينة
لندرة وشاعت اراجيف الحرب بين الدولة العلية ودولة روسية نظمت
قصيدة فى مدح مولانا المعظم . وسلطانا المفخم . السلطان عبد المجيد
ادام الله نصره . وخلد مجده وفخره . وقدمتها لجنا ب سفيره المكرم الامير
موسورس . فبعت بها الى جناب فخر الوزراء سيدى رشيد باشا بلفه
الله ماشاء . فلم تمض أيام حتى بعث المشار اليه الى الامير السفير يخبره بانه
قدم القصيدة للحضرة السلطانية فى وقت رضى وقبول ووقعت لديها
موقعا حسنا . وانه صدر الامر المالى بتوظيفى فى ديوان الترجمة السلطاني .

فكان هد الخبير عندي اسر ما طرق مسمى . فينبغي لى الان ان اتاهب للسفر لاشرف بهذه الوظيفة . ولكن اعلم ايها القارىء العزيز انه لما كان همى وقصارى مرامى كله انجاز طبع هذا الكتاب قبل سفرى الى القسطنطينية وكان مكثى في لندرة موجبا لتأخيرى . لان أجزاءه المطبوعة كانت ترسل الى فيها لاصححها آخر مرة قبل الطبع . اشارالى الخواجا رافائيل كحلا الذى ولى طبع الكتاب بتفقته ان اسافر الى باريس تعجلا لطبعه فاجبت الى ذلك . وكان وقتئذ في مرسى لندرة سفينة نار للدولة العلية يراد تسفيرها بعد مدة . فالتفت من صاحبي الخواجا نينه الذي قدم مع الخواجا ميخائيل مخلص في مصلحة متجربة بان يراقب سفر السفينة ويخبرنى بذلك لثلاث نفوس فرصة السفر معها . وكان للخواجا نينه المذكور بعض حاجات وما آرب في باريس جعلها يختص بامراته فوكل بشراءها بعض معارفه هناك . حتى اذا اشتراها له أوعز اليه في ان يسلمها لى وكتب الى كتابا يقول فيه ان السفينة لا تلبث ان تسافر فالاولى سرعة رجوعك الى لندرة . فصدقت قوله واقبلت اسمى الى لندرة وانا موجس من ان تكون السفينة قد سافرت دونى . وتركت التصليح على عهدة الخواجا رافائيل الموماً اليه . فلما وصلت الى لندرة تبين لى ان نصيح صاحبي لم يكن مقصودا به حاجة حضوري ولكن احضار حاجته معى ليتوفر عليه بذلك جعلها ومكسها ولتزين بها زوجته قبل اقضاء اوانها . فان السفينة بقيت في المرسى مدة طويلة لتصلح آلاتها على علم من ناصحى . فكان قدومى الى لندرة هذه المرة الثانية سببا في تاخير الطبع ايضا لاجل لزوم ارسال الصحائف الى لانظرها قبل الطبع كما سبقت الاشارة اليه . ولولا ذلك لتجز الكتاب سرىما . غير انى احمد الله تعالى على انه لم يمرض له من الامور النسائية الا ما اوجب تاخير طبعه فقط دون ابطاله ونسخه بالكلية . فقد طالما اشغقت عليه من ذلك

كما كان القاريقي يشفق على فساد ترجمته من امثال هذه الموارد . وهذه القضية مصداق على ما قاله القاريقي في الفصل التاسع من الكتاب الرابع من انه قد يجتمع اثنان في زواج او شركة او غير ذلك ويكون قد قرر في بال احدهما ان له مئة على صاحبه . فتى وردت على سمعك يا صاحبي نصيحة من احد فانشر طيها واسير غورها لتعلم هل الفرض منها تفعل خاصة او تفعل ناصحك وحده او تفعلكما معا . ولكن لا ابتدئ . بنصيحتي هذه فاني لم اقصد بها الا مجرد تفعل فقط . واعلم يا قاريقي انه قبل تشرف قصائدك واياتك بادماجها في هذا الكتاب يجب على ان اشرفه والقارئ ايضا بالقصيدة المشار اليها وهي

الحق يعلو والصلاح يعمر	والزور يمحى والفساد يدمر
والبنى مصرعه ذميم لم يزل	آتيه عرضة كل سوء يشير
والوعد تبطره من النعم التي	يفنى بها الحرم الكريم ويشكر
طغت الطغاة الروس لما غرهم	في الارض كثر سوادهم ونجسوا
كادوا ويرجع كيدهم في محرم	فظلام دون القواضب ينحمر
المعتدون ولا نهى تنهائم	الظالمون القاسطون الفجر
تقفوا اليهود وكان ذلك دأبهم	لؤما وللمدوان بنيا اضمروا
حق رأى بعض الما ^٢ ر رأسهم	بخس الحقوق وساء من يستأثر
ابظن ان الدولة العليا السويد	وانه هو بطرس المتأخر
كلز ليرتدعن ثم ليعلمن	ان ريبها من يتفنيها يثار
يا مسلمون تمبثوا ان جاءكم	نبا عن الروس العدى وتبصروا
لا يفرركم كثير جموعهم	فالحق ليس بضيره المستكثر
يامؤمنون هو الجهاد فبادروا	متطوعين اليه حتى تؤجروا
هذا جهاد الله يحمي عرضكم	فاسخوا عليه بكل علق يذخر
في لن تناولوا البر حتى تنفقوا	مما تحبون الليل الاظهر

وتمسكوا بالعروة الوثقى من الصبر الجميل على القتال وذكروا
 يغنيكم التكبير والتهليل عن ان تعملوا فيهم سلاحاً يتر
 فالفقوهم بها كفاحاً تظفروا وعليهم صولوا وطولوا وانفروا
 واغزوهم بجرأ وبرأ واحشدوا ركبا وفرسانا ولسرم انسروا
 لو لم يكن منكم سوى قهرا غلبوا فكيف بكم وانتم اكثر
 من كل قتال اذا اعتصمت له يوما شعوب بل شعوب يدسر
 اتم عباد الله حقاً فاعبدوا للدين فهو بكم يعز ويحبر
 واحوا حقيقةكم فحفظ ذماركم فرض عليكم ليس عنه تأخر
 غاروا على الاسلام حتى ترفعوا اعلامه فلكم به ان تهخروا
 لا تسمع الاجراس في اوطانكم بدل النداء ولا يتجسس منهم
 وليسمعن اليوم في ارجائكم قرع القوانس بالظبي واتخذروا
 فلذلك اشعجى من عناء مطرب بمسمع النوم الذين به ضروا
 لكن بد الله القوية معكم توليكم ايذا فلن تنهقروا
 ما ان يقاويكم هم من عسكر لوان ملء الارض طرا عسكر
 قد قال في الذكر المفصل ربكم حقا علينا نصرهم فتذكروا
 ما الله مخلف وعده لعباده ان هم بمصمته اتقوا واستنصروا
 قد كان مولاكموها ولم يزل وزرا لكم ايان كنتم يخفروا
 ولربما شرعوا الرماح عليكم لكن على انفاذا لن يقدرها
 لن يعمل البتار الا ان يشا الله ما شيء سسواء مؤثر
 والنار منهم ان يرد اطفاءها برد فلا تلقى ولا تسعر
 واذا يشاء يثل عرشهم فلن يستقدموا عنه ولن يستأخروا
 عاروا على حرم مخدرة لكم قد طالما احصن عن يهر
 لا يقودهن اليوم عالج فاجر وسيوفكم بدمائهم لاقطر
 لوئن يكن نجسا ورجسا مسها فبخوضها قد حل ان تطهروا

الصبر محمود ولكن حين تنهك المحارم لا ارى ان تصبروا
 لاخير في عيش يفارف ذلة حاشاكم ان تفشلوا أو تدبروا
 شهد الاله بانه مولاكم ونصيركم فبحمده فاستظفروا
 والله قد وعد المجاهد منكم فتحاً مبيناً في الكتاب فابشروا
 ويوه الشهداء خير مبهوا جناب عدن ملكها لا يغير
 الحرب يدينكم سجال فائبتوا والنصر عقي امركم فاستبشروا
 في أهل بدر عبرة لكم الا ياقوم فلي تذكر المتذكر
 ابلوا ليرضى ربكم عنكم فمن ابلى فعند اللائميه يعذر
 كم بين من ياتي القتال تطوعا ومسخر كرها عليه يحير
 يتاده ويسوقه مولى له فظ زعيم غائم متفشم
 ويبيعه لو شاء للنخاس مع ولد له ويزوجه يتسرر
 لا عرض يمنهم ولا كرم لهم يثنيهم في الناس عن ان يفجروا
 يتزعون الى الفواحش حيث مع اهل الحامد قائم ان يذكروا
 وكذا الطعام اذا عدتهم مدحة ودوا مائة شهرة ان يشهروا
 سمدوا وانكن رب سعد داج للفائزين به اذا لم يشكروا
 وامل نسرم الدوم واقع فمن الهلال علاه ضوه يبهر
 لن يفلح العاثون ما عاشوا ولا العاثون ما رعدوا ولن يتيسروا
 أو لم يعوا ما جاءهم عن طغي من قبلهم بطراً واني دمروا
 أم يمجزون الله اذا على لهم عن ان يفار لقومه ان يتصروا
 أو ان يدمم بجند لا ترى وبمشتات نحر لا تبجر
 أو ان تخرمهم وهم مرحون في أمن رخيو البال ربح صرصر
 أو يرسل الطير الابايل التي قد اهلكتم امثالهم لا كثروا
 ما كان عباد البعيم ليطلبوا قوماً على اياك نميد يحتر
 من كان يرضى الله خالص سعيه في الناس فهو بكل خير مجدر

من لم يصح اذا لنصح وليه ركب الضلال ولم يفده المنذر
 من أبطرته لعمه المولى عتا عسفاً وغشمة يمين ويفدر
 من لم تكن تقنيه قسمة رزقه قاذا اشرب الى الزيادة يحسر
 من يتكل سفها على جندله دون الاله يحق به ما يحذر
 من ظن ان يقوى بقوة باسه وسلاحه وذويه فهو مغرر
 من غالب القهار تاد غيساً مستضعفاً وكلا يذل وبهر
 من سره في يومه كفرانه وافاه في غده العذاب الاكبر
 من كان يوما راغباً في عاجل عن أجل اودى به مايؤثر
 من كان من بين الوري سلطانه عبد المجيد فانه لظفر
 سلطاننا الاسمي الذي سددت به ايماننا وزهت فدته الاعصر
 نشر العدالة في البلاد فكنتا مستأمن في ظله مستبشر
 ولكل جيل في عمالكة يد منه وآلاه نعم ونعمر
 ما ان عدام عدله وامانه سيان ان هم اعسروا أو أيسروا
 اما اذا اتخذ المدي طاغوتهم ربا لناتمر الذي هو يأمر
 لسنا نروم بغير طاعته الى الرحمن من زاني ولا نتخير
 كلا ولا في غير خدمتنا له عرض واخلاص لنا وتبرر
 كفر المباح غير والمتدي بنيا وطغيانا عليه اكفر
 من ذا يحاكيه على ومناقبا ومن الذي فضلى حلاه ينكر
 لو انه اقترح الوجود تحكما ما زاد فيها غير ما تنتظر
 من جوهر الاخلاص صورذاته رب قدبر كيف شاء يصور
 ولاه أمر الدين والدنيا معا فهو الامام الحاكم المتأمر
 وهو الذي بين الملوك مقامه الاعلى يكرم هيبته ويوقر
 وهو الذي بين العباد محبب ومعظم ومبجل ومعز
 يستدفعون الضر فيهم باسمه وعلى المنابر حمده المتكرر

ان قال لم يستثن مما قاله احد وان يفعله فهو خير
 ليس الفرنج مشايبي اعدائه مام لهم حزب ولا م معشر
 افن يكون على هدى من ربه كغوى استهواه جيت منكر
 ام من له الخلق الكريم يقاس بالنكد اللثم جبلة وينظر
 أم يستوى في العرف والامكان من رهب الخزيل ومن يشع ويصمر
 ايه أمير المؤمنين وهن دعا ايه أمير المؤمنين فقد سوا
 سد بالمالى قائما كل الورى مجدا وشاتك البغيض الابر
 وسعت عوارفك المميمة سولنا الاقصى وما بالبال منا ينظر
 حتى لقد كلت خواطرا بما اقترحت وانت منقل لا تضجر
 نطق العبي بفرض مدحامفصحا حتى الجساد يكاد عنه يعبر
 ولقد أضاء الكون مجدك كله حتى استوى في ذا العمى والمبصر
 نظر الطغاة اليك نظرة حاسد فجرعوا مضضا بها وتحسرا
 ان يجلبوا قاله ما حق حبشهم أو يمكروا فلمكرو بك أكبر
 ان الحال من الحال اذا جرى بخلاف طيته وحق مقدر
 ما كان جمعهم سوي كسف هبت والشمس ليست بالهباء تستر
 ليست فروق (١) لغير عرشك وهى ما بقيت عن الفرقان ليست تقفر
 انت الذي بمدح وصفك تنجلي عنا الهموم وافقنا يصطر
 وتصح احلام الاماني في غد اللاهى بها والدهر انكد اعسر
 ما أن يقى نظم اللاكى مدحة لك بالهى من سحب كفك تنثر
 لم يبق ما بين الورى من ناطق الا وعن آلاء فضلك يخبر
 حرس الاله جنابك الاعلى ولا زالت عبادك فى حماء تحقر
 وادام دولتك العلية ما سرى نجم وما زخرت كجودك ابجر

أنشدت تاريخين هجريين في ختمي مديحك وهو خطي الاوفر
عبد المجيد الله أركى ضده سلطاننا خير بمجد ينصر
سنة ١٢٧٠ سنة ١٢٧٠

القصيدة الحرفية في ذمها

اذى عبقر في الارض ام هي باريس
زبانية سكاها ام فرنسيس
وهل ذى نساء في مواحلها ترى
والا مكل حين تخطر جاموس
وهل ذا شرار يجلب الهم في الدجى
الى البال ان تبصر به ام نباريس
وهل زفرة الدنيا ترى في هواجس
تمر كعير ظالع ام مطافيس
نعم انها ماوى الجحيم وشاهدي
شقيون في ساحاتها ومناحيس
وفسق وعليون فيها فواجر
على سرر مرصوعة وتناجيس
واكل من الزقوم يخبث طعمه
وشرب من الفسطين يسقيه اهلـيس
واعمدة تلقى الشياطين عندها
كان لها فوق الخباثت تأسيس

القصيدة الحرفية في مدح باريس

اذى جنة في الارض ام هي باريس
ملائكة سكانها ام فرنسيس
وهل حور عين في منازلها ترى
والا فكل حين تخطر بلقيس
وهل ذى نجوم ترجم الهم في الدجى
عن البال ان يخطر به ام نباريس
وهل زهرة الدنيا ترى في هواجس
تمر كعيرق خاطف ام طواويس
نعم انها خلد النعيم وشاهدي
رياض وحوض دافق وفراديس
ونهر وعليون فيها كواعب
على سرر مرفوعة واطاريس
وقاكهة مع لحم طير ونضرة
وراح وربحان وروح وترغيس
واعمدة تحبو السحاب وونها
كان لها فوق السماكين تأسيس

هنيئاً لمن منها نبواً منزلاً

وطوبى لمن فيها له تاح نمريس

إذا شدة أو كربة بك برحت

فصح اليها ففى للكرب تنفيس

فتونس منها وهي تونس غبطة

فبين المقامين اتحاد وتجنيس

وان تك يوماً قاطلاً من لبانة

فرؤيتها اطلاب ما منه ميثوس

بها ما يقر العين من كل اربة

وما تشتهى نفس وما تالف التوس

وفى ذكر ما فيها تلذ لثاذه

تطيب به عن غير وهو محسوس

هى المنهل المورد من كل ظامى

وللزائرها الخير اجمع مبجوس

هى الامن من جور الخطوب ذاعلى

عرب بها ضم يحاذر او بوس

نعم هي من عين الزمان تميعة

فما اما ذو عسرة وغدا فى سو

فما نعمة فيها تشان بحاسد

ولا صفو لذات يقاينه تسجيس

ولا بخس ذى حق من الناس حنه

فيا حسن دار حيث لا حق مبخوس

فلا ذام فيها يستبين امائب

سوى هادم الذات مادونه طوس

شقاء لمن منها نبواً منزلاً

وتما لمن فيها له تاح نمريس

إذا شدة أو كربة بك برحت

بها قاتعنها فهو لا كرب تنفيس

وبرز عليها ان يفتك ميرز

فبين المقامين اتحاد وتجنيس

وان تك يوماً طامعاً فى لبانة

فرؤيتها ياس ثلماً هو محسوس

بها ما يسوء العين من كل اربة

وما تحتوى نفس وما تكره التوس

وفى ذكر ما فيها يسوء اساءة

تفوق على ما خفته وهو محسوس

هى المنهل المسموم حثف لظامى

وللرائرها الشر اجمع مبجوس

هى الخوف من كل الخطوب ذاعلى

عرب بها الا الحاطر والبوس

نعم هي فى عين الزمان قذى فسا

اتاما امرؤ الا ومنها غدا فى سو

فما نعمة فيها خات عن محسد

ولا وطر الا وقاؤه تسجيس

وتبخس ذا حق من الناس حقه

فيا قبحها دارا بها الحق مبخوس

فلا روح منها يستبين لناصب

سوى هادم الذات مادونه طوس

عليها بهاء الملك والامز والعلی
ومنها سناء المجد والقهر مقبوس

الى مثلها ينضی الرشید مطیه
اذا كان يلقى مثلها وتجي المیس
هو العیش فاغنم طیه فی ربوعها
فانک فیها ما اقمتم لموعوس
وانک منها لست يوما بواجد

بدیلا ولو امسی وراک برجیس
وانک فیها ضارب کرة الاسی
بمحجن بشر لیس يتلوه تعیس
وانک منها محجن عمر المنی

فان بها اصل القوائد مفروس
اذا رث ثوب العمر منک فان من
قشیت حظاها ریق العیش ملبوس

فبت آمتا فیها وقم باکرا الى
مراع هو لم تشبه وساویس
ولا ترغبن عنها الى غیرها تمکن
کمن شاقه بعد السعادة انکیس
فدهرک فیها ما اقمتم مسالم

وقدرک مرفوع وشمک محروس
فأثر بها لیلا علی عام غیرها
علی فرض ان اللیل اذ ذاک ادموس
ولا غرو ان تزداد فی العمر حقبة
فقی الصفر للفرد العقیم تخامیس

عليها ظلام الکفر والظلم والغلغی
ومنها اوار القسق والتعش مقبوس

وعن مثلها ينضی الرشید مطیه
اذا كان یلقى مثلها وتجي المیس
هو العیش فاغنم طیه فی سواها
فانک فیها ما اقمتم لمنحوس
وانک لا تلقی لها من مشابه

برجس ولو امسی وراک برجیس
وانک فیها ضارب کرة المنی
بمحجن یاس تلوه الدهر تعیس
وانک منها محجن عمر الاسی

فان بها اصل الحارم مفروس
اذا کان ثوب العز عندک معاما
فن نقص فی عیشها هو مطلوس

فبت صابرا فیها وقم باکرا الى
نعم سواها لم تشبه وساویس
ولا ترغبن فیها ولو لیلة تکی
کمن شاقه بعد السعادة انکیس
فدهرک فی دار سواها مسالم

وقدرک مرفوع وشمک محروس
فأثر بها لیلا علی عمر بدی
علی فرض ان اللیل اذ ذاک ادموس
ولا غرو ان تزداد فی العمر حقبة
فقی الصفر للفرد العقیم تخامیس

لقد كنت اخشى الحين في غير منشأى
فقدني بها بشرى اذا انا مرموس
وقد طالما عللت نفسي برغدا
فبت ولي احلام خير وتغليس
فلقيتها برى على الوصف حسنبا
فما ثم اشباه لها ومقايس
رفيها من القر السكرام اعزة
ججاج ضرابون يوم الوغى شوس
لقد فطروا طبعا على الود والوفا
جميعا فاما يرموها عوض تلبس
لن سبقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسما ظله وهو مدعوس
لهم في سماء العلم شمس براعة
وفي الادب الطامى المباب قواميس
فكم فيهم من عالم متقن له
لتطليس آثار المعارف تطريس
ذا أغطشت آفاق امر قائما
يجايه لفظ موجز منه مهموس
كم فيهم من فاضل ذى استقامة
تقيم قوام الدهر اذ هو منكوس
يمسكه ان لايجور كائما
تعديل في كلتا يديه قساطيس
رب خطيب لفظه فوق منبر
يبين ولو بلمته وهو معكوس

لقد كنت اخشى الحين في غير منشأى
فياشقتوني فيها اذا انا مرموس
وقد طالما حذرت نفسي فسادها
فبت ولي احلام سوء وكابوس
فلقيتها برى على الوصف قبحا
فما ثم اشباه له ومقايس
وفيها من النجوم الاثام تعالبا
ولكنهم ان يؤدبوا اسد شوس
لقد فطروا طبعا على الغدر والجنبا
جميعا فلا يغرك في ذاك تلبس
لن سبقوا سبق الوجود فانه
ليسبق جسما ظله وهو مدعوس
لهم في بحور الشك خوض وطالما
تشتهم منه ضللا قواميس
فكم فيهم من مدح صلف له
لتطريس آثار المعارف تطليس
اذا ما انجلت آفاق امر فانه
ليخفيه لفظ موجز منه مهموس
وكم فيهم من فاضل من فضول آء
تدال قوام الدهر اذ هو منكوس
يحاول لؤما ان يعيل به فلا
تعديل في كلتا يديه قساطيس
ورب عي لفظه فوق منبر
يسوء ولو بلمته وهو معكوس

يشف خفي الغيب عما يقوله
 فيبصره من طرفه بعد مطوس
 وكم فيهم من فاسق عاهر له
 انا الليل تجديف طويل وتنجيس
 وكم طامع في الملك منهم سفاهة
 كتابه اقلامه والعراطيس
 وكم من طفيلي لكل وليمة
 جري له فيها احتناك وتضريس
 حام اذا زيروا حياة اذا اجتدوا
 اسود اذا اسوا جبارة هيس
 اذا سألوا لاوا وان سئلوا قسوا
 ويربون شحا ان بغيرهم قيسوا
 اولو جشع من دونه جشع الوري
 وصيتهم في ذاك كالدهر قدموس
 بشاشتهم للضيف في زعمهم قري
 وفي وعدمهم مين ومطل وتبنيس
 واكرامهم مثوى الغريب سعية
 اذا كان ذا زوج وبالزوج تأنيس
 هجاؤهم يشدو به كل رائح
 وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
 لقد جهلوا هذا اللسان واهله
 فما زال يخفى عنهم وهو مدروس
 وقد لفقوا فيه اساطير حمة
 وشطت لهم فيه شيوخ وتدريس

يشف خفي الغيب عما يقوله
 فيبصره من طرفه بعد مطوس
 وكم فيهم من خسر صالح له
 اناه الليل تسيح طويل وقديس
 وكم قانع منهم وما بارح الحني
 كتابه اقلامه والقراطيس
 وكم بينهم من ايت حرب اذا سطا
 جرى له فيها احتناك وتضريس
 حام اذا هيجوا حياة اذا اتفوا
 اسود اذا اسالوا جبارة هيس
 اذا سمحوا لاوا ان حسوا قسوا
 ويربون فضلا ان بغيرهم قيسوا
 اولو همة دانت لها هم الوري
 وفخرهم في ذاك كالدهر قدموس
 بشاشتهم للضيف خير من القري
 وما لغرام لو تأخر تبينيس
 واكرامهم مثوى الغريب سعية
 فيندو وقد اقناه اهل وتابيس
 مديهم يشدو به كل رائح
 وغاد ويرويه رئيس ومرؤوس
 لقد اكرموا هذا اللسان واهله
 فازال يحظى عندهم وهو مدروس
 وقد ألّفوا فيه تأليف جمّة
 وجلت لهم فيه شيوخ وتدريس

يعز القتي بالمال عند سواهم
وعندهم ليست تفيد الكرايس
فقل لذوى الدعوى المبارين منهم
لمرى بجارة المجلين تهويس
شعارهم حرية واخوة
وتسوية لكن عداذاك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون في القضا
واريسهم في الامر والتهوى اريس
ترى كل فرد عانيا طاغيا له
مشاركة في الحكم مع اهلهم خيسوا
وان لهم من سيمياء وجوهم
دلائل ان الشر منهم مانوس
وان لهم رزقا حراما رضوا به
فشانهم اسفاف ما فيه تدريس
فتحسب كلاحله خوررية
يحته فيها سلام وتلقيس
فا نظرت عيناى فيهم فاضلا
ولامن عن الانام والرجس مرجوس
اراني كتيبا نادما في جوارم
ومن زار يوما ارضهم فهو منحوس
وجدت على الايام عتبا بميشا
فقد اخبثته والبرية باريس
وقد كنت في مدحى لها قبل محطئا
فهذا له كعارة وهو مركوس

يعز القتي بالمال عند سواهم
وعندهم تفيد الكرايس
فقل للمبارينهم نحد والغيرم
قان بجارة المجلين تهويس
شعارهم حرية واخوة
وتسوية لكل بذلك ناموس
فلا فرق بين الدون والدون في القضا
واريسهم في اليسر والرفه اريس
ترى كل فرد منهم كيسا له
مشاركة في العلم والفضل ما كيسوا
وان لهم من سيمياء وجوهم
دلائل ان الخير منهم مانوس
وان لهم رزقا كريما رضوا به
فاهم مسنى ما رب فيه تدريس
فتحسب كلاحل صرحا محمدا
تحيته فيه سلام وتلقيس
فا نظرت عيناى فيهم صاغرا
ولامن عن الخيرات والرشد مرجوس
اراني سعيدا محرا في جوارم
ومن لم يزر هذا الحمى فهو منحوس
عفوت عن الابام سالف ذنبها
فقد شفعت فيها وفي الناس باريس

لقصيدة التي امتدح بها الجناب المكرم الامير عبد القادر بن محي الدين
المشهور بالقلم والجهاد

ما دام شخصك قابلاً عن ناظري	ليس السرور بخاطر في خاطري
يا لمن على قرب المزار وبمده	حي له والشوق ملء سرائري
ان كنت لي يوما فديتك وافية	ما ضرتني ان كان غيرك قادري
فاذا رضيت فكل سخط هين	واذا وصلت فلم ابال بهاجر
يا قاتسى بدلاله وشماله	وكاله وجماله ذا الزاهر
عقلي سلبت ومهجتي فاردهما	لا جيد مدح شمائل لك باهري
وليلم الببدال اني صادق	في وصف حسن حلاك وصفة شاعري
يا محرق شوقا بفاتر جفنه	ارأيت قبلي محرقا بالفاتر
يا بدر تم لاع قلبي حبه	يا شمس حسن قد تمك سائري
يا طربي انس شاق عيني شكله	لكن له طبع الغزال النافر
هلا رثيت لحالي ورفقت بي	ووعدتني عدة ولو في الظاهر
كلم الحشى منى وعيدك قسوة	قبل الفراق بان تكون معاسري
وفطرت قلبي بالجفا عمدا فلا	عجب اذا ما قلت انك فاطري
افهكذا فعل الحبيب بحبه	ام صرت بعدى غاذا لا تاذري
لو كنت تدري ما لغيت من النوى	لرحمتي ووددت انك زائري
هذغت عنك ارتد عن طرفي الكرى	من بعد ما هدى ارتداد الكافر
وازداد سقمى واستثمرت لوعتي	وبدا بحبك ما تكن ضائري
لاني وحق هواك غاية مطلبي	وسنا عيالك الصبيح الناضر
من يوم لحث لناظري ما لاقني	شيء ولم يعلأ جمال ناظري

ما كان حسن سواك يوما شاتقي كلا ولا لحظ لشريك ساحري
 اهوى لأجلك من حكاك بشكك لاشكك اذ ذاك دون النادر
 كيف اصطباري اليوم والاجل اقضى وايت ارضاءى بطيف زائر
 وبمحقى ابي اراه ساءة قبل المعات معاتقى ومسامرى
 هبه انى فلقد يراني ساهرا والطيف ليس براقد مع ساهر
 انسيت عمدي حيث ملت مع الهوى ولعد عهدك ما ذكرك ذا كرى
 اما انا فكما علمت على النوى والقرب صيب فيك غير مغاير
 شيآن لست اطيق صبرا عنهما ذكرى هواك ومدح عبد القادر
 هو ذاك الشهم الذى شهدت له كل البرية بالفعال الله - اخر
 ومناقب حمودة وشمائل مرضية ومحامد وماثر
 هو ذلك المولى المدح سعيه عند الاله وعند كل مفاخر
 هو ذلك القرد الذى افعاله امدوحة البادي وفخر الحاضر
 وهو المهيب لدى الملوك نزاهة والنازح الصيت الكريم الطاهر
 من مشر العرب العريق نجارم اهل الكارم كابر عن كابر
 العاملين بمحكم التنزيل فى التصحيف ريم والتحليل حزب الخاشع
 الناحرين اذا دعوا واذا دعوا بالبراز فتحرم للناحس
 المؤثرين على خصاصتهم وقد نظروا الى الدنيا كشىء غابر
 ولرب قوم يحسبون خلاقم فيم - ا - وعابر لهوها كالغابر
 ولديهم رد التحية - مة - كبرى بها احياء عظم ناخر
 يحى اليه - الى - بالدعاء تهجنا فيميت فى الاعداء اى جماهر
 ويروع افئدة الرجال لهاءه حتى يخوروا عن نداء الناصر
 فى قلب كل محنك من رعبه ماعنه يحجم كل ليث زاء - ر -
 وبكل حرف من بليغ كلامه حرف يفلم كحرف الباسر
 الفضل شيمته وسيمته التقى لله واستزاج اجر الصابر

يولى الندى قبل السؤال وبشره
يفنيهم عن ان يمتوا عنده
جهد ازمان غلاؤه فكبا ولم
ولقد يكون التسر يوما واقعا
فالله ينصر من يمار لدينه
والله عز يداول الالام ما
سكن الامير وطار في الدنيا اسمه
فالعجم بين موقر ومبجل
يا ناصر الدين العزيز وحزه
ياخير ناه عن تعاطى منكر
لا تخش من ياس فربك قاهر
كن كيف شئت فان اجر ك ثابت
لك حيث شئت عنايه صمدية
فاذا مدنت قانت اعظم خادر

للزائريه مؤذن يوشه — ائر
بضرورة وختم — م واواصر
يربح لديه وفيه سورة ائر
ويعود بعد الى مطير الطائر
والله يخ — ذل كل عات فاجر
بين العباد لسابق ولقاصر
وروى المعالي عنه كل مناصر
والعرب بين مفاخر ومناور
ياخير صبار واعظم شاكر
وبخطة المعروف افضل آمر
بدعائك الميمون جيش الجائر
في اللوح وهو اجل ذخرا لذاخر
ترعى حماك ونصر رب قادر
واذا ظنعت قانت اكرم سامر



القصيدۃ التي امتدح بها الجناب المكرم النقيب الحسيب

صبيحى بيك فى اسلامبول

ارى الدهر صافاني ومال الى الصلح
واصنى الى الجدد — بين دعوته
اتاني على الابحار والبربره
ف — لم تك الا دعوة قاجاني
ولولم يجرني من زماني بفضله

ومن بعد حرمانى اتانى بالنجح
ولاحت تباشير الميلى من صبيحى
باسرع من شكوى احتياجى الى مريح
اجابة صنو وهو لى — يدلح
لاصبحت فى بؤس وامسيت فى برح

وحننت باشجاء التمنى قان لى
 فى فى نهاري جهد سبيع وحرفة
 افا كنت لا اشكو اليه من عمى
 ومن ذا الذي تلماه في النار، مسجحا
 خلائقي لا يوفى الثناء بوصفها
 اثار على أوصافه الغر انها
 له جدى وقد كنت غاويا
 وكان زمانى ما زحا فزحه
 فصار لشمري روتق وطلاوة
 وقد كان في سوق الاعاجم كاسدا
 فكمت بت ألقى خاطرى لمديهم
 ولم يغن عني ما مدحتهم به
 ولم يندوا كفارة الكذب الذي
 ولواننى راسين (١) عصرى فيهم
 فيها انا ذو ربح واست بغير
 فحل يازماني بين فوزى ومطلبي ان اسطعت واستعد الخطوب على فدي
 وبعناه اقليد السمادة والفتح
 بشاني يحد كوخى اعز من الصرح
 وصرت الى اقصى الاماني ذات طمح
 كدأي من قبل اصخلت له نصحي
 فن يدع يوما باسمه فاز بالسنح
 قريب من الداعي على القرب والرح

وحننت باشجاء التمنى قان لى
 فى فى نهاري جهد سبيع وحرفة
 افا كنت لا اشكو اليه من عمى
 ومن ذا الذي تلماه في النار، مسجحا
 خلائقي لا يوفى الثناء بوصفها
 اثار على أوصافه الغر انها
 له جدى وقد كنت غاويا
 وكان زمانى ما زحا فزحه
 فصار لشمري روتق وطلاوة
 وقد كان في سوق الاعاجم كاسدا
 فكمت بت ألقى خاطرى لمديهم
 ولم يغن عني ما مدحتهم به
 ولم يندوا كفارة الكذب الذي
 ولواننى راسين (١) عصرى فيهم
 فيها انا ذو ربح واست بغير
 فحل يازماني بين فوزى ومطلبي ان اسطعت واستعد الخطوب على فدي
 وبعناه اقليد السمادة والفتح
 بشاني يحد كوخى اعز من الصرح
 وصرت الى اقصى الاماني ذات طمح
 كدأي من قبل اصخلت له نصحي
 فن يدع يوما باسمه فاز بالسنح
 قريب من الداعي على القرب والرح

فليس على بعد يؤخر رفته
هو الحازم التحرير طلاع انجد
سليل اجل الخلق سامى الذري الذي
اميرى ومولاي الكريم وسيدى
تظنيت فيك الخير والفضل كله
انا في وعدك انك منزلي
ولا ريب عندي ان وعدك منجز
فهاك مني المدح خدمة مخلص
ودم كهف عز للذليل وملجأ
وليس على قرب يميل من المنح
كريم زيه النفس ذو خلق سجع
مناقبه الغراء تغني عن الشرح
ومن هو بعد الله لي سند الركع
فحققت ظني فهو دوني في صبح
لديك كما انزلت اهلي في ندح
واني لا احساج معه الى فسح (١)
فجد بالرضى عنه فديتك والصفح
لقاصده ما يحجاب ليل من الصبح

وكتب الى الفاضل اليب الخوري غبرائيل جباره ارسلها اليه
من باريس الى مرسلية وهو اول شعر مدح به قيسيا

قف بالطول ان استطعت قليلا
ساروا وابقوا وحشة لك دونها
ظللت عهدت به الخلاعة والعبي
وجررت اذيالي ونهت على التي
وخلمت من نعم ولذات على
واحسرتاه متى يعود العيش في
لم يبق الا ذكر افراحي به
ان غيرت آثاره الايام او
فبخاطري تذكره متجدد
من بمض حسادى عليه الريح قد
واسأل عن الركب المفذ رحيلا
غصص المنون وحسرة ونحولا
وشربت فيه سلسلا مشمولا
واقنتت منها ما استعز ذليلا
اهل الهوى ما كست منه ملولا
عرصاته والذ فيه مفيدا
ومضى كلس نعيمه مبتولا
ان غطلت اعلامه تعطيللا
ولمد يظل بانسهم مأهولا
حامت لديه بكرة واصبلا

(١) شبه الجواز يقال فسح له الامر في السفر كتب له الفسح

تبسدى الحنين به وانة فا كل
تسنى تراب فناءه وكأما
عجبا وقد بلته منى عبدة
ام قد درت نكب الرياح بانه
ام مثل عيني اعين الجوزاء قد
ما كدت ادرى رسمه لولا شذا
نوى الحباب للحب اعز من
وسويعه مع من تحب أجل من
قلبي السمندل يصطلي نار الهوى
لله كم منه يصدب عاشق
لو رق من عشق كلام رتل
اولو تدأوى الناس منه بالبا
حاولت قلب القلب عن علل الهوى
منى ابتداء الشوق كان وختمه
قد قاتنى الولى عليه كما على
هو ذلك الجبر المذهب خلقه
الطيب الاصل الكريم الفعل لن
يهب الجزيل وعنده كالجزل ما
المرتدي ثوب العفاف مطرزا
طلق الحيا واللسان طلاقة
يستدرك الاشكال فصل خطابه
فلكل ريب قضية مازال مسئولا
صافي المريرة حيث آي وقائه
ما ان يزال اذا دنا واذا نأى

قازيد فيه زفرة وعويلا
تهفو به لتحله الا كايلا
ان صار فوق عناها عمولا
اولى بان يهوى السماء مقيلا
رعدت فتستشفى به تكحيللا
عرف اليه كان منه دليللا
صرح لديه لا يصيب خليللا
دهر به تلفى اخاك عذولا
وسلوه المنقاء عز وصولا
ولكم به يمى البرى قتيللا
القرأ قولي في الدجى ترتيلا
لشفيت كل شج بيت عليلا
فاجاب انك قد ضللت سبيلا
بي لست عن دأبي احول حؤولا
حب المكالم قان غبرائيللا
وعليه يبدو خلقه دليل
تلقاه الا مرشداً ومنيلا
يحجوه جزلا غيره منقولا
بقى يقى التحريم والتحليللا
تدع الاسى من قيده محلوللا
وبعلمه يستخرج الجهمولا
والراجي ندى مأمولا
لن تقبل التحريف والتبديلا
برأ نصوحا واصلا مسئولا

كانت مشورته هدى وسعادة
ودعاؤه فى الضر اعظم عاصم
ليس المتبخ بيبابه قنطا ولا
مولى تحرى الزهد فى الدنيا
فتجاره ما زال ملجأ لاجيء
جير الخواطر من جبابرة يرتجى
سمح الزمان بقره لى سبة
حتى أرى قصر الايدى بعده
ولقد علمت اوان كان الطرف مة
مارست دهرى واختبرت صروفه
هلا اتاني سائلا من قبل ان
هل من مزار ان شخصا واحداً
ام منكرا ان ليس يذكر سيد
وأتين افض فى ذكر آلاء له
ادب واحسان وبشر دائم
ما كنت فى مدحى له بمبالغ
ولو استطعت لكنت الظم كل درى له مدحا أو التزيلا
من حاول الاسهاب فيه فاعما
يشرى لمن يحظى بقرب جنابه
وان له يهدى الصحة والثنا
للمستشير ونصحه منخولا
لك قاطمئن به وكن مكفولا
من يستغيث بجاهه مخذولا
وقد دانت له لو شاءها نبتيلا
يلقى الاماني عنده والسولا
وبفرعه كل الفخار انيلا
ما كان احلاها وعاد بخيلا
ومن استطال بفضله مفضولا
صورا عليه ذلك التأويلا
فلذا به لا يستفيق غفولا
يقضى القراق وكان فيه عجولا
يحوى الفضائل كلها تكيلا
مع ذكره الا وكان صيلا
قاضت على امل عنه طويلا
وساحة تستغرق التمثيلا
ما قلت الا بعض ماقد قيلا
كل درى له مدحا أو التزيلا
هو موقد وقت الضحى قنديلا
ولن يقبل ذيله قبيلا
والحمد والتعظيم والتبجيلا

القصيدة القهارية

جمعتنا الشيوخ ما بين اصـ وكول وفرشخ هو شقصى
 فى مقام جيرانه لا يبيحو ن هتاف المغلوب أو بمض نبص
 بمضنا شاطر وآخر غر خصمى اثنين غابن ثم لص
 لم اقم قط غالباً غير ليل بات فيه للاص ظمري كشص
 ظل سعدى يقوى على التحس حتى خلتنى فى البار شيخ ابن بمص
 وشريكى له نشاط الى قنص مـسلوك يدينها اى قنص
 فاقننى ساحر المزوق حيرا ن عليه تأليفه متمص
 وبه من سماته ما يحاكي بعضه خاتما وبمض كفص
 بلغ اللامب منه ما يبلغ الحمد والماء عن مداراة خلص
 فغـا بالكلام يقرص والاصبع من جاد رميه كل قرص
 لم يدت ليله واصبح يشكو من دوار امضه مع مقص
 جاره ذو الزلات وهو انا لم يد منه فى الرمي خطة قنص
 بمـد ست واربعين ولم يسله عن بنـدة احتجاج بنص
 ما عليه ان كان يذلب أو يذلب أو لزه الشريك بشرص
 فكره فى اختلاق الكذوبة عن ذى علاء ما ان يجود بحص
 يسهر الليل مطرًا قلذا ما اصبح الصبح خار من فرط محص
 لو اطلق المسير من هذه الارض لما حل غير بلدة حمص
 ربما بنفع التفعل يوما ويضر الانسان زائد حرص
 ليس يدري ما اللب الا بشعر عنه ما عاش ليس بالمتقص
 وبشعر من شاريه اذا حا ول شعرا ينحى عليها بنمص
 واذا سامه امرؤ سهر الليل اتاها من غيظه بالمتقص
 لم يدعها تطول حتى تحاكي نصة الخود ذات ضمير وعقص

عن قريب يخضب البيض منها بمداد أو زعفران وحص
ليس ينفك ذاملال وشكوى وعلى كل نعمة ذا غمص
وشريك له تربع في الدست كشبح مسائل العلم بحصى
او كمن ينتقد الدرام للسلطان من شأنه تمام التقصى
ان يجسد هفوة يصبح ويولول ويقم للجدال قيم فخص
يبدل الاصل بذله المال لكن ثم فرق في بذل هذين أصى
حيث في الاول اضطراراً وفي الثاني اختياراً لغير كسب وربص
اخذ العلم عن شيوخ مشاهير ذوى حكمة ومحض ولحص
لا كيمض الفواة حريج بصا قين كل اعتلهم عن خرص
ليس يدري سوى الخديعة والمكر وما يجمل الخداع بشخصى
يفرز الغالبات في اللعب لكن يتعاطى جد الامور بنجص
ليس في حارة اليهود سواء من يحيز الحرام والحق يمصى
قد حكام في اكله ذات ظلف فوق ساق وفي الدهاء الاخص
ان يكن غالباً تجده طروباً ضاحكاً ذا غمز وقرص ورقص
واذا فاز خشمه ود لو كل خبير سواء باللعب غصى
ولذات الثلث يعطو بكنا راحته وللثمانى بقبص
فاغرا فاه كلذى لاح مساء ثم لم يرو منه غلا بمص
ما لعمري دهاؤك اليوم منج لك ان كدت شيخذا او محصى
قد حباك الزوقات ولكن ليس يفتيك من نكال مغص
ان بعض العطاء حلوشهبي ثم من دونه مراة غفص
يلها زمرة قمارية ما عابها جهيد ولا حير قص
غير كون اجتماعها خارجاً عن غرفتى فالحرام فيها بقفص
شكلها شكل بيضة ولهذا فالماصي من جوفها ذات قفص
من بناها اوصى بهذا وشانى كل حين امضاء عهد الموصى

الترافيات

انا الولي على كل المقاليس	وغرقت في مرار للمناحيس
يأتي بهم زحل القواد سدتها	وتم تصرعهم ريح الكرايس
لا يدخلن مقامي ذوحجى ابدا	فاما هو منتاب الما فيك
يلقون فيه اكاذيب المدح على	زماره أو على نذل من النوك
يا طالما درجات قدرها مئة	الى ماذا ترجى بمد ذا الدرج
اركنت من حركات طالبا فرجا	فاني يسكون طالب الفرج
ما زارني الا خليع ماجن	فدع الحياء اذا حضرت حصيري
ان الحياء اخوال النفاق وما صفت	دون الحجون سريرة لمشير
يا زائري رأسك احفظ	من ضرب زيد وعمرو
فـا بكسري هذا	بصاب جابر كسر
ايها الزائري لعائدة لا	ترم المسحيل ما ذاك عندي
راح علي في طلب الجدد والجد	شروء قضاع علمي وجدي
للناس نـا—ار بلادخان	ولى دخان بغير نار
فها انا اليوم منه قار	ضيغمي وفيه ابيت قارى
ان للصالحين معجزة ان	يحملوا ان شأوا الضرب بصيرا
عكس ذا اليوم معجزات دخا	في انه يحمل البصير ضريرا
تجود علي زواى ولكن	اكافئهم بواء وهو شاني
قل لعالم لي ترب كل	فا كلهم بشيء من دخاني
نعم لي غرفة عليا ولكن	باسفل ساقلين هبوط نجمي
فكيف اطلق اصعد مرقاها	واحمل حمل اشجاني وهي
من يكن مثلي رفيع الدرجات	فهو اولى بمقاعيل السراة
من معطاة فضولي الشعر في	قاعلات قاعلات
كل زواى ذكور	ليس فيهم من اناث
انا في الكون من اثى	ولا جنس الخناث

- ومنها قصرت عن الوري وامنت منهم سبة غدرا
فلا عجب اذا ما قلت صارت غرفتى قصرا
ومنها اذا زارنى ملو نظيري امتته وان يك زوجد حذرت عاله
فاني ادري بالمناحيس كلهم وما فيهم من اجهل اليوم حاله
ومنها من ادى الى بيت مثل ييتى الحرج
ضاق صدره . سدا وايزوى مع الهمج
ومنها ول داخل البيت جثه قط وحارجه صبت فيل عظيم
وقد كنت احسب ان العظام تكون العظام وامل العلوم
ومنها تمالوا واههوا عني نلأ تملكم مراعاة النظير
خلانى ثم جسمي ثم ييتى صغير فى صغير فى صغير
ومنها امسى ييتى قبرا حرجا لكن زوارى احياء
مع اني لست ارى فيهم حيا لى منـه احياء
ومنها اذ اعصفت ريح وبارت زواع وهدت رعود والغيوم مواطر
ومادت زوايا غرفتى ونزلت علمت بان عندى يشرف زائر
ومنها ارفعوا لى حاجاتكم فانا الو رفيع المقام والدرجات
ان يكن مفلسون فليستميروا مديتى لانتحارهم او دواتى
ومنها يقولون اني لضحك وجارى قد رك شعرى وصار ريكيا
واجدر بشىء اذا ما بهت من ضيق ان يكون قويا
ومنها مقامى بذى العرفه لحرمان ذى الحـ رفه
فمن زارنى فيمـ ا فلا يرجون ترفـه
ومنها اصبحت فى غرفتى رهن الهموم فاما يمتادني غير اشجاني واوطارى
ارى لكل امرء اثر تواسه وليس عندى من اثرى سوى النار
ومنها الا لا يطمعن احد لكونى صاحب الغرفه
بان لدى مـ ادية له من فيضها غرة—ه
٢٠ — جزه ثاني

ومنها حق المزور على الزوارئهم
وما عليه لهم حق ولو جلبوا
ومنها ولي حرفتان فلا احذر
اصوغ القوافي في ليلتي
ومنها طبع الغاشي رائج في عصرنا
من اجل ذلك صرت طباً خافاً
ومنها حوت غرفتي كتبتي ووزقي كله
اذا غبت عنها خلعتي اقفر الوري
ومنها يفوح من حجرتي عرف الشواء على
فمن يكن جائعاً ينمسه اولها
ومنها ارى في الحلم اني ساقط من
قاصبح في الفراش ولا قوى في
ومنها بيني وبين دخاني الفة ثبتت
وان يزرنى امرؤ غطى على بصري
ومنها لي غرفة ملائى من الكذب الذي
لم يبق فيها من عمل فارغ
ومنها قالوا نزورك حيث كنت خليلنا
قد حصص العرفان عن اخلاقكم
ومنها اقول لزائري قفوا قليلا
فاني في الخليلع ارى خلافاً
ومنها لبابي حريف حين يفتح هائل
فهذه دعوى كفكم في قد سرت
ومنها كانت مقاما للكواعب غرفتي
ما زال فيها من عبير المشق ما

يؤمنون له في الصدق والكذب
اليه من سباً وسقامن الذهب
البطالة عندى ان ترسخة
وفي الصبح استقبل المطبخ
لكنما طبع القوافي كاسد
اما شاعر قال شرشيء فاسد
فيرنطقي فيها عراء وسلوان
وان جشها ادمت اني سلطان
عرف الفريض ومعه عرف ميان
ومن يكن كاذبا ينمش من الثاني
مهدم طاقتي في مثل غار
فلسنت الى المعير اذا اضطرار
ان نمت نام والا فهو لم ينم
اذ عنده رؤية الزوار كالسقم
انفسته في مدح كل بخيل
للزائري ولا مقيل خليل
فاجبتهم لا ريب فيه نور
وخلافةكم فلمكن بهذا التعزير
الى ان البس الثوب الفشيبا
وفي لبس المشيب ارى اديبا
يقول لزوايري دعوني مغلما
ولم يعد كمداب افتتاحي مطالفا
والآن صارت معدن التشيب
هاج المحب الى عناق حبيب

زمنها يراني الناس في كرج حـمير
 فمن ياقوم عندكم للمالي
 زمنها من زارني ورأى مكاني ضيقا
 اهلا به للتار والاصلاء مع
 ومنها طوقت باني بايات منمقة
 فصار كنز علوم غير ذي رصد
 ومنها الا ياداخلين الي مهلا
 أعجبكم له شكل فجثم
 ومنها نعم انهندس من بني
 هو كلثك والربع
 ومنها من جاءني تعباً وابصر سدي
 فالناس تعرف من تزور اذا هم
 ومنها لا بطلعن الي اليوم مشؤم
 ومن يكن واحدا مثلي فليس له
 ومنها يحسدني الناس على غرتي
 مع انها تحوي جهارا له
 ومنها قروت مصر بيتا ثم بيتا
 نرد الشمس ان تدخله كبرا
 ومنها ولي في غرتي ادوات طبخ
 وان يكسر من الادوات شيء
 ومنها ليس بالرفس فتح باني ولا بالقرع
 فهو من جوهر الزجاج لطيف
 ومنها مقامي اول في الفدر لكن
 فلا تلوا على شيء سواء
 فيحتفرون منزلي احتقارا
 علو مباءة تحوي حمرا
 فله صدرى يكون رحيبا
 كسف الدخان وله ذاك نصيب
 لما بدأ عطلا من خير زواري
 تنقير اظفاره في تقر اظفار
 لا سالكم سوا الاعن مزارى
 لتبنوا مثله دار القمار
 كوخى باشكال وهندس
 والحمس والمسدس
 نسي الذي قاساه من اتمابه
 نظروا ولو لحا الى اعتابه
 فطالنى بضروب الشؤم موسوم
 لطالعين احتياج قاله اليوم
 لشبهها اعينهم ضيقا
 طول وعرض بلغا الشيقا
 فلم ارمثل مجلسى الشريف
 لرؤيته لها فوق الكتيف
 على مقدار اسناني جميعا
 اصاب الكسر اسناني سريعا
 فاعلم لكن بنقر خفيف
 لا يسنى الا لكل لطيف
 اتى في الصف عن خطا اخيرا
 اذا جثم اليه ولو كبيرا

ومنها اذا صعدت في درجات كوخى وجاوزت الاخيرة وهى اعسر
 يخيّل لى باني طلع كى او اذن صارخا الله اكبر
 ومنها لا يرانى الناس فى غرفتى لا ارى من غرفتى الناس
 ربنا يعلم من لذ من يبتلى البين ومن قامى
 ومنها سمو على منزلى قبل الدخول ولا تستمعوا لى بعد فتح الباب واحتمسوا
 فانه حرم ذو حرمة ولئن لم يلف لى حرمة فيه ولا حرم
 ومنها ان قلت سمو على مقامي فلست اعنى سما يميته
 واعما الفصد ان تقولوا تبارك الله عز صيته
 ومنها لا تنظرن ملاوصا يا زائرى من ثقب مفتاحى الى اعراضى
 كالمرصلى عرضى ومن ينظر الى الاعراض لم يامن من الاعراض
 ومنها بشرى لمن ينظر المفتاح فى بابى دليل اى موجود باثوابى
 اولا قاني فى فرشى اعطط او اى خرجت وامن الله اسمى بى
 ومنها انا ساكن فى غرفتى متحرك لى لازل المجلات تجرى تحتها
 لكن بحمد الله ليس يواطىء من فوق راسى من يحاول تحتها
 ومنها الى الله اشكو ما ارى تحت طاقتى امورا غدا تكليفها فوق طاقتى
 ارى كل يوم اف ماش مخاصرا لاشى على انى مخاصر طاقتى
 ومنها لى غرة ما شانها شىء سوى ان ليس تجرى تحتها الانهار
 وغنيت عن هذا بما يجرى من المجلات تحسد من بها الاقمار
 ومنها عجبت لكم يا قوم مع ضعف دينكم وشدة برد كيف لم تعبدوا النارا
 كانى بكم تلهون عنها بجر من تديتكم فى حبها النار والمارا
 ومنها شرط ازياره من بعد الطعام على حكم المزور وان لا تمنع الشغلا
 ومن زرني صباحا فهو فى خطر ان لا اقول له اهلا ولا سهلا
 ومنها راوا دحان قمينى صاعدا جبرى بالماء قوم ليطعوا سورة الذهب
 فعال بمضى اقين انت قلت نعم اقين شمرا وعندى معمل الكذب

الفرقيات

خليلي لا تستنكرا عائل الوجد اذا كنتما بمن درى لائق البعد
 ولا تغدلا في الغرام قاتني على غير ما هوى غريم له وحدي
 ومن ذا الذي يرضى البلاء بنفسه وزكو له حل مع الحزن والسهد
 وهل ينعمن عيشاً مكابداً وحشة مشئت شمل ضائع السعى والقصد
 تأمى سكتى عنى وعوضت عنهم بحيرة مقت ليس قريهم يجدى
 كان زمانى شاء فى كل حالة يرانى فردا بالشانى من فرد
 فاضى ليمى لم يكن من مضارع له حيث هم فى الحسن جلوا عن الند
 فاذا دهانى بعد حفظ غنمته وقد كنت فى عيش بقريهم رغد
 وماذا على الايام لو كان طولها له لا سواد من مطالعها يعدى
 افى الناس مثلى فى مقام فواده وفى غيره جنباه واجد القعد
 وغيرى اراه فاقد الوجد وهو فى نعيم له جد معين بلا جد
 وهل فى سبيل الله راحم لوعة تعاودنى لا بل غرتنى كالجد
 وهل مبلغ عنى النسيم تحية اليهم وما بى من غرام لهم يبدى
 اهم بما كانت تراه احبتي وان يك من بعض الجواد او الضد
 والهج بالقول الذى لهجوا به فتذكاره ذكرى واراده وردى
 يحق لى التشيب ما دمت شاعرا بهم لا هند او عية او دعد
 ولو لم يكن لى مطمح لقائمهم لآثرت نوسيدى مذيال يوم فى لحدى
 ولكنتى ارجو زمانى يسرنى بهم عن قريب وهو اشهى المنى عندى
 يقولون لى صبرا وكيف تصيرى ولست الى نور التبصر استهدى
 لممرك سلطان الهوى قاهر فا نجامن معاويه الرشيد ولا المهدي
 الا ليت دمعى حيث هم واقفون قد جرى ولدى اقدامهم قام كالحد
 فيمنعهم عن ان يسروا ويمعدوا فحسى من سير وحسى من بعد

الحبايتا هل ودكم بعد سالم
ارى بكم الدنيا ولست اراكم
اتى العيد بالافراح للناس كلهم
وما لى لا اشكو وقد طال بعدكم
وماذا الذى ارجوه بعد فراقكم
فياحبذا عيد انبعثي اليكم
ولو زارني قبل اللقاء خيالكم
اذا نظرت عيني الريد فان لي
فان كان لي منكم كتاب لئتمه
فما كان من آثاركم فهو مؤثر
فليس سواء اليوم عندى تلة
وان لم يكن نجر الدموع لما جرى

وهل انتم باقون مثلى على العهد
يها ان شائي اليوم خيرة ذى الرشد
وما اعتادني فيه سوى الهم والتكد
وما بيننا ما ليس يبلغ بالوخد
وعندى استوى شأن الترفه والجهد
كما يبعث الطير الفليل الى الورد
وعنته ليلا فذلك من جدى
لعليا من الایحاس يخفق كالبد
واقرته من بعد ذاك على كبدى
على العين والعينين والعين والنقد
وما غيره النى لخرى من برد
وارتد عنه كالمديم عن الرشد

وقال

او ما كفاني اليوم طول تناء
ياراحلين وفي القواد مقامهم
ولكم اعاتب سوء حظي فيكم
سافرتم للهه مما نالكم
ومتى يتيح لي الزمان لقاءكم
شرقت فانا بقصة عربى
يلمن برق لذى جراح مدنف

عن احب ولات حين لقاء
كم ذا اقول سكنتم احشائي
لكن دهرى لا يحيب ندائي
متى يكون بقربكم ابرائي
ويكف كف البين عن ابداي
في الغرب ذو شرق وذو اشعاه
انا ذو الجراح ملازم الادواء

قصفتني ما أنت واصفه لمن اشفى ولكن فطنا الى الاشفاء
لا يفر منك ما ترى من بزّي تحت القشيب طهامل (١) الاعضاء
انا والذي يحبي ويفنى لست في الهلكى اعد ولا مع الاحياء
انا ان سلت عني الاحبة لم اكن اسلوم في البؤس والضراء
اني على ما بي ارق لما شق مثلى وان هو كان من اعدائي
ما البعد يخذلنا شوقنا بعد الغرالة علة الاحياء
ما ان يحل حشا شقى من يمدهم حب وليس يحل نسخ وفاءى
حال الورى طراً تحول وحالتي هي ما ترى في غدوتي ومساءي
الدمع موقوف على جريانه والمين مفاة من الاغفاء
وارى الذى مثل بكى من فرقة مع من مناه بصد يبكاه
عجباً لدهرى لم يزل بي بصراً وضناي وارانى عن الرقباء
عجباً لدمعى مدنفى استحلمه والناس يشفيهم حميم الماء
عجباً لعمري كيف طال من النوى والارض ضاقت عن مدارجائي
عجباً لليل الناس يسرع صبحه وصباح ليل دائم الابطاء
تبني الزجاء خواطرى فيه على اس المحال فبئس اس بناء
وحيل الشوق المقيم باضلي لى اننى وهف وهم ضجماي
حتى اذا اصبحت بانث انها لى لم تكن الاحبال هباء
يا اهل ودى ليس من دأى لكم عدوى فعودوا وأمنوا من دأى
سقمي من الطرف السقيم ومنحلي الحصر النحيل عداكم اعدائي
ما أن اكلفكم سوى ذكر اسم من أهوى خفي ذاك عن اسماء
لو كان يجدي القال كنت اليوم من احظى الانام واسعد السعداء
اذ كل ناد باسمهم متفوه أم ذاك وسواس الهوى القواء
أم بعض ما ذا الوجد يوجد انه يلهمى بمردوم من الاشياء

يأليت قلب الناس لي اوجدهم
اوليت احبابي بسابي قد دروا
حاشاهم ان يهجروا كلفا بهم
ومع النوى يرى النوى سهلا كما
لهفي على زمن تولى واقضى
فلأى بث بعدها ورزئية
كيف التصبر للفراق وما ترى
ان اشك لم اجد امرألي مشكيا
واذا سكت توهم السلوان بي
يأليت شعري ما امال احبتي
بخلوا علي بنفحة من فيهم
اني استمر حديد قلبهم على
الملمم وجدوا على ملامة
هني اسأت فها انا مستغفر
برئي عليهم هين وهو الرضى
ان لم يصرح فيه قول فلينب
اني بحسن القصد منكم قانع

ان عز ظمن فالتزام عزاء
فيسارعوا شفقا الى انجاء
يكفيه ما يلقي من الاقصاء
ان الدنو مع الجفو تناء
معه السرور لديهم وهناء
ابقتي الايام شر بقاء
عيني شبيهم من الارناء
وشماتة المشكين شر بلاء
الرائي وذلك دون فعل الرائي
عنى من التحذير والاغراء
تأتي الصبا نحووي بها لشفاء
نار الهوى بي لم يلن لداء
فازنهم الحسنى من الاسواء
والغفو مامول من الكرماء
سيان فيه من دنا والناء
اضمار ذكر عنه فهو كفاء
ولئن يكن قد فاتني ارضاء

وقال في المعنى

اتاني كتاب من خليل منق
تنشيت وجدا اذ تنشيت عرفه
فيا حبذا ذاك العبير وحبذا
الى الله اشكو ما لقيت من النوى
اقتمت واحبابي ابروا وابجروا

على كل حرف منه حسن ورونقه
ولم لا ومنه طاهر الورد يعبقه
نسيم به نحووي التباشير يسبقه
وحرجوي كادت به النفس تزقه
على غير ما هوى وشعلي مفرقه

فأزلت مذباؤوا حليف صباية
 قفى قلبى الماسور ادخر الهوى
 كتيب نحيل واجد منشوف
 ولست بذى صير فيؤمل اجره
 وليس بأمون زمانى على اللقا
 احن الى لقياسهم متلفاً
 وان ذرقر الشمس أوهمت انها
 فاني أرى فيها علامات حسنهم
 اعلى قلبا بالاماني هائما
 يطير اشتيافاً بي اليهم واتي
 ويخفق من ذكر اسمهم فكانما
 واسكب دهما كان يحرى بقرهم
 متى يجمع الله المحبين ساعة
 ورب بعاد كان منه دوام ما
 فله اسرار يعز يسانها

اذا حان سبوح كدت بالدمع اغرق
 ومن طرفى المسجور دهمى انفق
 غريب عليل فاقد منشوق
 ولست بذى سلوى اليه موفق
 وعمل يؤخذن يوماً على الدهر موثق
 انا ما سميرى النجم لاح وانلق
 تبلغنى عنهم سلاماً ونطق
 وفى كل حسن ذكر ما القلب يعشق
 ولم يبق فيه للتمني مصدق (١)

أسير هوى فيهم بيني موثق
 يخيل لى ان مضجعى منه يخفق
 فكيف وباب الوصل دوني مغلق
 وحجب النوى بمد الوصال تمزق
 يؤمل من قرب الاحبة شيق
 وللدهر اطوار تسوء ووثق

وقال

امودعى والدمع كاد يحول
 كيف التصبر بعد بعدك موحشا
 قد كان يشجنى غيابك ساعة
 والآن غبت على حساب صبايتى
 ان تنسنى اذكرك أو ان تشجنى
 ياليت طيفك فى الكرى يمتادنى

ما بيننا ولغى الغرام تهول
 وبقيت لا ارب ولا مأمول
 واخال ان قد عز منك ققول
 دهرأ قليل المبتلين طويل
 اشكرك لست الدهر عنك احول
 أو كان يغنى الطرف حين اليل

(١) هذا المعنى مسروق من العارياقية وقد تقدمت الإشارة اليه

فلزوجة منه أحب الي من
أدهلت في حبيك عن ألم النوى
السان عيني امت جبر ومهجة
لوفى رضاك بذلت كل جوارحي
التاك في كل الجمال مصوراً
واذا سمعت بمفرد في حسنة
وأيت أسأل عنك سيار الدجى
يافانى بدلاله لم يبق لى
ما كان غيرك مالاً طرفى ولا
واذا الورى شغلهم دنياهم
فيك الليل على توحيد مبدع
ارسلت دمعى مع كتابى عالماً
يا عاذلين على الهوى لا تمذوا
سبق القواد الطرف منى فى الهوى
اسفا على وقت الوصال فيا ترى
لولا اذكار نعيمه لقضيت من
ساع التمانق ليس ينسى ذكرها
ولرب يوم مسرة يفنيك عن
فلا مطمئن النفس عن لذاتها
يامنكرا لحقيقة القول اعتقد
من لم يذق ألم القراق فما له
فلكل رزه غيره سلوى لدى
بالوعة الشوق اسكنى في مهجتي
خفقان قلبي من سكونك دائم

لذات وصل من سواك يطول
ولقد يريح العاشقين زهول
للقلب ما لهما لدى بديل
كنت الغنين وما بذلت قليل
فيطول * فيه منى التأميل
ايقتت في هذا لك التأويل
لو كان ينفع سائلا مشول
في العيش بمدك بنة تطيل
اعتقد الضمير بأن سواك جميل
قانا الذى بك دائماً مشغول
ان عز عند الفللسنى دليل
ان لا ينوب عن الحبيب رسول
فبلاى هذا اصله التمجيل
فهويت فيه فعاذلى معذول
للبن يفسدو مثله تأجيل
وجدنا فكم بالوجد ظل قتيل
وخطورها بالبال قط حؤول
عمر باكسدار البعاد يطول
وليشجنى بعد الفناء عويل
ان النوى هى في الحقيقة غول
يوما الى عتب الزمان سبيل
رشد وطب بالعزاء كفيل
ما فانى ممن احب وصول
ولعل عن كشب بلاى يزول

هذا ما انتهى اليه من اخبار الفارياق . مما اقتضى الآن ابداعه بطون
الاوراق . فمن شاء ان يدعو له أو عليه فجزاؤه يوم تلف الساق بالساق .
ويقال الى ربك يومئذ المساق . فاما من دعا له بعود زواجه هذه المرة
وفي الحياة اوراق . فاني اضمن له ان يدعو له الى مادية حولها وفيها كل
ما شاق وراق . مما ذكر في هذا الكتاب بالانساق على سرر واطباق .





الخاتمة

تم الجزء الاول من كتاب الساق على الساق في ما هو
القاري اق ويتلوه الجزء الثاني بعد رجم
المؤلف أو صليبه بمن الله
وكرمه آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

ياسيدي الشيخ محمد ياسيدنا المطران بطرس يا أبونا حنا يا أبونا منثريوس
يا صير ابراهيم يا مستر نكتن يا هر شميظ ياسنيور حوزبي هادي انا عملت
الكتاب دي يعني ألقته لاطبعته ولا جلده وحطيته بين اياديكم انا أعرف
طيب ان سيدي الشيخ محمد يضحك منه اذا كان يقرأه لانه يعرف من
روحده انه يتقدر يعمل احسن منه ولانه يعتقد انه شيء فارغ وان كنت
عليته بالحروف لكن سيدنا وأبونا وصيرنا ما يتقدروش بل ما يتقدروش
يفهموه وعلى شأن دي اطلب منهم انهم قبل ما يولموا النار حتى يحرقوه
يسألوا عن الطيب فيه وعن غير الطيب فان كان الطيب ائبل يخلوه لي والا
يحرقوه بجلده واذا كانوا يجدوا فيه بعض هفوات لما يكوش من العدل
انهم يحرقوه لان كل واحد منا فيه هفوات كثيرة والله تعالى لا يحرقنا بنار
جهنم بسببها

يا أبونا حنا انا أحلف لك اني ما ابفضكش ولكن ابفض تكبرك
وجهلك لاني لما اسلم عليك تلقمني ايدك حتى ابوسها فكيف وانت جاهل
وعمرك كله ما عملت كتاب ولا موال روي يا سيدي الشيخ هدا انا اعرف
ان كتب الفقه والنحو اجل من كتابي دي لان الواحد لما يقرأ كتاب من
دول يقطب وجهه ويبعض حتى يتدري فهم معناه ومعلومك ان الهيبة
والجلالة ما تكونش الا في التعبيس ولكن كتب الفقه ما تقواش ان الضحك
حرام أو مكروه وانت ماشاء الله كيس لييب قرئت من كتب الادب

اكثر مما اكل سيدنا الطران بطرس من القراخ المقمرة وفي كل كتاب
انب ترى باب مخصوص للمجون فلو كان المجون ضد الادب ما كانوا
دخلوه فيها واهون ما يكون على ان اقول في آخر كتابي دي زي ما قال
غيري ومن الله استغفر عما طغى به القلم وزلت به القلم فتحق دي الوقت
والحمد لله صلح قاما مسيو ومستروهر وسنيور فاما ماش ملزومين ان
يطبعوا كتابي لان كلامي ماهوش على البقر والحمار والاسود والتمور بل
هو على الناس بني آدم ولكن هذا هو والله اعلم سبب غيظكم مني

تم الكتاب

ذنب للكتاب

ينتظم به لآلئ اغلاط الرؤس العظام الاساتيد الكرام
مدرسى اللغات العربية في مدارس باريس

- - - - -

قال الكسندر شذوكو (Alexandre Chozko) في قاضعة كتاب
ألقه في نحو اللغة الفارسية سنة ١٨٥٢ ما ترجمته

« حصلت بلاد اوربا منذ زمن طويل على كل ما يلزم لعلم اللغات
الشرقية اذ فيها خرائن كتب ومدارس وعلماء جديرون بادراتها حتى انه
باعتبار فن ادب لغات اسية وما يلحق بها من الفلسفة والتاريخ اصبح
استاذ الفرس ومعلم العرب وبرايمي الهند وبهم افتقار الى ان يتعلموا من
اساتيدنا اكثيما » (انتهى)

واما أقول ان هذه الدعوى كذب ومين واهك وافتراء وترهه وتزوير
وبهتان واباط وشحط وشطط وفرط وهتر وعصيبة واختلاق وزعف
وزنهف وتصفاف وتزيب . وان قائلهم ينبغي ان يدمج مع من جهلوا انفسهم في
يصل حـر نبدي لانه جهل نفسه بل حمل غيره أيضاً على الجهل بنفسه . اما أولاً
ولامه اي قائل هذه المقالة لا يعرف اللغات الشرقية ولا يعرف مقدار ما تنف
منها هؤلاء الاساتيد حتى يشهد لهم بالفضل والبراعة . وانه في قلة الرسائل الفارسية

التي اثبتتها في كتابه ارتكب اغلاطا كثيرة قاضحة سواء في النقل والترجمة.
 فمن ذلك قوله في صفحة ١٤٨ قاع صفصف وهي في الاصل قاع صفصف
 اقتباسا من قوله تعالى ويسالونك عن اجبال قل ينسفها ربي نسفا فيذرها
 قاعاً صفصفاً . فلما جهل المعنى بدل قاع بمائع وترجمه باللغة الفرنسية
 بقوله ويقنع نفسه برمل البرية . فكيف استحل هذا العلم ان يملأ الكلام
 بالرمل واستكبر ان يسأل أحداً من أهل العلم عن المعنى . لكنها عادة له
 ولا سلافه ولا ساتيذه في اهم حين يشبه عليهم المعنى يعمدون الى
 التزييع والترميق والتلفيق . والثاني اـ هؤلاء الاساتيد لم ياخذوا العلم عن
 شيوخه اى عن الشيخ محمد والملا حسن والاستاد سمدي وانما نطقوا
 عليه تظفلا وتوثبوا وثبوا . ومن تخرج فيه بشيء فاما يخرج على القس حنا
 والراهب توما والخورى متى . ثم ادخل رأسه في اضغاث احلام أو
 ادخل اضغاث احلام في رأسه وتوهم انه يعرف شيئاً وهو يجهله . وكل
 منهم اذا درس في احدى لغات الشرق أو رجم شيئاً منها تراه يخطب فيها
 خبط عشواء . فا اشتبه عليه منها رقعة من عنده بما شاء . وما كان بين
 الشبهة واليعين حدس فيه ويحمن فرجح منه المرجوح وفضل المفضول .
 وذلك لانه لم يوجد عندهم من تصدى لتخطئهم ونسوانتهم . وقد قال .
 ابو الطيب

واذا ما خلا الجبان بارض طلب الحرب وحده والنزالا
 ولانهم اعم اعتمدوا على اتصافهم بنعت مدرسين فاجتزأوا بالاسم
 عن العمل وعن حقيقة ما يراد من التدريس . فان المتصدي لهذه الرتبة
 الجبليلة ينبغي ان يكون صادق العمل متبياً في الرواية . متخرجاً من
 التهافت على ترجيح ما استحسنه هو ودون رواد المؤلف . متروياً في سياق
 الحديث وسباقه وفرائنه وعلاقته . مضطماً باللغة والتحو والصرف والادب
 فإين هذه الصفات كلها من هؤلاء الاساتيد الذين يفسدون عبارة

المؤلف ويحملونها معاني بعيدة بابها الطمع والذوق . ويوردون ما يوردون من شرحها مزبنة ومجازفة . ولم يمرى لو انهم كانوا من ذوى التورع لما تصدروا في هذه المراتب ولما اقدموا على ترجمة شئ مرقع مزور . فان كان كلامك ايها الشيخ الرملى فى حق هؤلاء الاساتيد كلام ذى جد فمد وجب عليك بعد قراءة جدول اغلاطهم الفاضحة ان ترجع عما تبهلقت فيه وزببت من دون علم . وان تكذب نفسك فى طالعة كتاب آخر بواعه فى نحو 'اللغة العربية ان شاء الله . والا فان اثم افجاسك هذا فى عنك . فاما ان كان مراحا وارتدت به السخرية من هؤلاء الاساتيد المشاهير والاساطين المداكير فهم اولى بان يحبوك . غير انى اراهم قد سكتوا عنك . فكان دغرة هرفك هذا لهم قد اعجبته . فاما مثلك ومثلهم الا مثل ذلك الابله الذى عشق امرأة ولم يقدر على وصالها حتى ادنعه عشقها وهيمه فلم يستطع امدده حراكا . فعاده رجل داه مثك واخذ يهته على قضاء وطره منها . فقال له الابله كيف واه مغرم بها وكلما زدت شوقا اليها ووجدت اعراسا عنى وصدأ . قال قد رأيتك بمعنى تماضها بالامس ثم خرجت من دارها وانت مبتهيج متهلل . وراك غيمى ايضا وهم كثيرون . فان اكرت فما هم كلهم يشهدون لي . وما زال به حتى اقنعه وحله على ان يسلوها فافاق من مرضه . الا ان يبتك وبين هذا الداهى فرقا عظيما . وذلك انه انما استعمل دهاءه للاصلاح . وانت انما استعملته للافساد . لان كتابك هذا ربما يقع فى يد بعض ارباب السياسة الذين يجهلون الفارسية والعربية . ولغفلته يظن ان مشايخ مصر واساتيد الفرس محتاجون الآن الى اخذ العلم عن اصحابك . ومتى تهووا هذه هؤلاء الوجوه فى ضلال تهووت معه الرعية بأسرها .

فاما قولك ان فى البلاد الافرنجية خرائن كتب كثيرة . كانك تقول انه يوجد فيها من الكتب ما لا يوجد فى بلادنا . لان نواب الدول

لا يزالون يشتركون من بلاونا انفس الكتب . فهو ليس بدليل على وجود العلم عند وجود الكتب . فإين حمل الاسفار هداك الله من العلم . لان العلم في الصدور لا في السطور . ولكن افدنى ما بال هؤلاء الاساتيد لم يؤلفوا في اللغات الشرقية شيئا قط . ففاية ما صنعوا اعما هو ان احدهم ترجم من لغتنا لغة الاطيار والازهار فضمن فيها وحده ما شاء . وآخر ترجم محاوره يهودى سمسار واحق من التجار . وآخر مسخ امثال لقمن الحكيم الى الكلام الركيك المتعارف في الحرارء وآخر امنى لطبع اقواله سخيفة من رعاغ العامة في مصر والشام . وترك ما فيها من اللحن والفساد كما هو استندراعا بقوله كذلك رأيتما في الاصل . فيظن بذلك انه تنصل من تبعة اللوم والتعديد . فما سبب هذا التهاوت على ترجمة مثل هذه الكتب وطبع مثل هذه الاقوال من لغتنا الى اللغة الفرنساوية سوى توحم ملققيها على الانحراط في سلك المؤلئين . ولم لم يتعن احد منهم لترجمة شيء من الكتب لفرنساوية الى العربية ليظهر براءته في هذه حالة كونه شيخ طلبتها وامام آميها . على ان في اللغة العربية اوية كتبها جليلاية القدر في كل فن . واعجب من ذلك انه لم يخطر ببال احد منهم قط ان يترجم نحولتهم الى لغتنا . فمهل من سبب آخر غير التذخر من ان يعرضوا انفسهم للتصديق والتعديد والتحمير . فان عبارة النحاة والمعرين لابد من ان تكون محيرة صحيحة ولا عذر لهم معها ان يقولوا كذا وجدناه في الاصل .

ويا ليت شعري ما الفائدة في كون احد هؤلاء الاساتيد يؤلف كلاما معسلا فاسدا في لغة اهل حلب ويحيه نحوا ثم ينكر فيه الحق بيكنفى وايشلون كينسك خيرو وهاككباب وموى طيب . وفي كون آخر يكتب بلسان اهل الحرارء كل في واحد الدار طرقات بالراف الطوبيات كشافوا وكينا كل وراهم واتينا واتينا ونقجم وعجم باش وواسيت شغل

للمهايل ويوالم أى يلائم وماجى أى جاء . وكلى أى كانه وحرامي أى
 يستأنى والاستناش أى السادس والدجاجة ترجع تولد زوج عظات وما
 أشبه ذلك من المشو . فما بالكم يا أساتيد لا تؤلفون كتباً بكمالكم الفاسد
 الذى نسمونه بجوى . وهل تشيرون على عربى اقام بمصرية مثلاً ان
 يعلم كلام أهلها أو كلام أهل باريس . ولو كان فمكم هذا فم رشيد
 لوجب ان تبيدوا جميع الاختلافات والفرق الموجودة عند المتكلمين
 بالعربية . فان أهل الشام يستعملون الفاظاً لا يستعملها أهل مصر . وقس
 على ذلك سائر البلاد الإسلامية . بل ان لأهل صنع واحد اصطلاحات
 شتى . فكلام أهل بيروت مثلاً مخالف لكلام أهل جبل لبنان . وكلام
 هؤلاء مخالف لكلام أهل دمشق . وذلك يفضى بكم الى المأوس وإلى
 افساد هذه اللغة الشريفة التى من بعض خصائصها انها بقيت ثابتة القواعد
 قارة الأساليب على امراض جميع ما عداها من اللغات البدئية . وان
 المؤلفين فيها يومئذ لا يقصرون عن اسلافهم الذين انضروا مذائق
 وما يتى سنة . فهل حسدتمونا على ذلك وحاولتم ان تحبسوها ولحقوها
 بلفظكم التى لا يفهمون ما الف فيها منذ ثلثمائة سنة . وياليت شعرى هل
 تأذن ارباب السياسة عنكم لرجل اراد ان يفتح مكتباً يعلم فيه الصبيان
 فى ان يتعاطى ذلك من دون ان يتبحر اولاً . فمن الذى امتحنكم انتم
 ووجدكم اهلاً لهذه الرتبة التى هى ارفع من رتبة معلم كتاب . ومن ذا
 الذى عارض ما ترجمتم ولفتم ورمتم بالترجم منه . وكيف رخص لكم
 فى ان تطبخوا ذلك من دون الوقوف على صحته . ولمرى ان مدرسا
 لا يحسن ان يكتب سطرًا واحداً صحيحاً باللغة التى يعلمها لجدير بان
 يرجع الى المكتب من ذى انف . على ان من هؤلاء الاساتيد من
 لا يفهم اذا خوطب فضلاً عن حمل التأليف . ولا يفهم اذا قرأ . ولا يقو
 الالفاظ فى القراءة . وقد سمعت مرة بعض التلامذة يقرأ على شيخ

في مقامات الحريري ولا يكاد ينطق بحرف واحد خطما بينا من هذه
 الحروف التي خلت منها لغتهم . وهي التاء والحاء والخاء والقاف والصاد
 والضاد والطاء والظاء والعين والقمين والقاف والهاء . وشيخه ساكت لما
 انه يعلم ان تصحيحه له لا يكون الا فاسدا . فكيف يمكن لمن لم يسمع
 اللغة من اهلها ان يحسن النطق بها . كيف لا وان من الف منهم في نحو
 لغتنا شيئا فانما بنى محوه كله على فساد . فانهم يترجمون عن الجيم بلسان
 بحرفي الدال والجيم بلسانهم . وقد جهلوا انه ليس عندنا في العربية
 حروف مركبة ككاف اليونانية . فان الابداء بلساكن مرفوض عند العرب
 اذا لم نقل انه ممنوع . ويترجون عن التاء بالهاء والسين وعن الدال بالتاء
 والزاى وكذا عن الظاء . فاما سائر الحروف فالعين والهاء والحاء عندهم
 همزة والحاء كاف والصاد سين والضاد دال والطاء تاء والقاف كاف .
 وينطقون بالسين اذا تقدمتها حركة كالزاى وعلى ذلك قول ذلك المطران
 الخطيب اقطعوا الازباب كما مر . فاما همزة قنفا وان وقعت عندهم في
 أوائل الالفاظ فلا تقع متوطة ولا مطرفة ولا يمكنهم النطق بها الا
 مليئة . بل اعظم مؤلثهم لا يدري ان الألف في أول الكلام لا تكون
 همزة . وليس الغرض هنا تعليمهم الهمز فانهم همزون . وانما الغرض ان
 ابين لهذا الرمل الماروف المتعلق مناضلة عن شيوخي الذين أخذت عنهم
 من العلم ما أخذت ان شيوخي لا يحسبون في عداد العلماء . وانه ليس
 من علماء مصر وتونس والغرب والشام والحجاز وبغداد من هو محتاج
 لأخذ حرف واحد عنهم . نعم ان لهم باعا طويلا في التاريخ فيعرفون
 مثلا ان ابا تمام والبحري كانا متعاصرين . وان الثاني اخذ عن الاول
 وان المنتهي كان متأخرا عنهما . وان الحريري الف محسن مقامه هذا بها
 حذو البديع وما اشبه ذلك . الا انهم لا يفهمون كتبهم . ولا يدرون
 جزل الكلام من ركيكة . وثبته من مصنوعة . ولا المحسنات اللفظية

والمعنوية . ولا الدقائق اللغوية . ولا الشكاك الادبية ولا النحوية .
ولا الاصطلاحات الشعرية . فناية ما يقال انهم تتفاوتت من علوم العرب
بواسطة كتب الفقه بالفرنسية . فهل يسمون لعربي تعلم لغتهم من
كتب لغته بانه كملماهم وانهم محتاجون الى التخرج عنه . ثم لا ينكر
أيضا ان مسيود سامي Sat. d. حصل بقوة اجتهاده ما اقدره على فهم
كثير من كتبنا بل على الانشاء في لغتنا أيضا . ولكن ما كل بيضاء شحمه
على انه رحمه الله لا ينظم في سلك العلماء المحررين . فقد فانه أشياء كثيرة
في الأدب واللغة والمروء . واني طالما والله اثبتت على براعته
واعظمت علمه وفصله . الا انه لما صارت مهارته وبراعته هذه سببا
للفساد فانها هي التي جرأت غيره على التصدر للتدريس بلغتنا وسولت
لهذا المنترى ان يتناول على اهل العلم . كان من الواجب على رعاية لحق
العلم واهله ان اسطر اسمه من بين اسماء الشيوخ في البلاد الاسلامية
كافة . قدما لمن تترس باسمه واستدرك بعلمه عن الدعوى والانتحال
ولولا خش قول هذا النعاع المتعذلق وكذب دعواه لما تعرضت لتخطئة
احد منهم . فاني اعلم اهم لن يرعوا عن غيبهم وما يزيد هم كلامهم هذا
الا غرورا . بل الشيوخ الذين قضوا عمرهم في طلب العلم يتورعون من
ان يقولوا معانته . لان الانسان كلما زاد علمه زادت معرفته بجهله .
ولعل كتابي هذا يقع في يد استاذ فارسي أو هندي فيكون باعثا لهما على
الانتداب لتخطئهم أيضا في هاتين اللغتين . لاني اعلم عين اليقين اهم
فيهما اسد جهلا . لان الذين سافروا منهم الى بلاد العرب اكثر من
الذين سافروا الى غيرها . ومع ذلك فلم يعملوا منها سوى الزكاة
والخطل .

واعلم ايها الفاري العربي اني لم أجد من بين جميع ما طبعوا بلغتنا
جديرا بالانتقاد سوى مقامات الحريري . واني لضيق وقتي حالة كؤ

على جناح السفر لم يمكن لى النظر الا في ابيات الشرح فقط . وقد وكتبت
غيري في نقد الباقي كما وكفى العلماء في نقد الابيات . ثم عثرت بعد
ذلك برحلة العالم الاديب الشيخ محمد ابن السيد عمر التونسي مطبوعة
على الحجر عن خط مسيو بيرون وقد شحنتها كلها بالحريص والغلط مما
لا نصح نسبته الى ادنى تلامذة الشيخ المذكور . امكن لاحد من الطلبة
فضلا عن العالم ان يقول جوده باسخ لكل الوجود أى لكل الجود
وان يكتب العصا بالياء غير مرة — واعلى افضل التفضيل بالآف نحو
عشرين مرة — ونجا بالياء — واتسمى المعلومون عن الضياء أى أبهى
المعلومون — وأمنين مطمئنين حالة كونهما مرفوعين — وفلاحين مصر —
ومحمودين السيرة — واستوزد الفقيه مالك — ولا يعصا — ولا أدري
سوء رأيك أى لا أرى سوى رأيك — ويصدا رأيه — واثني عشر
ملك — ومن حيث أن اباديما والتكنياوى متعادلين لم أى متعادلان فلم
ونجد الرجال والنساء حسان — ودعى لنا . وعجوبة وصواحبتها
وصواحباتها — ولفة فيها حماس — وانهما متقاربتى المدنى — وحتى ثاني
أرباب الماشية فيقبضون — هل احدى منكم — ويرفمون اصواهم بذلك
حتى يدخلون — وماشين والمسميين — وحتى يشقون — ومنحنون —
وانهم يكونوا — ولا اعتاض — أى لاعتاض . أو أنه يجهل بحور الشعر
فيجمع الكامل هرجا والطويل مديداً وما أشبه ذلك . ومن العجب أن
الشيخ الموما اليه أورد هذين البيتين وهما

ابرك الايام يوم قيل لي هذه طيبة هذى الكشب

هذه روضة طه المصطفى هذه الزرقا لديكم فاشربوا

قال والياء في هذى بدل عن الهاء . فلما قرأها بمعنى التلامذة على مسيو
كسان دپرسفال (Gausin de Perceval) احد المدرسين المعظم
اصلىح قوله طه بوطا وفمرها بوط الرجل . وابدل الهاء من قوله هذه الزرقا

ياه وذلك لقول الشيخ والياء في هذى بدل عن الهاء فانكسر الوزن .
وترك لفظة الزرقا غير مصححة فان مسيو بيرون وضع بمد الالف همزة
فانكسر بها الوزن ايضاً . وط ان تكتب بغير الف . فانظر الى الناقل
والمصحح والى هذا التخليط وتجب .

بيان ما وجدته من تحريف الالفاظ المربية في نقل الرسائل الفارسية
فى كتاب الشيخ الكسندر شذكو رالمى (Alexandre Chodozko)
صفحة سطر

صوابه فيما كما هو باصله .	فى ما	١	١٩٢
صوابه التثام كما فى الاصل .	التيام	٤	—
صوابه شهايت كما فى الاصل .	شحات	٩	١٩٣
صوابه بمملكة كما فى الاصل .	به مملكة	٢٢	—
صوابه عظام كما فى الاصل .	عظام	٠٩	١٩٣
صوابه استحضار كما فى الاصل	استحضار	١٧	—
جاب اقدسى الهى صوابه جناب اقدس الهى .	جاب اقدسى الهى	٢٣	١٩٦
كما فى الاصل .			
صوابه خلافا للاخفش	خلافا للاخفش	٢٦	—
كما فى الاصل .			
صوابه براء الساعة كما فى الاصل .	براء الساعة	٠٤	١٩٣
صوابه قاع صفصف	قاع صفصف	—	١٩٨
وقد تقدم ذكر ذلك .			
صوابه (اول الرسالة) ومبارك سلطانه	(اول الرسالة) ومبارك سلطانه	—	٢٠٠
وتبارك ليقابل قوله أولا تعالى شانه .			
صوابه مولات	مولات	١٨	٢٠٦

على انى لم اتقص على معارضة هذه الرسائل كلها بالاصل اذ الغرض اظهار

كذب هذا المدعي وفيما اورده كفاية .

جدول اغلاط ايات الشواهد في مقامات الحررى التى طمست
ثانية بعد وفاة دسسى (D. Sisy) بتصحيح الشيخين الجليلين رينو
ودرنبورغ (Remanq to Durnelouag) وذلك سنة ١٨٤٧ فاما
غلط الشرح فاكتر من ان يعد

صفحة سطر

- | | | |
|-------|---|---|
| ٥ | ١ | ترب في موضعين والصواب بالضم . |
| ٤ | | المجلس بالفتح وصوابه بالكسر . |
| ١٠ | | غضباً ١ بغير توين لانه وقع فافية . |
| ح ٤ | | قالوا العواذل الوجه قال العواذل فان المواذل جمع غاذلة . |
| — ٩ | | خدرت والوجه خدرت . بكسر الدال |
| — ١٣ | | في النثر ذمياً والصواب دعيماً . |
| ١٠ | | في صفحة العنوان تكتب والاعرف تكتب . |
| ٦ ٠٠ | | وان اصدق بيت الاظهر احسن بيت . |
| ١١ ١٧ | | الكرا والوجه الكرى لانه يائي . |
| ١٨ ٠٠ | | اعرف نى . |
| ٤١ ٠٠ | | فيظلموني بالضم حقه فيظلموني . |
| ٤٩ ١٧ | | ياطلح اكرم من والوجه اكرم من |
| ٥١ ١٥ | | قانه نث والوجه ينث . |
| ٥٢ ٠٠ | | اقرحت المشاء عليه يوما وصوابه اقرحت المشاء يوما عليه |
| ٥٢ ٠٠ | | قال الى المشاء والوجه الى المشاء لانه اخرج مخرج . |

صفحة سطر

الامثال فلا تتغير كعوله الصيف ضيعت اللبن .		
٢٩	.. مبراء	وصوابه مبرهأ .
٧٠	.. نراه	وحقه نراه .
٧١	.. احسن من	وصوابه احسن لانه خير ليس
٧٥	١٣ نيل المنأ	وصوابه المنأ لانه جمع منية .
٧٦	١٠ الأفلاس	وصوابه الافلاس .
١٢	في عسر وفي يسر	وصوابه ويسر .
٧٨	٢١ سلماً	صوابه سلماً بغير تنوين لوقوعه قافية
٨٠	٨ في ما	الوجه فيما .
	سبيل	صوابه سبيل ومثله دليل في البيت الثاني
٨٢	.. ركذ	صوابه ركذ . بفتح الدال
٨٤	.. وكون	حقه بغير تنوين .
٨٦	١٠ حمة	صوابه حمة . بفتح الجيم
—	— امره	الوجه أمراً .
—	١٧ فانيا	صوابه فانيا بلا تنوين
٨٩	ومن يلق ما لاقيت لا بد يارق ارقى فلم تخدع بعنى نعسة والصواب تديم المصراع الثاني وتأخير الاول والمجب ان هذه النعسة انغمضت عين كل من دسأى ومن هذين الشيخين الجليلين فهل سمعتم بامامير العرب وبأمة الثقليين ان الفعل المضارع يقع عروضاً من غير تصريح وان التنوين في نعسة وامثالها نحو نعسة وحمة وحبة وسلحة وفتحة يقع قافية اليس قوله ومن يلق مفرعاً على المصراع الاول ونخرجاً مخرج المثل .	
٩٢	١٩ البلاق	صوابه البلاق بالاطلاق لكونه قافية

صفحة	سطر	
٩٣	١٣	بدناً صوابه بدناً بغير تنوين وهلا تابه المدرسون لذلك بقوله في العروض انا .
٩٧	٢٢	اليهم ما سبب هذا التلجج .
١١٠	١٨	يغدوا صوابه يقدو وفيه مهموم ومهدوم وكثوم والصواب حذف التنوين منها .
١١١	٧	ارءف ارقه اراء .
—	٩	بنة ابنة .
—	١١	مجدب صوابه مجذب .
١١٣	١٧	مراحا - مراحاً صوابه بغير تنوين .
١١٥	٠٠	متم اترها صوابه اترها اذ كيف يصح نسبة التيم للامر واعجب من ذلك تنون متبول ومكبول فكيف تعملون يا اساتيد القول ارايتم كيف وقع التحذلق في المحازى مع ان قصيدة كعب اشهر من تار على علم .
١٢٣	١٩	شيتا والصواب شيا ليوافق قوله يديا وحيا .
١٢٤	٠٠	الادب والصواب الادب لانه مفعول لقوله لا ترى .
١٢٥	٠٠	جميع قوافي القصيدة المسدطة ينبغي ان تكون مقيدة
١٣٢	٠٠	دني الوجه دا لكونه واويا .
١٣٤	•	كثاني صوابه كتمان .
١٣٧	٠٠	اصب صوابه ناصب بغير تنوين
١٤٦	١٦	ثنى صوابه ثنى . بفتح النون
١٤٧	٠٠	اسفار صوابه اسفاراً للاسفار هنا وللعين يا ايها المبصرون .

صحيحة	سطر	
١٥٢	٠٠	حسراً صوابه حسراً بغير تنوين .
١٥٨	١٦	صناعة صوابه بالكسر .
—	٢٥	مظهراً صوابه بغير تنوين .
١٥٩	٢٦	سناً صوابه سى .
١٦٩	١٢	وربت حقه وربت . بفتح الراء
١٧٤	١٣	محس كفك صوابه محس . بفتح الحاء
١٧٧	٠٠	بكور صوابه بالضم وفيه أيضاً تشميئاً وصوابه بغير تنوين
١٧٩	٠٠	في الدعوة — الى الجفوة والصواب الوقوف على الهاء .
١٨٣	١٧	خيارم صوابه بالكسر .
	١٨	تسل فسل الوجه تسأل وسل .
١٨٣	٢١	وصعبه صوابه بالفتح .
١٨٥	١٣	المنطق صوابه بالكسر .
	١٦	عنه الوجه هـ .
١٨٩	٠٠	البصر الوجه البصر بفتح الصاد
	٠٠	مجيء مكررة مرتين صوابه نجى .
	٠٠	فطورا صوابه وطورا .
		بحميئة صوابه بحياة .
١٩٥	١٣	دني صوابه دنا .
١٩٩	٠٠	المشاة صوابه الفتح .
	٠٠	ينتمر صوابه ينتقد . بالسكون
٢٠٤	٧	جمة صوابه جمة . بفتح الجيم
—	٠٠	غمام — زنام صوابه بغير تنوين .
٢١	١٢	لاقى الاحبة الوجه لاقى الاحبة . بفتح القاف

صحيحة	سطر		
—	١٥	أبغض	صوابه أبغض .
—	١٨	اليهم	هى من التبلغ بمكان .
٢١٥	٠٠	ان	الوجه ان . بفتح الهمزة
٢١٦	٢٤	صروفه	الوجه صروفها الا اذا كان الضمير يرجع الى مذكور قبله
٢٢١		قنيرة	الاولى قيرة . البيت فى آخر الصفحة .
٢٢٢	١٨	يمنع - فترع	صوابه يمنع فترع . يضم العين
٢٣٢	١٧	يصنع	حته يصنع بكسر العين
—	١٨	بدوه	صوابه بدوئه .
٢٣٦	٠٠	اربه - ادبه	صوابه اربه ادبه . يتحرك الراء والدال
٢٣٧	٠٠	وان منى لوا الوجه وان لوا عناه	وكانه ظن ان عناه هنا جار ومحروور وان تأخيرها عن لوا يكسر وزن البيت قابلهما بمنى وجعل الضمير مفردا .
٢٣٩	١٣	يلعابت الفقر حقه	يلعابت الفقر مع ان لفظة العيب المذكورة فى المصراع الثانى تهذى الاعمى الى فهم البيت ولكن اساتيدنا يحبون العبث .
٢٤٥	٢٣	أعما	حقه انما بفتح الهمزة
٢٤٧	١٤	قوسا	حقه قوساً .
٢٤٨	١٢	من ابن	حقه من ابن بكسر النون الاولى
—	—	مامة كعب	حقه مامة للاضافة بكسر التاء
٢٥٢	٠٠	ولها	صوابه ولها أى ولها عليه رنين .
٢٥٥	٠٠	المقايه	صوابه المقالما .
٢٥٨	١٩	تسلم من ان	صوابه تسلم من ان بحذف الهمزة لتوازن

صفحة	سطر	
—	٢٣	تجرب سبيل القصد حقه تجر فتصحفت الكامة على
		الجميع والذي اوقفهم في ذلك قول الشاعر في البيت
		الثاني لم تجرب . وقوه ولا نسي . الظنا حقه نسي .
		فينكسر الوزن وقوله لدى الخبر حقه الخبر اى الاختيار
٢٦٠	٠٠	ضلت صوابه ضلت بكسر التاء
—	٠٠	برغوثا صوابه برغوثا بضم الباء - لولت صوابه لولت
		الاساتيدى محلها قما فتح البرغوث فهو عجيب
		من امثالهم اذ ليس في الكلام فعلول الا صغفوق
٢٦٢	٠٠	تهامة صوابه تهامة بالكسر .
٢٦٣	٧	الكاس صوابه الكاسى .
—	٨	فانك انت الاكل اللابى صوابه اللابس من لساى اكل
		اكلا شديدا فكيف يمكن ايها المدرسون
		المطام ان تكون اللابس قافية مع الكاسى مع
		ايهما بمعنى واحد فان الكاسى هنا من كسى
		لازما ولو كان من كسا المتعدى لكان مدحا
		وهو غير مراد افلا تشعرون .
—	٢٤	يحفظ صوابه يحفظ بفتح الفاء
٢٦٤	١٨	ممكنا » ممكنا بفتح الكاف
٢٦٢	١٨	وهن » بالفتح .
٢٦٩	٢٣	قلب حقه قلبا .
٢٧١	١٥	شتان حقه شتان بفتح النون
٢٧٦	٢٠	الله صوابه الله بفتح الهاء
٢٧٩	٢١	قبلنا » قبلنا بفتح اللام
٢٨٠	٢٣	لا يستقيم البيت بقوله وتنقب فلا بد من ان تكون وتنقب

صحيفة سطر

٢٨٧	١٩	وعمرى	الاولى بالضم فان الشاعر غير منتطح .
٢٩٣	٢٢	وشرب	صوابه بالفتح .
٢٩٤	٢٤	لجهم	في جهم فليراجع .
٢٩٥	١٤	المفزل	صوابه المفزل بكسر الميم
١٥	١٥	ويعمرى استه	الاولى ويعمرى استه بضم الباء
٣٠١		فانك الطاعم	صوابه فانك انت الطاعم .
٣٠٣	١٩	والدر	صوابه والدر بضم الدال
٣١٢	٠٠	ضبارم	صوابه بالضم .
٣١٦	٠٠	قبله - بعده	صوابه قبله - بعده بفتح الدال واللام
٣١٩	٠٠	در نادري	الاولى الاقتصار على احدهما .
٣٢٣	٢٧	جلاجل	صوابه جلاجل فان دال الهمزة لم يكن من المتبلمين
٣٢٤	١٢	جلاجل	عين ما تنعدم من الهمزة وفي البيت الاول نظر
٣٢٦	١٦	ويسهر	صوابه ويسهر يفتح الهاء وحراها الظاهر انه جراها .
٣٢٩	١٧	صئيلة	صوابه ضئيلة .
٣٣٢	١٩	منجا	صوابه منجى .
٣٣٨	١٢	حنانك	صوابه بالفتح .
٣٣٩	٠٠	او خيرا	لا يستقيم به البيت فلا بد من تربيعة بالفتحة سوق او نحو ذلك .
٣٤٢	١٨	مرمن	صوابه مرتين بالفتح .
٣٤٣	١٨	عرب	صوابه عرب بضم الهمزة
٣٤٤	٢٠	فاخر	صوابه فاخر بالكسر .
٣٤٦	٨	ظعرت	صوابه ظفرت بالكسر .
—	٩	الفرون	الوجه بالفتح وقوله منأيا ملفوت .

في آيات النبي لهوكة كثيرة .	٠٠	٣٤٧
وقبلك صوابه وقبلك قد تكر ذلك غير مرة ولا ادرى	٠٠	٣٤٨
كيف يصح رفع الطرف عند الاساتيد .		
ايما صوابه ايما وقوله الرز لهله بالفتح وهو صوت السماء	٠٠	٣٤٩
أو أشرح حقه أو اشرح .	٥	٣٥٠
عنيت في الحدر عسرا الظاهر غيبت في الحدر عسرا .	٠٠	٣٥٣٥
والانس صوابه والانس بالكسر .	٠٠	٣٥٣
حقه منه .	٠٠	٤٤
ينشون حتى ماتهر صوابه تهر .	٢١	٣٥٨
السواد صوابه بالفتح .		
ان صوابه أن .	١٣	٣٦١
امن تذكر جيران صوابه جيران بكسر النون	٠٠	٣٦٦
النعما صوابه النعمى .	٠٠	٣٦٨
يسلم و بفتح اللام .	١٨	٣٦٠
اني الوجه انى .	٢٥	
ركبت صوابه ركبت بكسر الكاف	٩	٣٧٣
سريته حقه سريته بكسر الهمزة البيت باخر الصفحة	٠٠	٣٦٨
محقر صوابه محقر اسم موزول .	٣	٣٨٧
ان المر » ان بفتح الهمزة	٥	
بلوغ و دلتح اسم ان .	٦	
اغيد و اغيد بالتوين للوزن وكان ينبغي للاساتيد ان	٢١	٤٢٥
يفطنوا لذلك لقول الشاعر في القافية احور .		
ظفرك امرك بقدرك والصواب فيها كلها الوقف	١٢	٤٣٣

بالسكون على الكاف .

٢٣ قالتمنى اذن لها من ان اقول لما والصواب قالتمنى

فان مراده أن اقول لها تعما اولى من قولى

لما واما تهوّر الاساتيد في ذلك لذكر

التعش قبله حيث قال ويقال لالما لعلان

اى لا اقامه الله من عثرته ولا نعهه غسيرة

ار العبارة صريحة في ان لما ومشا بمعنى

واحد فكيف يتخرج قوله اذا قالتمنى اذن

لها من اقول لما .

٢٣٨ ١٥ سبق صوابه بالضم أو بالكسر .

٤٥٢ ١٣ وحب بها مقتولة صوابه متولة بفتح التاء وتنوينها .

٢٥ فظهر في الاوان من الهم الهم وهي عبارة مختلفة

لا يستقيم بها وزد البيت فلا بد من ترقيمه

بلفظة دا بعد قوله من أو نحو ذلك والا

فكيف يسوغ تسكين نون من وإعدها

اداة التعريف .

٢٧ آدم صوابه آدم بالتنوين للوزن وفي المصراع الثاني نظر

٤٥٥ ٥ أغلى السباء صوابه بكسر السين

ختامها صوابه ختامها بكسر الخاء

٤٥٩ ١٩ حقه كلا

٤٦٣ ١٨ زرقان والصواب بكسر الزاى

٠٠ قبلك والصواب بالفتح وهذه خامس مرة فهل تتوركون

على الطباع كما هو شأنكم اليوم وفي قوله

صفحة	سطر	عول نظر
٤٧٧	١١	تماقب صوابه تماقب
—	١٩	الانني حصه التلئين للوزن
٤٨٠	٢٥	ضوء الوجه بالفتح
٤٨٤	٢٢	البسيطة صوابه البسيطة فاما المصغرة فلا يدخلها ال
—	٢٥	زجاج الوجه بالضم وكذا قوله سابقا الضر
—	٢٨	هبله صوابه بالفتح لسكونه طرعا لكونه نطقا لكونه طرعا قبل تنویر كون على الطباع
٤٨٧	.	يبدو تخاسته حمة تبدو
٤٩٣	١٩	مناهل صوابه مناهل لكونه وقع عرونيها ولم يراجع
—	٠٠	وفي البيتين الآخرين لما وقع وخروج عن التعميم
٤٩٤	٠٠	في بيت المتن تنقطع . وذلك من خد اسسل في البيت الاخر صوابه ويالك
٥٠١	٠٠	استوا صوابه شتوا وقوله مثل حمة الريم
٥٠٣	١٣	جاني وحياره صوابه جاني رخياره
٢٨	٠٠	بدوى الالباب ودى صوابه لدوى الالباب اودى
٥٠٩	١٢	والصح صوابه بالضم
—	١٣	نقاد صوابه بالفتح اصله تصدق حذف التاء الاولى للتخفيف
—	١٩	وكل يوم صوابه وكل منصوب بحذف الحافض
٥١٥	٠٠	خندف صوابه خندف البيت ماخر الصمحة
٥١٦	٦	يقنى صوابه يقنى
—	١١	معتب صوابه معتب
—	٢٢	كثرة صوابه كثرة
٥١٧	١٥	بن حته بن
٥٢٠	٢٢	فن صوابه فن
—	٢٩	نفذت حته نفذت
٥٣٢	٥	خدع الوجه خدع

صفحة	سطر	
—	١٠	وعصره صوابه وعصره
٥٣٥	٩	بساق صوابه تساق
—	١٠	مثل في صوابه مثل في
٥٣٥	١٤	قنعوا صوابه قنعوا
٥٣٨	٠٠	عري صوابه عري
—	٠٠	الشرك تعلمه صوابه الشرك تعلمه
—	٠٠	عماها صوابه عماها الممي بالفتح يلاساتيد
٥٣٩	٠٠	نجبل صوابه نجبل
٥٤١	١٩	كانوا الاكارم صوابه الاركام . وفي البيت الثاني لهوقة
٥٤٢	٠٠	المغيط المحقق حقه المحقق بمعنى الحماقد فاما المحقق
		قاه بمعنى المنضب فيكون بمعنى المغيط
٥٤٨	٠٠	فمي صوابه فمي البيت باخر الصفحة
٥٤٩	٩	تنكر صوابه تنكر
—	—	ابتليت صوابه ابتليت
—	١٩	غدت بنت الوجه بنت
—	٢٤	قبل صوابه قبل لكونه ظرفا لكونه ظرفا
		وهذه سابع مره قبل تتوركون علي الطباع
—	٢٥	الزيد صوابه الريد وقوله ياعقار فيه نظر
٥٥٥	٠٠	انس صوابه انس
—	٠٠	يحمد صوابه يحمد وقوله خمسا قبله فابراجع
٥٦١	٠٠	فوق رؤسهم حقه رؤسهم ومثله كثير في هذا الكتاب
—	٠٠	جلال حقه اجلال
٥٦٦	٠٠	لم يلد صوابه يلد لان المضاعف اذا جاء لازما تكون
		عينه مكسورة الا في احرف نادرة
٥٦٨	٠٠	لاسقيهم صوابه لاسقيهم البيت باخر الصفحة
٥٦٩	٠٠	فيعرض حقه فيعرض
٥٧٠	١٣	كلام صوابه كلام

صفحة	سطر	
٥٧٥	١٢	وزهد صوابه وزهد
—	..	يساوى صوابه يساوي
—	..	نحو مبرد حقه المبرد
—	..	ها كها صوابه ها كها
—	..	تطن الوجه تطن
٥٩٠	..	تفهموا صوابه تفهموا
—	..	ذو صوابه ذوو وكان الاساميذ قاسوا الجمع على المفرد
—	..	بال حقه بال فان التوافي كلها مقيدة
٥٩٥	١٣	تعلم صوابه تعلم
٥٩٧	..	بالمشرفي صوابه بالفتح
٦٠٨	٢٣	ارحم صوابه ارحم
٦١٥	٢٢	ويحسن لها صوابه ويحسن دها
٦١١	..	اكارعة حقه اكارعة
٦١٤	١١	قبل الاجل صوابه من قبل الاجل ليستقيم الوزن
—	١٣	ليلا الوجه ليلي
٦٢٦	..	جعلنا عوارض صوابه عوارض البيت باخر الصلحة
٦٢٧	..	ينصحنان صوابه ينصحنان
—	..	واصبر صوابه واصبر وكنا في الثمانية
٦٢٨	..	يجي صوابه يجي مليئة للوزن
٦٣٣	١٠	جسم مكررة مرتين والصواب جسم
—	..	في الايات الاخيرة منع مسلم من الصرف اولى من كسر البيت
٦٣٣	١٠	وقوله بارد صوابه بالتثوين والظهور بالفتح لا بالضم
٦٣٥	١٥	الاشقين حقه الاشقين
—	..	مطبخة صوابه مطبخة وساباط حقه بالكسر او بالالف
٦٣٩	..	نالك حقه نالك لانه واقع عروضاً
٦٤١	..	سعاد صوابه سعاد واثرها صوابه بالفتح وهذه ثاني مرة
٦٤٥	١٠	ضرقام صوابه بالكسر

صفحة	سطر	
—	١٣	ومصباح صوابه مصروفا لوقوعه عروضاً
—	١٩	ودار وفار حقها السكون للقافية
٦٤٦	٠٠	السلالات حقه السعلاة وعمرو بن مسعود شرار الوجه فيها كلها التنصيص
٦٤٩	١٥	اربعة ص اربعة وفي جبرئيل تلهوق ونصل حقه فعليل
٦٥٠	٠٠	زوج ابن الرواية تزوج ابن
٦٥٣	٠٠	معاذ الله صوابه معاذ
٦٥٨	٠٠	شديد الوجه بسكون الاخر
٦٦٠	٠٠	ترين صوابه زين واعلم صوابه واعلم
—	٠٠	من الحرفة الوجه من الحرفة
٦٦٢	٠٠	وطيا حقه وطيا
—	٠٠	فقصر كما صوابه فقصر كما اي غايكما ومعبيركما
—	٠٠	وتله صوابه تله
٦٦٢	٠٠	فتي هواحيا الرواية كل احيا
٦٦٤	٠٠	لعل الله صوابه الله البيت باخر الصفحة
٦٦٨	٠٠	يخزني صوابه يخزني
٦٦٩	٠٠	مزيد صوابه مزيد لوقوعه عروضاً
٦٧٢	٠٠	أحب صوابه أحب
٦٧٤	٠٠	شوامش صوابه شوامش وشوامس الثانية ينبغي ان تكون مجرورة بالكسرة او بالف الإطلاق
٦٧٨	٠٠	خبزه صوابه خبزه
٦٧٩	١٤	شيا نجر حقه نجر
—	٢٢	أخف صوابه أخف
—	٢٣	وابصر صوابه وابصر

وما زال الشيخان ماشيين على هذه الطريقة الى آخر المقامات ولوقعت صيت
كل ما وقع من الفلظ . والتعريف في المتن والشرح لكان مقدارا عظيما
وكفى بما اورده شاهد على علمية المشار اليها وكذب دعوى صاحبها قاتما

ما انتخبه الاستاذ الاعظم مسيو كسان د. برسفال من قصة عنثروما الفه
في كلام اهل حلب وما نقله غيره ايضا من الحكايات السخيفة الركيكة
فغير جدير بان يضاع في نقده الوقت اذ كله فاسد

تم الذنب

(تنبيه) من عادة الاساتيد المزيورين ومن اشبههم بمن الف في العربية
شيثاً ان يمتدروا عن اغلاطهم الفاضحة بالتورك على الطباع او على صفاف
الحروف بان يقولوا ان وقوع الغلط اما ينشأ عن جهلها باللفه كما ذكر لي ذلك
الكتب الكس دكراج Alix Desgrange قتل عن الاستاذ كسان
دبرسفال وهو عذر اقبح من ذنب فان الصفاف كيفما وجهته انجه ومهما
ترسم له يمتثلها الا ترى ان مسيو بيرو deCastallane 15, Paris
M. Perrault rue مع كونه لم يعرف من اللغة العربية شيئاً فقد امثل
كل ما رسمنا له في كتابنا هذا من التصحيح والتبديل بغاية التأني وبذل
مجهوده في صف الحروف وجودة الطبع حتى جاء بحمد الله احسن ما طبع
بلغتنا في البلاد الافرنجية فلهذا نوه اسمه عند كل من شاء ان يطبع شيئاً
بالعربية ولا انهم يحمدون سميته ويرضون عن صنعه وان لم يكن في
المطبعة السلطانية وكفى بحسن العمل وصاة .

فهرست الجزء الثانى

صفحة

الكتاب الثالث

١	الفصل الاول	في اضرار اتون
٢٠	الفصل الثانى	في العشق والزواج وفيه القصيدتان الطيختان
٤٤	الفصل الثالث	في العدوى
٥٢	الفصل الرابع	في اثورية
٥٥	الفصل الخامس	في سحر ونصحيح غلط اشتهر
٦٦	الفصل السادس	في وارحة في باريز متنوعة
٧٤	الفصل السابع	في الحرية
٧٥	الفصل الثامن	في الاحلام وتعبيرها
٧٨	الفصل التاسع	في الحلم الثانى
٨٠	الفصل العاشر	في الحلم الثالث
٨٥	الفصل الحادى عشر	في اصلاح البحر
٩١	الفصل اثنا عشر	في سفر ومحاورة
١٠٧	الفصل الثالث عشر	في مقامة مقيمة
١١٦	الفصل الرابع عشر	في جوع ديقوع دهقوع
١٢٠	الفصل الخامس عشر	في السفر من الدير
١٢٤	الفصل السادس عشر	في النسوة
١٢٥	الفصل السابع عشر	في الحض على الثمرى
١٣٩	الفصل الثامن عشر	في بلوعة
١٤٠	الفصل التاسع عشر	في عجائب شتى
١٤٨	الفصل العشرون	في سرقة مطرانية

الكتاب الرابع

١٥٢	الفصل الاول	في اطلاق بحر
-----	-------------	--------------

صفحة	
١٦٠	الفصل الثاني في وداع
١٧٠	في استرحامات شقي
١٧٥	في شروط الرواية
١٧٩	في فضل النساء وفيه وصف لندن عن الغاريات في محاورة
١٨٥	الفصل السادس في الطباق والتنظير
١٩٠	في سفر معجل وهينوم عممي رهبل
١٩٦	في الهيئه والاشكال
٢٠٢	في سفر وتقسيم
٢٠٩	في ترجمة وتبصيرة
٢١٤	في خواطر فلسفية
٢٢٢	في مقامة ممشية
٢٣٠	في رثاء ولد
٢٣٥	في الحداد
٢٤١	في جور الامكيز
٢٤٦	في وصف باريس
٢٥٤	في شكاة وشكوى
٢٦٤	في سرقة مطرانية ووقائع مختلفة
٢٧٩	في نبذة مما نظمها الغاريات من القصائد والايات في باريس على ما سبقت
٢٨٢	الاشارة اليه
٢٨٤	قصيدة السلطان عبد الحميد خان دام عره

القصيدۃ الحرفیة فی مدح اریس والقصيدۃ الحرفیة فی ذمها	٢٨٩
القصيدۃ التي امتدح بها جناب علامیر عبد القادر المکرم	٢٩٥
القصيدۃ التي امتدح بها الجناب المکرم حضرة صبحی بك فی اسلامبول	٢٩٧
القصيدۃ التي كتبها الى الفاضل المحوری غرائیل جباره	٢٩٩
القصيدۃ العماریة	٣٠٢
الابیات الغرفیات	٣٠٤
العصائد الفراقیات	٣٠٩
ذنب لا کتاب فی نقد مدرسی العربیة وغره فی اریس	٣١٩

